مذكرات عاموس جلعاد

شمعون شيفر

ترجمة وتحقيق

أبوبكر خلاف

زاد للدراسات الإسرائيلية
Zad for Israeli Studies

مذكرات

عاموس جلعاد

شمعون شيفر

مذكرات
عاموس جلعاد

ترجمة وتحقيق
أبوبكر خلاف

ZAD
زاد للدراسات الإسرائيلية
Zad for Israeli Studies

مذكرات
عاموس جلعاد

ترجمة وتحقيق: أبو بكر خلاف

الطبعة الأولى
٢٠٢٢م - ١٤٤٤هـ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

ZAD
زاد للدراسات الإسرائيلية
Zad for Israeli Studies
www.zadpost.com

إهداء

إلى روح أبي الغالي إبراهيم خلاف

تقبله الله في الصالحين وأسكنه فسيح جناته

وإلى أمي الغالية الحبيبة ليلي عطية

أمد الله لنا في عمرها، وجزاها عنا خيرا

مع تقديري ومحبتي

أبو بكر خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا الكتاب يكشف الجنرال الإسرائيلي المتقاعد "عاموس جلعاد" أسرار رحلاته إلى القصور العربية وعلاقات تل أبيب المتداخلة مع حكامها، وحاولنا عبر ترجمته نقل ما ورد على لسانه بتصرف لا يخل بمحتوى الكتاب، لنكشف للقارئ العربي جانباً من حياة أحد أهم الشخصيات الأمنية الإسرائيلية دراية بكواليس وأسرار وصفقات الحرب والسلام، يحوي الكتاب ترجمة لمذكراته التي جمعها الكاتب الإسرائيلي "شمعون شيفر"، في كتاب بعنوان "المُنذر" "המתריע"، وهو خلاصة ١٧ جلسة حوارية جمعته بعاموس جلعاد استمرت لعدة أشهر، ليصدرها بكتابه الذي بلغ ٢٤٥ صفحة باللغة العبرية والصادر عن "مؤسسة يديعوت" للكتب.

عاموس جلعاد في سطور

ولد بحيفا في عام ١٩٥١ لأسرة يهودية قدمت من تشيكوسلوفاكيا إلى فلسطين، التحق بالجيش الإسرائيلي عام ١٩٧٢، وتدرج داخله بالمناصب حتى عُين بقسم الأبحاث التابع لجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية "أمان"، وشارك عامي

١٩٨٢ و١٩٨٣ في الاحتلال الإسرائيلي لدولة لبنان. عُين جلعاد في العام ١٩٩٦ متحدثاً باسم الجيش الإسرائيلي، وعاد بعد ذلك بعامين لعمله بالاستخبارات الحربية حيث أصبح رئيساً لقسم الأبحاث بالجهاز، ومنسقاً لأنشطة الحكومة الإسرائيلية بالأراضي الفلسطينية المحتلة، وظل بهذا المنصب حتى إحالته للتقاعد عام ٢٠٠٣.

كان إتقان جلعاد للغة العربية ومعرفته بثقافة العالم العربي سبباً في توليه إدارة ملفات حساسة تتعلق بالعلاقات الإسرائيلية مع الأنظمة العربية. فوضته الحكومة الإسرائيلية بمهمة الإشراف على القضايا المتعلقة بالأسرى والمختطفين، وأسندت إليه دوراً رئيسياً في محادثات إطلاق سراح الجندي "جلعاد شاليط" الذي أسرته حركة المقاومة الإسلامية "حماس" عام ٢٠٠٦.

تكشف لنا هذه المذكرات أسراراً عسكرية وسياسية، سمحت الرقابة العسكرية الإسرائيلية بالكشف عنها لأول مرة، ومن أبرزها:

- كيف تبلورت فكرة قصف المفاعل النووي السوري، والتي كان جلعاد ضمن الطاقم المصغر الذي أعدّ لها.

• كيف تُتَابع تل ابيب ملفات الحالة الصحية لقادة المنطقة العربية كجزء من أنشطتها الأمنية المعتادة؟ ولماذا؟

• متابعة جلعاد الأمنية لياسر عرفات أثناء وجوده بتونس، ومتابعته شخصياً لقائمة طعامه خلال فترة حصاره في المقاطعة برام الله.

• لقاءات جلعاد مع بشير الجميِّل في بيروت، وشهادته أمام "لجنة كوهين" للتحقيق في مجزرة صبرا وشاتيلا.

• كشف جلعاد عن تواصله مع اللواء عبد الفتاح السيسي رئيس المخابرات الحربية المصرية، الذي أصبح وزيراً لدفاعها ثم رئيساً للدولة المصرية.

• لا يتردد جلعاد في الكشف عن حروب الظلال التي تحصل بين جنرالات الموساد والاستخبارات العسكرية، والصراعات الدائرة بين أقطاب المؤسسة العسكرية والأمنية.

• تعرض جلعاد لإشكالية التنسيق بين المستويين السياسي والعسكري في إسرائيل، والإجـراءات التي تتخذها الخارجية الإسرائيلية عند إقدام إسرائيل على خطوات عسكرية أو أمنية، آخذة أثناء ذلك بعين الاعتبار التطورات السياسية الإقليمية والدولية.

في هذا الكتاب قمت بترجمة حوارات عاموس جلعاد كما وردت في كتاب شمعون شيفر من اللغة العبرية للغة العربية. كما وضعت "الأعلام" بين علامات تنصيص وخاصة الأسماء الأعجمية حتى لا تختلط على القارئ. ثم وضعت بعض الكلمات التي لا توجد في أصل المذكرات بين معكوفتين وذلك ليستقيم السياق العربي بدون تغيير لما يريده صاحب المذكرات.

أعدت صياغة بعض الجمل لتتناسب مع القارئ العربي دونما خلل بمحتوى المذكرات. كمت ألحقت بالنص المترجم الهوامش لمزيد من التوضيح كترجمة للأشخاص وبعض الكلمات التلمودية وبعض الأماكن وبعض الأحداث.

وفي الختام، لم يكن لهذا العمل أن يتم دون جهد كبير في الصياغة والتحرير والمراجعة العلمية، وهو ماقام به صديقي وأخي العزيز الدكتور محمود سامي، فله كل الشكر والتقدير وجزاه الله عنا خيراً.

أبوبكر خلاف
اسطنبول تركيا

٦ من أكتوبر ٢٠٢٢

مقدمة

إذا كان هناك أي قيمة لوجهة نظر شخصية مثل تلك التي يمكنني تقديمها، فذلك يرجع بنسبة كبيرة إلى النجاح في كشفها خلال مراحل حياتي على حقيقتها، وليس عبر الاجتهاد في تزييفها وتبييضها.

هذا ما كتبه المؤرخ العسكري البريطاني "بي إتش ليدل هارت[1]" في افتتاحية كتابه المتواضع ١٠٨ صفحات في ترجمته العبرية بعنوان لماذا لا نتعلم من التاريخ. حيث يتساءل "ليدل هارت" الذي غرس في أمراء الحرب استراتيجية النهج غير المباشر كضمان للنصر، عما إذا كان من الممكن التنبؤ بالحروب والصراعات بين الدول.

كتب ليدل هارت: علم التاريخ، هو تاريخ خطوات الإنسان وتعثراته، إنه يظهر لنا أن الخطوات كانت دائمًا بطيئة ودقيقة وأن

---

(١) باسيل هنري ليدل هارت ***Basil Henry Liddell Hart*** (١٨٩٥ - ١٩٧٠م): هو مؤلف واستراتيجي إنجليزي. ولد في باريس، وتعلم في كمبردج، واشترك في الحرب العالمية الأولى. ترك الجيش وعمل مراسلاً عسكرياً للديلي تليجراف، والتايمس اللندنية. من أوائل الذين اهتموا بالحرب الميكانيكية، حيث شرح أساليبها التكتيكية المتعلقة بتدريب المشاة، واتبعتها وزارة الحربية البريطانية. وقد ألف عدة كتب نالت شهرة فائقة.

العثرات مفاجئة ومتكررة، فهو يتيح لنا أن نستخلص الدروس من إخفاقات أسلافنا، إذا أدركنا حدودنا، فسنعرف كيف نظهر التسامح تجاه أخطاء الآخرين، لكننا لا نغفر لأنفسنا إذا فشلنا في تحديد الأخطاء.

خلال العامين الماضيين، أجريت سلسلة طويلة من المحادثات مع اللواء احتياط عاموس جلعاد[1] تناولت القضايا السياسية والأمنية التي تعرضنا لها، وجهاً لوجه في إطار وظيفته جلعاد - في إطار مناصبه في المؤسسة الأمنية، منذ أن كان ضابطًا شابا برتبة نقيب في هيئة الاستخبارات حتى تم تعيينه رئيسًا لقسم البحوث في هيئة الاستخبارات "أمان" ثم منسقا للعمليات في المناطق ورئيس الدائرة الأمنية السياسية في وزارة الدفاع، كان في أكثر المناصب حساسية بالقرب من رؤساء الوزراء ووزراء الدفاع إسحاق رابين، وشمعون بيريز وإسحق شامير، وإيهود باراك، وبنيامين نتنياهو،

(١) عاموس جلعاد **עמוס גלעד** (ولد عام ١٩٥١م): هو لواء احتياط في الجيش الإسرائيلي، تولى رئاسة الدائرة الأمنية والعسكرية في وزارة الدفاع الإسرائيلية، وشارك في مفاوضات التهدئة مع حركة حماس عدة مرات خلال اعتداءات إسرائيل على قطاع غزة. اتهمته منظمات ومواقع فلسطينية بالمشاركة في قتل عشرات الفلسطينيين خلال عمله بالاستخبارات العسكرية.

موشيه بوغي يعلون، وراكم خبرة واسعة في مجالات الاستخبارات والاستراتيجية والحنكة السياسية. بينما أنا كصحفي ومعلق يغطي المجال السياسي الأمني منذ "مناحيم بيغن" وحتى "بنيامين نتنياهو". رافقت "بيغن" في رحلته الأولى إلى مصر، وقمت بتغطية حرب لبنان الأولى، بل ونشرت عنها كتاب "كرة الثلج"، وكنت موفدًا لهيئة الإذاعة في الولايات المتحدة، وعلى مدى سنوات، حتى في وقت كتابة هذه السطور، أنا كبير المعلقين السياسيين في صحيفة "يديعوت أحرونوت".

عاموس جلعاد معروف في المؤسسة الأمنية ومجتمع الاستخبارات والجيش الإسرائيلي كشخص لا يُشك في نزاهته. لم يتردد في التعبير عن موقفه من أي قضية تم طرحها للنقاش من قبل القادة، وقد فعل ذلك بلا خوف وبحيادية. أما التحذيرات التي وجهها إلى قادته، وفي مرحلة معينة أيضًا إلى قادة المستوى السياسي، فقد قوبلت في كثير من الأحيان بردود فعل سلبية، وبتجاهل، وحتى بمحاولات من قبل رؤسائه لإبعاده عن الجيش الإسرائيلي. ويمكن القول أن جلعاد هو النسخة الحديثة من الأنبياء الذين تعرضوا للرجم بالحجارة من قبل أولئك الذين رفضوا سماع نبوءات الغضب الصادرة عنهم.

خلال ما يقرب من ٤٠ عامًا قمت خلالها بتغطية الحروب واتفاقيات السلام وتابعت القضايا الأكثر حساسية في العلاقات الخارجية لإسرائيل، كانت الفكرة الرئيسية التي توصلت إليها هي أنه مطلوب منا سواء الصحفيين أم الشركاء في صنع القرار على المستوى الوطني التشكيك في كل شيء نتعرض له. لا تأخذ أي شيء كأمر مسلم به.

في الثمانينيات، قمت بتغطية لقاء عقد في نيويورك بين "شمعون بيريز" ومجموعة من اليهود الحائزين على جائزة نوبل. وقد قال وقتها "أيزيدور إسحق رابي"[1]، الحائز على جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٤٤م، أنه عندما كان يعود من المدرسة لم تكن والدته تسأله عما تعلمه اليوم، ولكن ماذا سأل المعلمين. بمعنى أن من يرغب في المساهمة وترك بصمة، فالأفضل له أن يكون في موضع من يطرح الأسئلة.

هذا أيضًا واجب ضابط الاستخبارات، وبالتأكيد على أعلى المستويات: أن يعرف كيفية الشك، ويطرح الأسئلة الصحيحة، وألا يأخذ أي شيء كأمر مُسَلم به. ومن خلال معرفتي باللواء

(١) أيزيدور إسحق رابي **איזידור אייזק רבי** (١٨٩٨ - ١٩٨٨م): فيزيائي أمريكي من عائلة يهودية، حصل على جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٤٤م.

احتياط جلعاد، يمكنني أن أشهد أنه يتمتع بهذه الصفات وأنه في بعض الأحيان قد دفع ثمناً باهظاً مقابل ذلك.

خلال المحادثات التي أجريناها، أوضح جلعاد عن تصوره فيما يتعلق بدور الاستخبارات والمسؤولية الملقاة على عاتق أولئك الذين يعملون في هذا المجال المصيري. حيث قال: دور الاستخبارات هو التحذير من الاستعدادات التي يقوم بها الخصم لمنع الحرب من جانبنا. من المفترض أن يقرر أصحاب القرار؛ رئيس الوزراء وزملاؤه الوزراء، أعضاء مجلس الوزاري المصغر للشؤون السياسية والأمنية، الخطوات العملية في ضوء التقييمات التي تقدمها لهم الاستخبارات، حيث يتوفر لديهم عدة خيارات تحت تصرفهم: بدءًا من إرسال رسائل قاسية إلى الدول المعادية بأنها ستتحمل العواقب إذا قاموا بالهجوم، مرورا بتوجيه الجيش للاستعداد لهجوم استباقي، وانتهاءً بشن حملة شاملة لإزالة التهديد.

يشدد جلعاد على أنه من حق المستوى السياسي رفض التقييمات المقدمة إليه من قبل مختلف أجهزة الاستخبارات هيئة الاستخبارات التابعة للجيش الإسرائيلي، والموساد، والشاباك، وقسم الأبحاث التابع لوزارة الخارجية وعدم قبول الاستنتاجات

المستمدة منها. ولكن قبل أن يتخذ قرارا بطريقة أو بأخرى، يحتاج رجل الدولة إلى هذه الهيئات.

يتناول هذا الكتاب سلسلة من التحذيرات، والتحذيرات الكاذبة، التي نقلتها الاستخبارات إلى القادة، وعواقبها الكارثية، والتي أودت في بعض الحالات بحياة مئات، بل وآلاف الإسرائيليين.

يقول جلعاد: إن الدرس الرئيسي الذي أرغب في أن أغرسه في المسؤولين عن تقييمات الوضع في مجال الاستخبارات هو أنه يجب عليكم إظهار التواضع والاحتشام عندما تأتون للحكم والبت في الأسئلة التي تنشأ من محيط المعلومات الماثل أمام أعينكم"، ويتابع: "تصرفوا على النحو المطلوب من القاضي عندما يأتي لكتابة الحكم: قرروا وفقًا للأدلة ونوعيتها، ولا تقيدوا أنفسكم بمفهوم أو بآخر.

لكنه يؤكد أن هناك فرقًا واحدًا بين ما هو مطلوب من القاضي وما هو مطلوب من ضابط الاستخبارات، فيقول: يجب أن تحكموا ليس فقط وفقًا للأدلة، ولكن أيضًا من خلال فهم العمق الأيديولوجي الذي تقوم عليه المعلومات التي توصلتم إليها. ففي حالة إيران، على سبيل المثال، ليس المهم فقط هو عدد الصواريخ

بعيدة المدى التي يمتلكها الإيرانيون ومداها وحجم الضرر الذي قد تسببه، ولكن أيضًا إدراك أن نظام آية الله في طهران مصمم على تدمير الكيان الصهيوني.

تتعلق القضايا التي تم تناولها في هذا الكتاب بالساحات التي كان جلعاد حاضراً فيها خلال سنواته العديدة من حياته المهنية في مجال الأمن والاستخبارات، من حرب لبنان الأولى، عام ١٩٨٢م، إلى معركة الاحتواء ضد جهود إيران للوصول إلى القدرة النووية وإيجاد موطئ قدم على الأراضي السورية.

حرب لبنان الأولى استندت، من بين أمور أخرى، على أكاذيب الكتائب التي نشرها الموساد على مر السنين، والتي دفعت رئيس الوزراء "مناحيم بيغن" ووزير الدفاع "أرييل شارون" إلى افتراض أن لإسرائيل حليفًا حقيقيًا في شكل الكتائب المسيحية في لبنان. وكل جزء من المعلومات أو التقييم الذي قد يؤدي إلى استنتاج مفاده أن تلك الكتائب لا يمكن الوثوق بها، وأن رؤوسهم تقودنا من أنوفنا نحو الكارثة، كما حدث بالفعل، قد تم تجاهلها أو رفضها بازدراء. أما جلعاد، كضابط استخبارات شاب حذر مرارا وتكرارا، حتى أمام مسؤولين أعلى منه رتبة بكثير، فقد شعر بهذا شعورًا جيدًا.

الانتفاضة الأولى، التي اندلعت في "كانون الأول" ديسمبر عام ١٩٨٧م، كانت مفاجأة كاملة ولم تلاحظها الاستخبارات على الإطلاق لقد كان ذلك انهيارًا تامًا لجميع الأنظمة.

اتفاقيات أوسلو يمكنها أن تحتل مكانة مركزية في استعراض الحماقة الإسرائيلي. حيث إن المفاوضات السرية التي أجراها الوفد المقرب من وزير الخارجية شمعون بيريز في أوسلو قد تم إخفاؤها تمامًا عن أجهزة الاستخبارات. وهذا عمل غير مسؤول على المستوى الوطني، لا علاقة له برؤية سياسية للعالم. ومثلما لا تخوض حربًا بدون استخبارات، فأنت أيضًا لا تتفاوض من أجل السلام بدون استخبارات. حيث استندت اتفاقات أوسلو إلى تحليل خاطئ لشخصية عرفات، أكبر إرهابي على الإطلاق موجود هنا، وعلى الوهم بأنه مهتم بالمصالحة مع إسرائيل. والواقع أن اتفاق المبادئ الذي تم التوقيع عليه في أوسلو كان يهدف، حسب وجهة نظر عرفات، إلى تفكيك إسرائيل وتعجيل اختفائها من الخريطة. وقد أدت عملية أوسلو في نهاية المطاف إلى حمام دم رهيب أودى بحياة أكثر من ألف إسرائيلي.

بصفته رئيس قسم الأبحاث في هيئة الاستخبارات "أمان"، حذر جلعاد رئيس الوزراء إيهود باراك من أن عرفات يتجه إلى مواجهة

شاملة مع إسرائيل وهو التقييم الذي تحقق مع اندلاع الانتفاضة الثانية في أكتوبر/ تشرين الأول عام ٢٠٠٠م. وفي نفس الوقت، قدم جلعاد تقييما مماثلا إلى رئيس الأركان "شاؤول موفاز"، الذي تبناه بعد نقاش طويل. فتوجه "موفاز" إلى "باراك" وطلب زيادة في ميزانية الدفاع من أجل التحضير لانتفاضة ثانية، كما توقع جلعاد لكن "باراك" رفض الطلب حيث أخذ طلب "موفاز" المكتوب وسحقه بيديه وألقاه في سلة المهملات.

إن فشل المفاوضات التي أجراها "إيهود باراك" في كامب ديفيد مع "عرفات"، وبعد ذلك سلوك "نتنياهو" تجاه السلطة الفلسطينية، يجعل فكرة الدولتين غير قابلة للتطبيق، ويقربنا أكثر فأكثر من واقع الدولة الواحدة بين البحر ونهر الأردن، مع كل ما يترتب على ذلك. إن عدم وجود قيادة وسيط عادل من جانب الولايات المتحدة، إلى جانب قيادة إسرائيلية تتجنب أخذ زمام المبادرة، يحتوي على متفجرات ستضر بنا في نهاية المطاف.

إلى جانب كل هذا، يتحدث جلعاد عن العلاقات مع مصر والأردن، التي لعب دورًا محوريًا في تطويرها والحفاظ عليها، وعن لقاءاته السرية مع القادة وصناع القرار في العالم العربي، وعن التحذير الكاذب الذي كاد يؤدي إلى الحرب في عام ١٩٩٦م،

وعن المحاولات غير الناجحة دائمًا لمراقبة الحالة الصحية والتنبؤ ببقاء قادة المنطقة الأعداء والأصدقاء على حد سواء، وعن التدخل الأمريكي في الشرق الأوسط، الذي غالبًا ما ينطوي على قصر نظر وعدم فهم العمليات التي تحرك المنطقة، وعن النضال ضد التسلح النووي الإيراني والسوري، وعن سلسلة من القضايا الأخرى التي تشكل جزءًا من جوهر وجودنا هنا.

والكتاب مخصص لأي شخص يرغب في أن يفهم بعمق العمليات والتحولات التي تحدث في الحي الذي نعيش فيه، ليس فقط على المستوى النظري، ولكن من خلال تجربة الحياة الغنية لشخص وقف عند أهم مفترقات صنع القرار وأكثرها حساسية.

لكن أبعد من ذلك، إنه مخصص لكي يكون بمثابة أداة عمل لضباط الاستخبارات، الذين يواجهون بالفعل في هذه الأيام تحديات مماثلة لتلك التي واجهها اللواء احتياط جلعاد حتى وقت قريب. ولذلك، إلى جانب القصص والأوصاف الرائعة لتجاربه كضابط استخبارات، حيث يتشابك الكتاب مع الدروس والأفكار التي شكلها جلعاد على مدى أربعة عقود فيجدر الاستماع إليه.

شمعون شيفر

الجزء الأول

حرب لبنان الأولى

الفصل الأول
الاعتماد على من لا يُعَول عليه

في بداية الكتاب يتحدث "شمعون شيفر" عن معرفته الأولى بالجنرال الإسرائيلي "عاموس جلعاد" فيقول: المرة الأولى التي صادفت فيها اسم "عاموس جلعاد"، كانت أثناء قيامي بجمع مواد وتقارير لكتابي "كرة الثلج"، والذي تناول حرب لبنان الأولى عام ١٩٨٢، والمسماة بعملية "سلام الجليل"(بالعبرية: **מבצע שלום הגליל**، أو **מבצע של"ג**). حيث بدأت لجنة "كاهان" (بالعبريّة: **ועדת כַּהַן**) اسمها الرّسمي الكامل: «لجنة التّحقيق في أحداث مخيّمات اللاجئين الفلسطينيّين في بيروت» مداولاتها، وهي التي شُكلت بعد مذبحة "صبرا وشتيلا" التي نفذها حزب الكتائب[1] بحق المئات من ساكني مخيمي "صبرا وشاتيلا" وتلقى المحامون الذين مثلوا قيادات الجيش والمخابرات الإسرائيلية آنذاك إعلاناً للمثول أمام اللجنة التي أعدت آلاف الوثائق الخاصة بهذه المجزرة.

---

(١) حزب الكتائب: يعتبر حزب الكتائب من أبرز الأحزاب السياسية المسيحية المارونية وأعرقها على الساحة اللبنانية، تأسس كحركة قومية شبابية سنة ١٩٣٦ على يد بيار الجميل، كما يعتبر الحزب من أشد الأحزاب السياسية اللبنانية الرافضة للوجود المسلح الفلسطيني في لبنان خلال الحرب الأهلية اللبنانية.

كان "عاموس جلعاد" في هذا الوقت ضابط مخابرات برتبة رائد، تم إرساله إلى قيادة المنطقة الشمالية في بداية الحرب، كحلقة وصل بين الاستخبارات العسكرية ومقر القيادة، كانت الرسالة التي نقلها إلى قادته آنذاك بوضوح "أن التحالف مع الكتائب هو اعتماد على من لا يعول عليه، فهؤلاء مجموعة عصابات قتلة سيُحلقون العار بسمعة إسرائيل، ومن خلال الوثائق التي حصلت عليها، أدركت أن "جلعاد" قد حذر مراراً وتكراراً منهم، لكن لم يكن أحدُ تقريبًا في هذا التوقيت لديه استعدادًا لسماعه.

كيف تصف لنا لبنان، وماذا عن تجربتك فيها كضابط شاب تدخلها لأول مرة؟

عرفت لبنان عن قرب في أوائل السبعينيات تحديداً بين العامين ١٩٧٣-١٩٧٤، كنت حينها أعمل في جهاز الاستخبارات العسكرية بقسم مكافحة الإرهاب، وكانت بؤرة "الإرهاب" في ذلك الوقت هي لبنان والأردن. وما تعلمته في قسم الأبحاث حينها لا يقدر بثمن.

في عام ١٩٨٠، كنت أعمل على الجبهة اللبنانية، ثم انتقلت بعدها إلى الجبهة السورية. ولمعرفتي الجيدة بالوضع اللبناني، طُلب مني

تنسيق العمليات في لبنان نيابة عن جهاز الاستخبارات العسكرية، اعتدت على العمل بمنصبين في نفس الوقت، ولكن غالباً لا يسجل ذلك بالسجلات العسكرية الإسرائيلية.

إذا أردنا أن نفهم لبنان آنذاك فيجب علينا أن نفهم شخصية ياسر عرفات وسياساته ورجاله مثل أبو جهاد[1] والمنظمات الفلسطينية الأخرى التي كانت تعمل معه، كيف استغلوا لبنان؟ وعملوا فيها كما يشاؤوا؟ كما رأيت أيضًا -على الرغم من أنها ليست منطقة مسؤوليتي- ما فعلوه في الأردن أحداث أيلول الأسود. ومن هنا وجدت نفسي، بالإضافة إلى واجباتي الرسمية، أعمل بشكل مكثف على الجبهة اللبنانية في الجانب العسكري، سواء فيما يتعلق بإعداد التقارير الاستخبارية، أو الاتصالات مع الكتائب مباشرة أو من خلال الموساد.

وكجزء من عملي، تم تكليفي بالتنسيق العملياتي مع المسيحيين

(١) أبو جهاد (١٩٣٥ -١٩٨٨): هو سياسي فلسطيني وأحد رموز حركة الوطنية الفلسطينية، وأحد أهم قيادات حركة فتح وجناحها العسكري، أسمه الحقيقي خليل الوزير، ولد في مدينة الرملة بفلسطين، وغادرها مع أفراد عائلته إلى غزة إثر حرب ١٩٤٨، اغتالته إسرائيل عام ١٩٨٨ في تونس.

في لبنان. وهكذا وجدت نفسي رغماً عني حاضراً في كل الاتصالات السياسية مع الأطراف اللبنانية، بما في ذلك مع "بشير الجُميل"[١]، الذي أقدره كثيرًا، على الرغم من أنه يوصف في إسرائيل بالعجوز الخرف، ومع "كميل شمعون"[٢] الذي درست عنه في الجامعة ولم أصدق أنني سأراه على أرض الواقع. وبالطبع "بشير الجُميل"[٣]، وكان لي أيضاً تواصلا مع "إيلي حُبيقة"[٤].

باختصار كنت شاهداً على معظم الأحداث والتطورات في لبنان

(١) بيير جُميل (١٩٠٥-١٩٨٤): هو سياسي لبناني ومؤسس حزب الكتائب، يعتبر من أبرز السياسيين اللبنانيين أثناء الحرب الاهلية اللبنانية (١٩٧٥-١٩٨٩)، ومن أشد السياسيين اللبنانيين معارضة للوجود الفلسطيني المسلح في لبنان.

(٢) كميل شمعون (١٩٠٠ -١٩٨٧): هو ثاني رئيس للجمهورية اللبنانية بعد استقلالها، أسس سنة ١٩٥٨ حزب الوطنيين الأحرار، وعرف عنه معارضته للوجود الفلسطيني المسلح في لبنان.

(٣) بشير الجميّل (١٩٤٧-١٩٨٢): هو سياسي لبناني وقائد مقاتلي حزب الكتائب، وهو كذلك الابن الأصغر لبير الجميل، عرف بمعارضته الشديدة للوجود الفلسطيني المسلح في لبنان، انتخب رئيسا للجمهورية اللبنانية أواخر عام ١٩٨٢، ولكنه اغتيل قبل تسلمه المنصب في عام ١٩٨٢.

(٤) إيلي حبيقة (١٩٥٦-٢٠٠٢): هو عسكري وسياسي لبناني، يعتبر أحد قادة حزب الكتائب اللبنانية البارزين أثناء الحرب الأهلية اللبنانية، ويعتبر المشرف على مجزرة صبرا وشتيلا بحكم أنه كان مسؤول شعبة الأمن في الكتائب أثناء المجزرة، وقد تم اغتياله عام ٢٠٠٢.

أثناء عملي بجهاز الموساد، بدءاً من مرافقتي ل "مائير داغان"[١] أثناء تفقده للوضعية التشغيلية لدبابات الكتائب. رغم عدم امتلاكي الخبرة في هذا المجال، بالتأكيد لن أقارن نفسي به، كما حضرت اجتماعاً لوزير الدفاع "أرئيل شارون"[٢]

ورئيس الأركان "رفائيل إيتان"[٣] مع القيادات المسيحية اللبنانية، ولست متأكدًا إن كان "شارون" لاحظ حينها وجـودي في اجتماعه من عدمه.

---

(١) مائير داغان (١٩٤٥ -٢٠١٦): (بالعبرية: מאיר דגן) هو سياسي إسرائيلي ورئيس جهاز الموساد العاشر، عُين داغان قائداً لمنطقة جنوب لبنان عام ١٩٨٠، وبعدها التحق بجهاز الموساد، استقال داغان من منصبه عام ٢٠١٠ في الاستخبارات الإسرائيلية بعد احتجاجات طالبته بالاستقالة بعد عملية اغتيال محمود المبحوح أحد كوادر حركة حماس البارزين.

(٢) أرئيل شارون (١٩٢٨ -٢٠١٤): (بالعبرية: אריאל שרון) هو عسكري وسياسي إسرائيل مخضرم، شارك بمعظم الحروب التي قادتها إسرائيل ضد العرب، بدءاً من عام ١٩٤٨ حتى ١٩٨٢، وقد شغل منصب وزير الدفاع الإسرائيلي في الغزو الإسرائيلي على لبنان عام ١٩٨٢، كما شغل منصب رئيس وزراء إسرائيل، دخل في غيبوبة لمدة ثماني سنوات قبل وفاته.

(٣) رفائيل ايتان بالعبرية (١٩٢٩-٢٠٠٤): (بالعبرية רפאל «רפול» איתן) هو وزير إسرائيلي سابق ورئيس هيئة الأركـان أثناء الحرب على لبنان عام ١٩٨٢، وتوفي غرقاً في بحر إسـدود في ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٤.

ما هو شعورك حيال الكتائب بعد ذلك؟ وما رأيك في علاقتنا بالمسيحيين؟

بالنسبة لي، فأنا أعتقد أن تجربة إسرائيل بلبنان تمثل فشلاً ذريعاً، وهناك حالة إنكار لهذا الفشل في الدوائر الإسرائيلية حتى يومنا هذا.

المسيحيون في لبنان شعب رائع ومتعلم ومثقف جداً، يتحدثون العديد من اللغات، ويمكنهم إجراء نقاش حول أي موضوع، ومع ذلك، فإنهم يفتقرون إلى شيءٍ واحد، ألا وهو عدم القدرة على تطوير قوة أمنية واستراتيجية مستقلة، وربما ظنوا في مرحلة ما أن بإمكان إسرائيل أن تقوم بذلك نيابة عنهم كمقاول من الباطن، وهو ما أوقعنا معهم في الفخ.

الاستنتاج الذي توصلت إليه أثناء عملي بالجبهة اللبنانية هو وصف حقيقي ودقيق بأن الكتائب لا يمكن الاعتماد عليها، اكتشفت ذلك في وقتها وحذرت، لكني لم أجد آذاناً صاغية.

متى أدركت أن التواصل مع الكتائب كان مسموماً؟

في جميع الاتصالات التي أجريتها معهم، منذ نهاية عام١٩٨٠، لم أكن أؤمن بهم أبداً، لأنني رأيتهم عن قرب، كنا نستخدم الكتائب آنذاك لنتباهى أن لدينا حلفاء على الأرض، كنا نقدم لهم كل أنواع

الدعم، لكنني أدركت أنه لا يمكنهم أن ينتصروا ولو بجولة واحدة من الحرب، بسبب غطرستهم حتى عندما يضعون على الخرائط رمز "X" كعلامة تكتيكية لوجود "لواء"، فإنها لا تعادل حتى حجم "فصيلة". بمعنى آخر، لم يكونوا قادرين على القتال، نعم لديهم هيئة عسكرية لكنهم يفتقدون الجنود المدربين بشكل جيد، أو حتى قادة أكفاء، الكتائب كانت عبارة عن مليشيات.

أتذكر أن وفدًا برئاسة "مائير داغان" وصل للتحقق من فعالية دباباتهم، وقال "داغان" نفسه حينها: "هذه الدبابات مجرد خردة، ولن تتحرك من مكانها، ولا يمكن لأحد صيانتها بما في ذلك الجهات المختصة لدينا بإسرائيل". صحيح، كان لدى الكتائب قادة مثل "سمير جعجع"[1]، الذي كان يمتلك عيوناً ذات بريق ملحوظ، وكان متورطًا في عمليات قتل، علاوة على ذلك أدركت من خلال محادثاتي مع القادة المسيحيين أنه ليس لديهم أي التزام تجاه إسرائيل، وأنهم فقط قرروا توريطنا.

(١) سمير جعجع (١٩٥٢): هو عسكري وسياسي لبناني يشغل منصب رئيس الهيئة التنفيذية للقوات اللبنانية منذ ١٩٨٦ خلفًا لإيلي حبيقة، ويعتبر أحد أبرز المشاركين في الحرب الأهلية اللبنانية

كيف توصلت إلى هذه النتيجة؟

في بادئ الأمر وفي الحديث عن "بيار الجُميل" يجب أن يكون مفهوماً أن هذا الرجل كان له دور أساسي لما وصل له نجله "بشير"، الذي كان متعجرفًا ومتغطرساً للغاية، لكن مقارنة بوالده فهو أفضل بكثير.

كان "بيار" يقول: "نريد منكم الآن التخلص من الفلسطينيين فهم مثل السرطان في جسد لبنان". ولسان حاله نحن نكره الإسرائيليين، لكننا أشد كراهية للفلسطينيين منهم.

وفي رد "بيار" على سؤالي عن إمكانية تحقيق سلام بين إسرائيل ولبنان، أجاب بصدق: "لا يمكن بأي حال من الأحوال". كان لدي انطباع بأن ابنه ورث هذا الموقف عن أبيه.

بالمناسبة، كان الكثير من عناصر الكتائب مُعادياً للسامية، ففي صحيفتهم، التي أطلقوا عليها اسم "العمل"، نُشر رسم كاريكاتوري لثعبان عملاق وعلى رأسه نجمة داود، وذات مرة عندما زرت مرفقهم السري تحت الأرض، رأيت على الحائط صليباً معقوفاً يبلغ طوله مترين.

ذات يوم كنت شاهداً على لقاء جمع "بشير" و "شارون" قال له

الأخير: "آن الأوان لكي تفعل ما هو مطلوب منك" أي تغيير الواقع في لبنان. لا أعرف إلى أي مدى بلغ حد التفاؤل لدى "شارون" ليقول ذلك، على الأقل بالنسبة له تعد إقامة سلام مع بلد كلبنان أمراً عظيماً.

وأجاب بشير: "لا أستطيع فعل ذلك، أريد أن أكون رئيساً لجميع اللبنانيين حتى آخر يوم". هناك جملة أتذكرها كان وقعها على كصاعقة، إذ قال بشير لشارون: "كل أطروحاتك عنا لا أساس لها من الصحة".

هل حضرت مع شارون أثناء زيارته لبيار جميل؟

لا، لم أكن حاضراً، أنا أتحدث عن اللقاء الذي جمع شارون مع "بشير"، قال حينها "بشير": جنرال لا أستطيع أن أفعل ذلك، فأجابه "شارون": "اسأل والدك كيف يمكن تطبيق ذلك"، لن أنسى هذا، ذلك اللقاء كنت بجانب شارون، أتذكر كيف وجه شارون حديثه ل "إيتان" كأنه يبدي اعتراضه على كلام بشير: كُل، كُل، فيقول له "إيتان": "يا له من طعام جيد، هم يحضرون جميع أنواع الطعام الشهي من باريس".

في عام ١٩٨١ وقعت حادثة صغيرة حينما كنا مع "بشير"، عندما

أخذنا بسيارته لعقد لقاء في أحد مقرات الكتائب، بينما كان يقود سيارته بنفسه، وضل الطريق وكاد أن يعبر بنا حاجز تفتيش تابع لسوريا، ولحسن الحظ توقف بنا قبل الوصول للحاجز بحوالي مائتي متر.

كان من الممكن أن ينتهي بنا المطاف في المعتقلات السورية، هذا الموقف يعطيك فكرة عن غطرسته، كان يتصرف كأنه يعرف كل شيء في لبنان. وقبل عقد الاجتماع معه، تسلم مظروفاً به رسالة من السوريين عبر شخص يُدعى "كريم بقرادوني" الذي كان ممثلهم السري.

على الظرف كان مكتوب BG، وهي الأحرف الأولى من بشير جُميل. أبلغه السوريون: "أنه في حال عقد الزفاف – أي اتفاق سلام مع إسرائيل– سيكون هناك أرامل، كان هذا تهديداً صريحاً باغتياله، "إذا عقدت سلاماً مع إسرائيل، ستكون زوجتك أرملة".

بشير جُميل كان محاطاً بأشخاص مثل "إيلي حبيقة" هذا الرجل الرهيب الذي كان قاتلاً ومجرماً، أتذكر وجبات العشاء التي لا حصر لها مع "حُبيقة" في بيروت، قال لي ذات مرة: "سنقضي على عرفات، سنقضي عليه، ونتولى أمر الفلسطينيين".

إلى جانب ذلك كان يتفاخر دوماً بالعمليات التي هي من وحي خياله، والتي لم تحدث ولم تقع، بصرف النظر عن أنه رجل قاتل ومجرم، كنت أدرك أنه لا يمكن الوثوق به. فهو مجرم ارتكب العديد من الفظائع، لم ترها عيني، لكنني سمعت منه، وأدركت تورطه في عدد لا حصر له من المذابح.

من ذلك، أنه عرفني على رجل مافيا "إيطالي" التقيناه في بيروت. يعمل بمهنة كانت شائعة جدًا آنذاك، وهي مهنة "إغراق السفن عمداً" وتقديمها كحادثة عرضية بهدف الحصول على أموال التأمين من الشركة المالكة للسفينة، فأطلقت على "حبيقة" مثلث برمودا اللبناني.

جمعتني علاقة جيدة ب "حبيقة" لكني لم أكن صديقه أو صديق غيره، لقد تظاهرت بذلك فقط لفهم شخصياتهم عن قرب، ولم أكن على قناعة للوثوق بهم، كنت دائم الشك، عرفتهم كرجل استخبارات، وبدا لي أنهم كاذبون. ولم يكن "حُبيقة" وحيدًاً بهذه السلوكيات العدوانية، فقد كانت الكتائب بشكل عام قاسية على أعدائها من الدروز والفلسطينيين.

طالت قسوتهم المدنيين حتى قبل مذبحة صبرا وشاتيلا. مما

أتذكره على سبيل المثال، كيف كانوا يستفزون الدروز بنتف شواربهم إمعاناً في إذلالهم، يُعتبر الدروز محاربون بالولادة، اعتقدت أن بإمكانهم هزيمة الكتائب في اسبوع، وكنت مخطئاً لقد هزموهم في يوم واحد عندما أرسلوا المسيحيين بالكتائب إلى الجحيم.

بغض النظر عن أفعال الكتائب المروعة وغطرستهم، كان منهم المتعلمين والأغنياء والمشاهير، كانت المناطق والأحياء المسيحية مختلفة عن سواها في لبنان من ناحية النظافة والغنى والمباني الفارهة، لم يكن واضحاً لدي من أين حصلوا على المال، حتى اعتقدت أنه من أرباح التهريب، حيث كان لكل عائلة كبيرة أو منظمة ممتلكات خاصة، كان هناك ميناء صغير يمتلكه "كميل شمعون"، ورصيف ٥ في بيروت كان يخص الكتائب.

عادةً كنا ندخل لبنان من شاطئ البحر المتوسط، في إحدى المرات التي وصلنا بها للبنان في مهمة سرية، كانت تنتظرنا سيارة فاخرة تابعة للكتائب، وقد اصطدمت بسيارة أخرى، وقالوا لنا إنهم غير مبالين: ليس أمراً سيئاً، غداً نسرق سيارة أخرى من شارع الحمراء أو من أحد شوارع بيروت المتلألئة، لقد ترك هذا الموقف انطباعا سيئا لدي.

وفي مقر "سمير جعجع" بشمال لبنان، أعطاني لمحة عامة عن أنواع الأسلحة والعربات العسكرية الرهيبة التي يفترض أنهم يمتلكونها، وما أثار إعجابي حقاً أثناء الزيارة، شجر الأرز اللبناني، الذي كان متواجداً بكثرة في مقره، وهذه هي المرة الأولى التي أعرف فيها كم هذه الشجرة عظيمة، كنت أمامها بحجم ذبابة، إنها مذهلة، تعلمت حينها معنى جملة "يزدهر مثل أرز لبنان"، ومنذ ذلك الحين وفي كل مرة يمر بخاطري هذا الموقف أقول: يا لها من فجوة بين هذه الشجرة القوية، وبين هؤلاء الحمقى المحرضون.

بالحديث عن جميع أنشطتنا السرية هناك: أتذكر أننا ذهبنا ذات مرة إلى مطعم في ماري هاوس بمنطقة بيروت، لم يُسمح لنا برفع أصواتنا أو التحدث بالعبرية حتى لا يعرفونا، عملنا في الخفاء، ثم فجأة تبدأ أغنية הבה נגילה - هافا نجيلا، دعونا نبتهج، ثم قال لنا صاحب المطعم: يا رفاق، أنتم لا قيمة لكم، أعرف بالضبط من أنتم.

أثناء الحرب كان هناك موقف لن أنساه أبداً ما حييت، وصلنا إلى مكان في بيروت يُدعى "سانت جورج" كانت منطقة جميلة، طائراتنا تقصف من فوق، جنودنا يقاتلون ويتعرقون ويصابون ويُقتلون. كان ذلك في ذروة الصيف، وفجأة تظهر غير بعيدة عن مقرنا، فتاة لبنانية فاتنة تقود سيارة BMW، وتخلع ملابسها وتبقى بالبكيني، وكأن كل

ما يدور حولها لا يثير اهتمامها، يرافقني هذا المشهد حتى يومنا هذا مثل الحلم.

كنت برتبة رائد في مرحلة الشباب عندما التقيت وزراء الكتائب في الحكومة اللبنانية، لم يكونوا في الحقيقة وزراء وإنما عملاء فقراء لدى الكتائب، ليس لديهم الحق في الكلام ولا القدرة على التعبير عن أنفسهم. حتى ذلك الحين، بدا لي هذا البلد وكأنه ينهار.

وعندما أصبحت أكثر درايـة بالوضع اللبناني، من جميع النواحي-العسكرية والسياسية والاستراتيجية- توصلت إلى نتيجة محزنة مفادها أنه لا يوجد منهم من يمكنني الاعتماد عليه.

كان انطباعي أنهم على المستوى الاستراتيجي مصممون على استخدام إسرائيل كأداة لتحقيق أهدافهم ومآربهم. لمعت عيونهم فرحاً عندما أدركـوا وفهموا في وقت لاحق أننا نريد دخول لبنان وهزيمة السوريين والفلسطينيين وعلى رأسهم عرفات وطردهم من لبنان.

قلائل هم من كانوا مثلي في جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الذين آمنوا بعدم جدوى الاعتماد على الكتائب، ما يدهشني أن "ارئيل شارون" حتى وفاته كان يؤمن بالكتائب، مثله

مثل قادة بالجيش الإسرائيلي اعتقدوا أن الكتائب حليف يمكن الاعتماد عليه وسيعمل من أجل إسرائيل.

وفكرة انتقال الفلسطينيين من لبنان إلى الأردن، ليصبح بمثابة الوطن البديل لهم، كل هذه النماذج من الأفكار الباطلة كانت موجودة بكثرة، ولا زلت أرى أنه لولا العلاقة مع الأردن لأصبحنا في حالة كارثية من الحرب وإراقة الدماء إلى يومنا هذا. انتابني القلق العميق من إقدام الجيش الإسرائيلي على علاقة رومانسية مع الكتائب، وكنت يائساً ومنزعجاً، إلى حد الجنون، من أن ندخل بالجيش الإسرائيلي في بركة من الدماء بلا هدف وبلا مخرج. لقد كانت مجرد مساعدة سرية، كما قررها "رابين"[1] في السبعينيات، لا يزال من الممكن قبولها، كأي مساعدة لحليف محتمل، لكن دون أن نشارك بجنودنا معهم.

(١) إسحاق رابين بالعبرية: יצחק רבין (١٩٢٢ -١٩٩٥): سياسي إسرائيلي وجنرال عسكري سابق في الجيش الإسرائيلي، يُعد من أبرز الشخصيات الإسرائيلية وأحد أهم متخذي القرارات في الشؤون الخارجية، العسكرية والأمنية في إسرائيل، وهو كذلك ورئيس وزراء الخامس، وتقلد هذا منصب خلال في فترتين؛ الأولى من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧ والثانية من ١٩٩٢ إلى ٤ نوفمبر ١٩٩٥، وقد تم اغتياله في علي يد أحد المتطرفين اليهود.

وهل عدت وحذرت مرة أخرى؟

حاولت التحذير لكنني صادفت جدارًا مانعًا، إذ أن قادة الموساد كانوا على اتصال دائم بالكتائب، وتم رفض أي انتقاد لفكرة التواصل معهم بشكل نهائي، لهذا السبب تم اعتبار جميع آرائي عدائية ومرفوضة من قبلهم، حتى أنني أتذكر أن شخصًا ما من جهاز الاستخبارات الإسرائيلية "الموساد" تعرفه زوجتي أخبرها بأن تنصحني بعدم إزعاجهم بآرائي التافهة، على حد وصفه.

كان على جهاز الموساد، باعتباره المسؤول الأول عن العلاقة مع الكتائب، أن يحذر من المخاطر الكامنة التي يمكن أن تهدد أمن دولة إسرائيل وجيشها، جراء هذه العلاقة لكن ومع الأسف كان "مناحيم ناحيك"[1] يثق بهذه العلاقة، لن أنسى كيف قال لي أثناء الحرب حينما كنا في مهمة للموساد شمال بيروت: انظر يا لها من علاقة مذهلة بيننا وبين الكتائب. وذلك حين طلبت شعبة العمليات

(١) مناحيم ناحيك نفوت: الشخصية الأمنية إسرائيلية، تولى مناصب رفيعة في جهاز «الموساد» ونائب رئيس الجهاز الموساد، ورئيس شعبة «تفيل» للعلاقات غير الرسمية مع الدول العربية والأجنبية التي لا تقيم علاقات دبلوماسية رسمية مع إسرائيل.

لدينا من الكتائب إطلاق النار على طول الخط الأخضر، واستجابوا بالفعل وفتحوا النار، فقلت له: "ناحيك" ما الذي تتحدث عنه؟ فقال: أنت دائماً تظلم اللبنانيين، وموقفك معروف بمعارضة الكتائب، قلت له، دعنا نذهب إلى الأمام قليلاً، لتعلم الحقيقة فقد لا نعود من هناك، لكنني متأكد أننا سنعود بالخبر اليقين، قال: "حسنًا، لنذهب."

وكان التقرير الذي أرسلته عقب هذه الزيارة كالتالي: "بحسب تقارير قواتنا -الموساد- حدث إطلاق نار كثيف على طول الخط الأخضر، لكن على الأرض، فإنه إطلاق نار متقطع وغير مفهوم للسوريين على الطرف الآخر من الخط، ربما تساءلوا عما تعنيه هذه النيران السخيفة التي فتحتها الكتائب عليهم، وقرروا أنها لا تتطلب استجابة أو رد".

ثم كانت هناك عملية استثنائية طُلب مني تنسيقها -إنزال قوات الجيش الإسرائيلي على طريق بيروت دمشق- حيث كانت القوات السورية الموجودة في المنطقة الجبلية جنوب الطريق، ولحاجة هذه العملية كان لا بد من عبور قواتنا عبر الأراضي المسيحية.

فجأة وصل "بشير" خرج من السيارة متشحاً باللون الأحمر،

وقال: "لن أسمح للجيش الإسرائيلي بالدخول" لماذا؟ "لأنني أريد أن أكون رئيساً لكل اللبنانيين".

"بشير" الذي أفسد عمليتنا حصل من الجيش الإسرائيلي على مجموعة كبيرة من العتاد العسكري تشمل دبابات وإمدادات لوجستية، لقد تلقى منا كل المساعدة التي يحتاجها، ماذا يعني أنه لا يسمح للجيش الإسرائيلي بالعبور عبر الاراضي المسيحية؟ بعد كل شيء فعلناه لأجلهم، يأتي ويتبجح أمامنا، في النهاية أوقف العملية، أوصيت "ناحيك" بالخروج من العملية، لكنها كانت توصية من رائد أمام منصب مسؤول كبير في الموساد. لقد كلفنا بإلغاء العملية لأننا عندما وصلنا إلى طريق بيروت دمشق بهبوط بري، كانت القوات الخاصة السورية موجودة بالفعل وألحقت بنا خسائر فادحة.

أتذكر ذات يوم وجدت نفسي أبحر لأجل مقابلة "كميل شمعون" عن طريق البحر، أنا أجلس مع أفراد من الكتائب في زورق مطاطي يتأرجح من جانب إلى آخر، مع سفينة صواريخ تابعة للبحرية ترافقنا من الخلفية، وفي كل لحظة يتعطل محرك القارب، قلت لنفسي: هذا هو وضعنا بالضبط.

هل عبرت عن مخاوفك لشارون؟

يا للأسف، لم أدخل في محادثة شخصية مع "شارون" توجهت إلى المقربين منه، وعلى رأسهم "إيتان" وأكد لي أنه سينقل الرسالة إليه شخصياً، لكنه لم يفعل. وهذا ما أريد التأكيد عليه، يا للأسف لم يكن لدي أي تأثير حقيقي على القيادة الإسرائيلية، أعني هنا "شارون" و" إيتان" و "يهوشع ساغي"[1]، كل هؤلاء، لم أتمكن من التواصل معهم بخصوص هواجسي، ولكن تقاريري وصلت إلى رئيس قسم الأبحاث "آفي يعاري"، الذي قال لي ذات يوم: اسمع، لديك مشكلة، تقاريرك غير مقبولة، أنت تمثل استثناءً، بل عِبْأ على جهازنا، إنهم يشتكون منك طوال الوقت، لا أعرف كيف أفعل معهم؟ يمكنك الاستمرار في تقديم تقاريرك، ولكن من اليوم وصاعداً ستصبح جميع التقارير التي تقدمها على مسؤوليتك الخاصة.

(١) يهوشوع ساغي ١٩٣٣: هو عسكري وسياسي إسرائيلي بارز، وخدم في عدة وحدات في الجيش الاسرائيلي، منها: قائد مدرسة الاستخبارات، مساعد رئيس شعبة الاستخبارات لقضايا البحث، ورئيس شعبة الاستخبارات بين ١٩٧٩ و١٩٨٣، اوصت لجنة كاهان المكلفة بالتحقيق في مجزرة صبرا وشاتيلا بتنحيته مشيرة في تقريرها الى انه اظهر لامبالاة وعدم اهتمام وغض النظر والسمع عما كان يُخطط له في المخيمات الفلسطينية.

سأقدم لك مرجعًا مستقلًا، -٦٩٩ هذه هي بداية المرجع، أتذكره حتى يومنا هذا، ٦٩٩ متبوعًا بشرطة مائلة / ٠٠١، ٠٠٢، ٠٠٣- اكتب ما تريد، لكن الاستخبارات العسكرية ليست مسؤولة عن تقاريرك.

كان هذا الأمر سخيفاً، أنا مجرد ضابط كان بإمكانه طردي، لكنه قال لي: اسمع، قم بكافة التكليفات الموكلة إليك، وتناول مشروبًا، وليس أكثر من ذلك" إنه عميد وباحث في قسم الأبحاث وأنا رائد، قال لي: اكتب ما تريد، لكننا لسنا مسؤولين عن سخافاتك. الشخص الوحيد الذي استطعت أن أتحدث إليه بهذا الموضوع وأن أُنْبِئه مخاوفي كان "أوري ساغي"[1]، الذي كان عميداً ورئيساً لقسم العمليات، لقد كان قوياً جداً في الأعمال التي توكل إليه، أعتقد أنه إذا كانت هناك للقوة مئة درجة، فسيكون ل "أوري" الدرجة النهائية.

لم يكن لدينا في ذاك الحين منصب رئيس قسم العمليات، فهو في الواقع رئيس الفرقة، أضف إلى ذلك خلفيته وإنجازاته كقائد

(١) أوري ساغي (١٩٤٣): (اللغة العبرية: אורי שגיא) هو جنرال إسرائيلي شغل عدة مناصب مهمة، منها قيادة كتيبة جولاني ورئيس وحدة العمليات في هيئة الاركان العامة للجيش الاسرائيلي خلال اجتياح لبنان بما في ذلك قائد لواء جولاني ورئيس جيش الدفاع الإسرائيلي مديرية المخابرات العسكرية.

عظيم في قوات جولاني، باختصار كان شخصًا رائعًا، وكان دومًا على استعداد للاستماع إلي. ذات يوم أتيت إليه وقلت له: اسمع ما الذي يمكن أن نفعله لإنقاذ الجيش الإسرائيلي وجنودنا من فكي هذا الوهم؟ سألني عما أقترحه، قلت له: دعنا نذهب معًا إلى المقر العام للكتائب. سأقدم لهم مراجعة باللغة العربية، نوع من المحاضرة التي ستبدأ بفصل ممل للغاية، وسأحرص على أن تكون مملة، تسمى ميزان القوى في لبنان، وستكون بابًا للاتهامات: أنتم فاقدين للقدرة العسكرية، وغير أَكْفاء وستجرون الجيش الإسرائيلي إلى كارثة. أنا أشعل عاصفة. ثم تقول أنت لهم: "عاموس جلعاد" رائد شاب ودود القلب، وتقول نفس الأشياء التي قلتها، فقط بطريقة أقل صراحة، مثل الشرطي الصالح والشرطي السيئ. الشيء الرئيسي هو أنهم يفهمون أننا نسير معهم في طريق كارثي.

وصلنا إلى المقر العام للكتائب في الكرنتينا، بالقرب من ميناء بيروت، الحقيقة أنني كنت متحمسًا للغاية لهذا اللقاء، كان الأمر مخيفًا، أتذكر أن "أوري ساغي" كان جنرالًا مرموقًا، لكنني كنت مجرد ضابط صغير نسبيًا، نهضت وبدأت محاضرة مملة للغاية، كادوا أن يناموا، وفجأة في تصعيد مثل الموشحة الدينية، بدأت أصرخ بصوت عالٍ: أنتم سيئون، أنتم غير أكِفَّاء، وليس لديكم قدرة عسكرية."

ثم لدهشتي المطلقة نهض "بشير جُميل" يكسوه اللون الأحمر، وبدأ بالصراخ في وجهي واقتبس أشياء قلتها ضدهم في مناقشات داخلية مغلقة وسرية في مؤسسة الدفاع، الاقتباسات كانت دقيقة، هذه حقا أشياء قلتها، لقد أذهلتني...!! أعني لقد سرب إسرائيليون كلماتي إلى الكتائب، إنه لشرف لضابط برتبة رائد أن يعرف قائد الكتائب ما يقوله، وأدركت أن ما أقوله في مناقشات مغلقة وسرية للغاية في إسرائيل يصل إلى آذان زعيم الكتائب، وهو أمر لا يمكن تصوره، "بشير" صاح وصرخ.

كان الأمر مزعجًا حقًا، ثم وقف "أوري ساغي" وقال: حسنًا أسلوب "عاموس" غير مقبول بالنسبة لي، لكنني أقترح عليك الاستماع إلى رسائله القاسية".

انتظر هل تقول إن شخصًا ما سرب ل "بشير" من داخل مناقشات سرية في جهاز الأمن؟ من يكون في اعتقادك؟

أنا مقتنع أنه كان شخصًا من الموساد.

لقد تحدثت إلى نفسك بالفعل إن تحذيراتك ومخاوفك وصلت إلى آذان «بشير» ولكن لم تصل إلى آذان القادة في إسرائيل؟

صحيح، ما أثار فزعي أنه أرائي بخصوص الكتائب لم تتسرب

إلى الأعلى، لا إلى الموساد، ولا إلى الجيش، ولا إلى "شارون" نفسه، لم يفهموا أننا كنا نتعامل مع محتالين أرادوا أن يكون جنود الجيش الإسرائيلي مرتزقة تحت تصرفهم لكي يُطَهَّرُ لهم لبنان من "الإرهابين". كان هناك ضباط في جهاز الاستخبارات لديهم مثل "أرائي" لكن أصواتهم لم تُسمع، كرئيس الاستخبارات العسكرية "يهوشع ساغي" لكنه كان يخشى التعبير عن رأيه.

وقد أرسل الموساد لرئيس الوزراء الراحل "مناحيم بيجين"[1] بتقارير مثيرة للاهتمام عن إساءات باغية للسوريين تجاه المسيحيين، لدرجة أن "بيجين" وصفهم -أي السوريين- بـ "النازيين" وكان "بيجين" بالنسبة لي شخصية تاريخية، لكنه في هذه الحالة كان قد وقع في الفخ.

لقد قاموا بنقل جميع الرسائل ذات صلة بالكتائب إلى "بيجين" مباشرة من خلال الموساد، بنظري أصبح الموساد يؤدي دور الاتصال بدلاً من إجراء التحليل، وبالمناسبة لم أحاول التواصل

(١) مناحيم بيجِين (١٩١٣-١٩٩٢): (بالعبرية: מנחם בגין) هو سياسي وعسكري إسرائيلي، ومؤسس حزب الليكود وسادس رؤساء وزراء إسرائيل. وقبل قيام دولة إسرائيل كان قائد المنظمة العسكرية القومية ارجون، حصل على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع الرئيس المصري الراحل أنور السادات.

مع "بيجين" بهذا الشأن، بل لم أقابله قط، إلا مرة أو مرتين، لكنها لا تحسب.

خذ على سبيل المثال قصة "زحلة" مدينة جميلة، فقد ادعت الكتائب أن المسيحيين كانوا تحت حصار الجيش السوري وأن السوريين كانوا على وشك تدميرهم وذبحهم، لقد نقل الموساد رسائلهم إلى بيجين الذي كان إحساسه الأخلاقي عالياً لدرجة أنه أمر بمهاجمة السوريين لمنع مذبحة ضد المسيحيين، ونتيجة ذلك هاجمنا السوريين بطائرات مروحية. كان واضحاً لي أن الكتائب كانت تكذب، وأن السوريين لا يخططون لأي شيء ولا يُحضّرون لشيء، حتى لو أراد مهاجمتهم في "زحلة" فيمكنهم القيام بذلك بكل سهولة واحتلال "زحلة" لأن الكتائب بكل بساطة كانت فاشلة ولم يكونوا قادرين على القتال.

ببطء أدركت أن هناك تحالفًا بين السوريين والمسيحيين، ربما ليس تحالفًا بالضبط، لكن كان لديهم قاسم مشترك، العلويون أقلية صغيرة في سوريا، ١٢ ٪ مليون وما شابه، والمسيحيون أقلية في الشرق الأوسط بشكل عام، وكان بينهم تحالف سري للأقليات. لقد جادلت آنذاك، وأدعي اليوم، رغم أنني لا أستطيع إثبات ذلك، أنهم تعاونوا، وإلا كيف يمكن للمرء أن يفسر على سبيل المثال، أنه

أثناء الحرب لم يتم مهاجمة المسيحيين قط بالكاتيوشا، لا من قبل السوريين ولا من قبل الفلسطينيين!!

لقد كانت جميع تقارير عملاء الموساد الذين عملوا مع الكتائب رائعة للغاية، لكنها لم تكن مبنية على معلومات استخبارية حقيقية، لقد عرفت الكتائب كيفية استغلال ولائنا لهم لتصفية الحسابات مع الفلسطينيين، وهو أمر مشروع بحد ذاته، وقاموا بقصفنا بعدد من بتقارير التي كانت مثيرة للإعجاب من حيث المضمون ولكن على أرض واقع لا أساس لها و على سبيل المثال، بناءً على تقاريرهم المزيفة هاجمنا حصن يقع على جزيرة على مدخل ميناء طرابلس، بزعم وجود أسير إسرائيلي محتجز هناك، كان من الواضح لي أن هذه كذبة، كذبة جديدة تضاف إلى سلسلة أكذبهم التي لا تنتهي. كانوا يقولون لنا: أطلقوا النار على هذا المنزل وذلك لأن عرفات يختبئ فيه، هذا أيضاً بالطبع كان كذبة، لقد استغلونا لتصفية الحسابات مع منافسيهم المحليين، شعرت بالخجل من أن أكون إسرائيليًا يقوم الكتائب بخداعه.

مثال آخر: أبحرنا إلى لبنان في سفينة صواريخ، وكان وفدنا يضم بنيامين بن إليعازر[1]، ناحيك وأنا، للقاء زعماء الكتائب، كان هناك

(١) بنيامين (فؤاد) بن إليعازر (١٩٣٦-٢٠١٦): (بالعبرية: בנימין פואד בן =

أمر من "إيتان" رئيس الأركان، بأنه إذا توصلنا فعلاً أن الكتائب في خطر، فسنرسل له رسالة، ثم تهاجم قواتنا الجوية العدو المفترض.

عندما وصلنا قال "ناحيك": نعم، هم بحاجة لمساعدة، واتفق بن "إليعازر" معه، قلت له: لا يمكنك فعل ذلك، إنهم كاذبون، لا أصدق كلمة واحـدة منهم وأعلنت أني: سأذهب إلى قائد الاستخبارات العسكرية أو إلى قادتي، وأحاول إقناعهم بألا يقبلوا استنتاجاتكم التي تستند فقط إلى تقارير الكتائب. ظللت أزعم طوال الوقت أن كل شيء كذب، في النهاية نزلوا على رأيي.

هل تزعم فعلاً أن الموساد كذب على رئيس الوزراء وعلى صناع القرار؟

أدعي أن المعلومات الاستخباراتية التي قدموها إلى رئيس الوزراء وإلى صناع القرار كانت معيبة تمامًا. انظر، أنا أثق في عقيدة الاستخبارات، عمل الاستخبارات بسيط للغاية: يجب أن تكون لديك الحقائق راسخة على أرض الواقع، قد تختلف التقارير، لكن

= **אליעזר) هو سياسي وجنرال إسرائيلي. كان عضو الكنيست الإسرائيلي خلال الفترة (١٩٨٤ -٢٠١٤)، وشغل منصب وزير الصناعة والتجارة والأيدي العاملة في الحكومة الإسرائيلية، كان قائداً لوحدة شكيد العسكرية إبان حرب ١٩٦٧. شغل مناصب وزير الدفاع وزير الاتصالات وكذلك وزير البنى الأساسية.**

الأساس الواقعي يجب أن يكون واحدًا، من الأفضل أن يكون لديك تقييم سليم، ولكن إذا كان لدى شخص ما تقييم مختلف، فلا بأس بذلك، فهناك مفهومان أساسيان في علم الاستخبارات: قدرات ونيات الخصم، لقد تحدثت بالفعل عن جانب القدرات، وفيما يتعلق بالنوايا رأيت في الكتائب خصما، ولهذا تم تأنيبي من قبل رئيس الاستخبارات العسكرية.

لماذا رأيتهم عدوا؟

لأنني تيقنت من خطورتهم وأنهم يجرون الجيش الإسرائيلي إلى كارثة.

متى أدركت أنكم ذاهبون للحرب مع السوريين؟

أذكرك أنني في إطار دوري الرسمي تعاملت مع الجيش السوري، وكان من مهامي أن أكتب تقارير استخباراتية عن نيات الجيش السوري، وجدت أننا نعد تقارير استخباراتية ليس لعملية ضرب منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، بل للاشتباك مع الجيش السوري المنتشر في عمق لبنان. تساءلت ما علاقة هذا بالقضاء على الإرهابيين؟

قبيل الحرب، رأيت أننا ببساطة نسير نحو مواجهة غير ضرورية مع السوريين. وحتى مع الفلسطينيين، لكن هذا يمكن فهمه وتقبله،

لأنهم كانوا إرهابيين. كان من المستحيل الشعور بذرة من التعاطف معهم، لقد استخدموا لبنان كأساس لهجمات خطيرة للغاية: الهجوم على الطريق الساحلي، وفندق سافوي، وإطلاق الكاتيوشا، والهجمات الإرهابية الأخــرى. لكن أي شخص على دراية بالمعلومات الاستخباراتية كان يعلم أن الإرهابين الفلسطينيين كانوا تحت وطأة السوريين، ففي ذلك الوقت، كان ما يقرب من ٤٠٠٠ فلسطيني يتعفن في السجن في سوريا. بالنسبة للسوريين لقد كرهت حافظ الأسد الذي كان رجلاً قاسياً وذلك بعد مجزرة "حماه"، لكنني في نفس الوقت حاولت أن أرى من الذي يساعد إسرائيل ومن يضرها، وما رأيته هو أنه في مرتفعات الجولان، حيث يوجد السوريون، لا يوجد إرهاب، وفي لبنان، في نفس الأماكن التي يتواجد فيها السوريين، لم يكن هناك إرهابا أيضًا. أتذكر الآن حدثًا آخر، "الغرفة الفرنسية" وهي نقطة مراقبة أقامها الفرنسيون على قمة جبل صنين في بداية القرن العشرين، قبل الحرب كانت من ضمن المناطق الواقعة تحت سيطرت المسيحيين، أخبرنا مصدر من الكتائب أن السوريين على وشك الاستيلاء على جبل صنين، ثاني أعلى جبل في لبنان، أتذكر المساعدات الاستخبارية التي قدموها لنا بهذا الشأن، لكنني ظللت أشعر أن السوريين لم يرغبوا في السيطرة

قمة جبل صنين، لأنه كما قلت من قبل، هذا تحالف أقليات.

وفي النهاية كانت كل العلاقات مع الكتائب سحرًا زائفًا، لقد اعتقدت قيادتنا العسكرية "شارون" و "إيتان" وآخرون بصدق أنه يمكن التعويل على الكتائب لإجاد حل جذري في الشرق الأوسط، في ظاهر الأمر كانت هذه الأفكار رائعة، لكنها كانت تناسب الساحة اللبنانية، وفي كل مرة حينما أتذكر ضحايانا، ورجالنا الذين قاتلوا هناك ولم يعرفوا من أجل من كانوا يقاتلون، أفكر كم كان موتهم عبثياً.

الفصل الثاني
كارثة مُدبرة مسبقًا، مذبحة في مخيم اللاجئين

سأعود بك إلى ١٤ سبتمبر من العام ١٩٨٢، أين كنت عندما قُتل "بشير الجميل"؟

كنت في مقرنا العام في لبنان، عندما وصلنا بلاغ الاول بأن مقر الكتائب في حي الأشرفية في بيروت قد انهار.

كان هذا المبنى مكون من ثلاثة طوابق، وعرفنا أن "بشير" كان من المفترض أن يُلقي خطابًا في نفس الوقت، وعندئذ بدأوا في إذاعة موسيقي كلاسيكية في إذاعات الكتائب، وبث رسائل طمأنينة، كانوا يُذيعون تقارير تُفيد بأن "بشير" حي، لكن سرعان ما عرفت بأنه قد مات.

أخبرت قادتي أنه إذا تم إذاعة موسيقي كلاسيكية وبث رسائل مطمئنة ولم يتحدث "بشير"، أو بمعنى آخر إذا لم يظهر "بشير" في بث إذاعي ويُصرح بأنه مازال على قيد الحياة وأن كل شيئًا على ما يرام، ستكون هذه علامة على أنه قد مات، وفي النهاية اتضح أنه قد قُتل.

أنا أتذكر الرسالة التي تلقاها "بشير" في ذلك الوقت من السوريين، والتي تُفيد بأنه إذا كان هناك اتفاقية سلام مع إسرائيل ستصبح زوجته أرملة، وهذا بالضبط ما حدث.

بالمناسبة، كانت عملية سورية بارعة، وكان المسؤول عنها ضابط استخبارات سوري يطلق عليه اسم "نبيل العلم"، والذي قام بدوره بتجنيد شاب يبلغ من العمر ٢٦ عامًا باسم "حبيب الشرتون" وكان الأخير عضواً في نفس الوقت في الحزب السوري القومي العلماني، شديد التطرف والمعادي لإسرائيل.

كان "الشرتوني" حفيد صاحب المبنى وقبل يومًا من إلقاء خطاب "بشير"، وضع "الشرتوني" مواد متفجرة على أرضية الدور الثالث، فوق المنصة التي سيقف عليها "بشير" مباشرة، وقام بتفعيل العبوة بجهاز تحكم عن بُعد لكي يتحكم بها وقت إلقاء الخطاب، وهذا ما حصل، انهار المبنى وقتل "بشير"، وهكذا وصلنا إلى مجزرة صبرا وشتيلا.

ماذا تقصد بعبارة «وهكذا وصلنا إلى مجزرة صبرا وشتيلا»؟

في أعقاب مقتل "بشير" اتخذ الجيش الإسرائيلي قراراً بضرورة الدخول إلى بيروت الغربية، ودعاني قائدي "أرون شاحور" الذي

كان يعمل عقيدًا وقائداً ميدانياً آنذاك، وقال لي: أنا أرشحك لتمثيل فرع المخابرات في المنطقة، قلت له: لكني لا أعرف ماذا أفعل في المنطقة، لا يوجد ارهابيين، ولا يوجد قوات مسلحة فقط نساء وأطفال ومسنين، ويمكن للجيش الإسرائيلي السيطرة على تلك المنطقة بسهولة، أنا لا أرى أي فائدة من السفر إلى هناك.

عندئذ قال لي قائدي "أرون": حسناً، أنت لا ترى أي فائدة من السفر إلى هناك، لكننا نرى ذلك، أنت ممثلنا، انتهى، هذا أمر يجب تنفيذه في الحال، اذهب إلى هناك.

قلت له: ماذا؟ أين؟

لم يكن هناك أي شيئًا واضحًا، حتى أنني لم أكن أعرف كيف أصل إلى هناك.

قالوا لي: أستقل سيارة إلى طائرة هرقل، كان هناك خط منتظم لطائرات هرقل في قاعدة تابع لسلاح الجو الإسرائيلي في مطار "بن غوريون" يصل إلى المطار الدولي في بيروت.

ذهبت إلى مطار بن غوريون وتوجهت إلى قاعدة سلاح الجو الإسرائيلي، لا أعرف كيف تقابلت في الطريق مع الجنرال "أهارون ياريف"، الرئيس السابق لشعبة الاستخبارات الذي كان في ذلك

الوقت متطوعًا للعمل كمستشار خاص للواء القيادة الشمالية للاستخبارات.

أشار لي لكي أتوقف، لا أعرف كيف تعرف عليَّ وهو داخل السيارة، توقفت، كان "ياريف" رجلًا رائعًا، وليس له مثيل في ذكائه، وكان مثقفاً حقاً قال لي: هل تستطيع أن تصف لي ما حدث، وعندئذ قصصت له الكثير عن غدر المسيحيين كما رأيته.

قلت له: اسمع، سنقع ضحية عملية احتيال كبيرة، كان "ياريف" يشعر بالصدمة.

قال لي: ماذا؟ حتى هذه الدرجة! أنا لم أسمع مثل هذا الكلام من قبل، والأمـور التي سمعتها من القيادات العليا معاكسة تمامًا لما تقول.

قلت له: لذلك أنا أخبرك، تعد الكتائب جماعة غير موثوقة، هم ببساطة كذابين، ويحاولون سحبنا من أُنُوفنا، وأنا خائف من أن يتورط جنود الجيش الإسرائيلي هناك، على كل حال، هذا أمر محزن.

ظل القائد يستجوبني مرارًا وتكرارًا ثم ذهب كُلاً منا في طريقه.

أنت تعلم ماذا سيحدث إذا نقلت رسالتك إلى أمثال الجنرال "أهارون ياريف؟

ليس لدي أدنى فكرة على كلٌ تركته ودخلت إلى قاعدة سلاح الجو، كانت تنتظر هناك طائرة هرقل، قلت لهم: أريد أن أسافر إلى بيروت، لم يسألوني من أرسلك، أو ما الذي أرسلك، على الأرجح وثقوا بي، صعدت إلى الطائرة وبعد مرور أقل من ساعة هبطنا في بيروت، لم أكن أعلم أن كل حياتي على وشك أن تتأرجح، قلت لنفسي: تم تكليفك بمهمة، اجلس في غرفة العمليات العسكرية وسيمضي كل شيء.

حسنا، نزلت من الطائرة، ووصلت سيارة جيب مسرعة كالعاصفة، توقفت بجانبي حتى أنني سمعت صوت صرير الفرامل، نظرت إلى سائق السيارة، كان "مائير داغان" الذي كان يعمل آنذاك عقيد اللواء "باراك" المدرع ١٨٨.

كنا قد تعرفنا على بعضنا البعض قبل اندلاع الحرب.

نظر "مائير" إلي وقال لي: "عاموس" ماذا تفعل هنا؟ لم أنس هذا الموقف، قلت له: أنا نائب شعبة الاستخبارات العسكرية لتنفيذ عملية السيطرة على بيروت الغربية.

قال لي "مائير": حسناً، هيا بنا ننقلك، لأنك لن تذهب إلى هناك وحدك، ليس لديك سيارة وليس معك أي شيء.

كان مقر قيادة قائد الكتيبة يقع في مدينة عالية، ويوجد شماله جبال الشوف، التي تمتلك منظر طبيعيًا رائعًا، وكانت تُستخدم كخلفية رائعة لأفلام الحب اللبنانية الدرامية.

كان القائد يعيش في فيلا ما، كان يمتلكها شخص كويتي الجنسية سابقًا، وكانوا يطلقون عليها مقر قيادة "بارليف".

أقلني "مائير" إلى هناك أخذنا ما يقرب من ساعة في الطريق، وصلت إلى مقر القيادة العامة، فتحت الباب كان يجلس هناك نائب ضابط المخابرات، نسيت اسمه، قال لي: ويلاه، لم ينقصنا إلا أنت، ستجلب لنا المشاكل، أنا لا أريدك أن تدخل إلى غرفة العمليات العسكرية اجلس في الخارج.

حسناً، جلست في الرواق، وعندئذ مر هناك بالمصادفة "أمير دروري"[1] لواء قيادة الشمال، والذي يُعد من المحاربين والقادة

(١) أمير دروري (١٩٣٧): هو عسكري إسرائيل بارز، تجند للجيش في لواء جولاني، وقاد لواء جولاني خلال حرب وأكتوبر عام ١٩٧٣، وعين في عام ١٩٨١ قائدا للواء الشمال وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٨٣، وأشرف بنفسه على عملية إخراج القائد ياسر عرفات وعدد كبير من قيادات منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، ووجهت إليه لجنة كاهان التي حققت في مجزرة صبرا وشاتيلا سلسلة من الملاحظات حول سلوكه وتصرفاته خلال وقبل المجزرة. وسرح من الجيش على أعقاب هذه الملاحظات.

المبجلين في الجيش الإسرائيلي، وكان يسير معه "موشيه تسوريك" ضابط مخابرات في القيادة برتبة عقيد.

ولنكن صادقين كتب "دروري" بعد ذلك أنه لم يراني قط ولا يعرف من أنا، كان "هاري" في ذاك الوقت يعمل لواء وأنا كنت مجرد رائد، ولكن هذا الأمر غير مضبوط، فهو كان يعرفني جيدًا بسبب عملي في مجال مكافحة الإرهاب، خاصة عندما كنت أعمل في الفرع التابع لشعبة الاستخبارات العسكرية، وأذهب إليه مرة على الأقل كل أسبوع، عندما كان رئيس فرع العمليات. على كل حال في نفس الوقت عندما كنت في مركز قيادة قائد الكتيبة لم يتحدث معي. توقف "تسوريك" بجانبي وقال لي: "اسمع يا "عاموس" لدينا فكرة عبقرية، سنذهب لإحضار الكتائب لكي نستطيع التعامل مع الإرهابين الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين صبرا وشتيلا، وهكذا نسيطر عليهم.

أجبت: لماذا تُعرض جنود الجيش للخطر؟

على ما يبدو أنها فكرة ممتازة، لكني فهمت على الفور ما الذي سيحدث، قال لي "تسوريك" أن "إيلي حبيقة" سيرأس القوة.

"حبيقة" هذا القاتل المحتال، تذكرت المعلومات التي قيلت لي

عنه، من كل معارفي من الكتائب ومع هذا الرجل الذي تعايشت معه لمدة سنتين، وكان بيننا علاقات شخصية، وقبل ذلك عندما كنت رئيس قسم في لبنان، تبعثرت الأفكار في رأسي، ولكني أجبت بشكل تلقائي وصرخت قائلًا: هل جننتم؟ هذا الأمر أشبه بتحول كيميائي، أن تخلط مادتين وتتسبب في حدوث انفجار. وهذا سيؤدي إلى وقوع مذبحة، لا توجد أي احتمال آخر لعدم وقوع مذبحة، وأنا أيضاً لا أثق أن كان يوجد هناك ارهابيين، يوجد فقط نساء وأطفال سيقتلون جميعاً، هكذا صرخت بمليء حنجرتي وارتعش جسمي بالكامل.

نظر إلى لواء القيادة ولم ينبس ببنت شفة، صرخت مرة أخرى: ستقع مذبحة.

وهنا أشار اللواء إلى "تسوريك" أنه يجب عليَّ أن أذهب، وخرجوا هم أيضاً لم يقولوا "نعم" ولم يقولوا "لا"، فقط تجاهلوا ما قلته وذهبوا.

مرت ساعتين وأنا في الخارج جالس في الرواق، وعندئذ سمعت من خلال الباب النصف المفتوح أن نائب قائد القيادة تلقى تقريرًا من "يوسي بن أري" ضابط المخابرات وقائد فرقة المجموعة ٩٦،

الذي كان يعمل في ذلك الوقت مقدماً، وكان يقول: هناك أشخاص يحبون تكرار ما يُملى عليهم مرارًا حتى يكونوا مطمئنين. وهكذا سمعت كل شيء، ووفقًا للتقدير الأولي قُتل حتى الآن حوالي ٣٠٠ شخص من ضمنهم نساء وأطفال.

بالضبط ما حذرت منه قبل ساعتين حدث، عندئذ أدركت أن ما قلته للقائد العام، حتى وأن لم يكن بصيغة رسمية لم يترك أي تأثير لديه، كنت مرتبك جدًا، شعرت وكأن هناك نار مشتعلة في رأسي، كان شعور لا يحتمل، وهنا قررت أن ألتقط الهاتف اللاسلكي، وأبلغ بشكل مباشر فرع الاستخبارات العسكرية، الذي يعمل على مدار ٢٤ ساعة طوال أيام الأسبوع حتى في يوم عيد الغفران. وقررت أن أقدم بلاغات متنوعة إلى جميع دوائر الاستخبارات الإسرائيلية.

تحدثت مع رئيس المناوبة الذي كان يعمل ضابط بدرجة رائد، وقلت له: اسمع لدي بلاغ، وأريد أن تدون ما سأقوله، أؤكد لك أنه بلاغ حساس بطبيعته، وليس حسب تصنيفه، ويُعد من الرسائل التي ستُلفت انتباه رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية ومساعده في التحقيق.

مساعد رئيس شعبة الاستخبارات الذي ندعوه اليوم رئيس قسم

التحقيق -كلا اللقبين غير ناجحين- لأنه هذا ليس تحقيقًا لكنه تقدير للاستخبارات القومية.

وعندئذ أبلغت رئيس المناوبة عن كل ما سمعته في غرفة العمليات العسكرية، وقلت له: أنه وفقًا للتقرير الأولي فإنه قد قُتل حتى الآن في مخيم اللاجئين ما يقرب من ٣٠٠ شخص من بينهم نساء وأطفال.

عبارة تقرير أولي بالنسبة للمخابرات تعني أنك لا تملك حتى الآن أي أُسس أو برهان يثبت صحة ما تقول، فربما يكون هذا الأمر صحيحًا وربما لا. لكنني أجد أنه من المهم أن أقول هذا الأمر، وقلت له: اعتني بهذه التقارير حسب أهميتها، أو بمعنى آخر انقل التقارير إلى رئيس شعبة الاستخبارات ومساعده للتحقيق.

بعد مرور ما يقرب من نصف ساعة أو حوالي ثلاثة أرباع ساعة اتصلت مرة أخرى بمركز الاستعلامات لشعبة الاستخبارات؛ لكي أسأل هل تم التعامل مع هذا الأمر؟ أكد علي رئيس المناوبة، أنه بالفعل قد تم النظر في هذا الأمر، وبعد وقوع الحادث، اتضح لي أنه لم يفعل ذلك! شعرت أنني تخلصت من عبء، ربما أردت أن أساهم في شيئاً كهذا، ولكن ما كنت أخشاه حصل.

الجيش الإسرائيلي لا يتورط في عمليات القتل لأن هذا الأمر أشبه بفرية الدم، فهو لم يكن يُخطط لقتل مواطنين فلسطينيين، ولكن كان المقصود تخفيف العبء عنه، ربما هذا يبدو منطقي، لكنك يجب أن تعرف دائما مع من تعمل، وهذا ما كان يجب على الموساد أن يفعله وما كان يجب أيضا على ضباط الجيش الإسرائيلي الذين أعجبوا بالكتائب أن يفعلوه.

في اليوم التالي انضممت إلى جهاز الأمن العام الشاباك للعمل في جميع أنواع المهام التي يتضمنها، مثل قوة مساعدة المنسقين، حتى قبل الحرب كنت ملزماً بكتابة تقارير موجزة عن المنظمات الموجودة في لبنان، ليس المشهورة منها فقط، ولكن أيضاً المنظمات الصغيرة التي يرتبط اسمها عكسياً مع الحجم الحقيقي لها.

أنا أتحدث معك عن المنظمات التي يتكون اسمها من حوالي ١٥ كلمة، والتي بالكاد تسيطر على نصف مساحة الشارع، نجحنا في الاستخبارات من التركيز على جماعات كهذه وغيرها في تقارير المكتوب.

من ناحية عملية كنت راضي جدًا عن عملي مع الشاباك، لأنه قد قام بأعمال جوهرية في لبنان، مثل المنظمات المنسقة والعالمية،

فهو يعلم ماذا يفعل، حتى في الظروف الصعبة وصلوا تقريبًا إلى الجميع.

وصل منسق الشاباك إلى شاب وسأله: من أي منظمة أنت؟ وأنا أنظر في التقرير، وهو في حالة دهشة وهذا الأمر يُثير انتباهي.

كانت هناك أمورا رائعة أيضا أثناء العمل معهم، فقد عثروا على مكتب ومنزل مسؤول في حركة فتح الذي كان يُعد المُزور الرئيسي للوثائق في منظمة سبتمبر الأسود، كما وصلوا أيضاً إلى منزل رئيس المخابرات السوري. في الحقيقة أنا أحببت جدًا هذا العمل، لأننا يمكننا من إلحاق الأذى "بالإرهابيين الفلسطينيين الحاقدين"، الذين تعاملت معهم لسنوات طويلة.

على كل حال، كنت منضم في نفس اليوم إلى الشاباك وبطريقة ما تجولت في منطقة مخيم اللاجئين في بيروت، وفجأة خرجت من هناك سيدة فلسطينية تُشير إلى صدرها وتصرخ: "صلبوني، صلبوني".

في اللحظة الأولى لم أفهم ماذا تريد، فأنا لم أكن قد تعلمت اللغة العربية بعد، ولكنني تعلمتها على مدار سنوات لاحقة، سألتها ماذا تعني الكلمة التي تُرددها؟ وعندئذ فهمت ماذا تعني، خاصة عندما

اتضح لي أن الكتائب نقشوا لها رمز صليب بالسكين على صدرها، صليب من الدماء!

بالنسبة لي كان هذا الأمر يُعد دليل آخر على أن الكتائب من أبغض أنـواع البشر على الاطـلاق، فهم أشخاص قـادرون على الكذب والتزوير.

أؤكد مرة أخرى لم يكن لدي أدنى شك أن للجيش الإسرائيلي مسؤولية افتراضية مباشرة على المذبحة في مخيم صبرا وشاتيلا، حتى أن لجنة التحقيق حسمت هذا الأمر.

أنا لا أقول إنه ليس عليهم أي ذنب، لكن لا يوجد أي شيء مثل ذبح مواطنين وإلحاق الأذى بهم، في الجيش الإسرائيلي هذا الأمر يُعد مخالف للقواعد ومنافي للأخلاق، وليس لإسرائيل أي مسئولية مباشرة تجاه العرب الذين يقتلون بعضهم البعض، لكن ربما عليها مسؤولية غير مباشرة، وأنا خائف من أن تتورط إسرائيل عقب وقوع المذبحة بسبب هذه المسئولية غير المباشرة.

في الوقت الحالي أنا أتذكر البلاغ الذي قدمته لضابط المناوبة في شعبة الاستخبارات العسكرية بعد أن سمعت الحديث عن مقتل ٣٠٠ مواطن في المخيم.

وبعد مرور أربع وعشرون ساعة علموا في جهاز المخابرات أنني من قدم هذا البلاغ، ولم يفعل أي شخص أي شيء تجاه هذا البلاغ، واتضح لي أيضا أن القائد العسكري الذي كتب البلاغ وضعه في خانة مُعد لمواد استخباراتية خاصة، بمعني أنه لا يمكن نقله إلى رئيس الحكومة أو وزير الدفاع دون موافقة من رئيس المخابرات. لكنني لم أكن أعرف على أي هيئة قد صيغ البلاغ، ولم يكن يعنيني هذا الأمر أيضاً، ولم أطلب منه أيضاً إرسال البلاغ إلى رئيس الحكومة، أو وزير الدفاع، أنا ضابط في المخابرات وأرسل تقاريري إلى قادتي، وهذا هو كل ما في الأمر.

اختصارًا، بدأ وابل من الاتصالات وتلقيت أمر استدعاء للتحقيق لدى رئيس المخابرات اللواء "يهوشع شاغي"، وضابط المخابرات الرئيسي العميد "تسابي شيلر"، كلاهما أشخاص مخيفون أقصد "شيلر" و"شاغي" وليس "أوري" و"يهوشع".

قطعت مسافة الطريق كاملاً من بيروت وحتى تل ابيب، ثم دخلت إلى الغرفة، ووجدت صفوة من رجالات المخابرات كانوا يجلسون هناك.

كشخص يعمل لواء فهمت ماذا يعني وقوف رائد أمام لواء هذا

الأمر أشبه بنملة تسير على الحائط يمكنك أن تسحقها في أي وقت، كأنها لم تكن موجودة من قبل، هذا ليس له علاقة بالقوة، ولكن... لم أفهم هذا الأمر.

قالوا لي: سنحقق معك، ماذا فعلت في بيروت؟ قلت له: ماذا يعني ماذا فعلت في بيروت كنت نائبكم هناك.

أجابوا: جيد.

ثم سألوني العديد من الأسئلة الأخرى، وبعد ذلك اختتم رئيس المخابرات الجلسة قائلًا: أنا أرى أن الطريقة التي تصرفت بها هي مثال على عدم عمل ضابط المخابرات، أنا أؤكد لك أنت لا تعمل، وستكون مثال وموضع سخرية لضابط المخابرات الاخرين.

كنت مرتعبا، يجلس هناك في الطرف الأخر ضابط مخابرات بغيض، ورئيس شبعة الاستخبارات المفزع، وأنا أقف مثل الحشرة الصغيرة مجرد رائد.

على الرغم أنني كنت أعتقد أنني قمت بعمل جيد في بيروت، وبصعوبة تمكنت من أن أسأل بصوت مرتعد لماذا؟؟ أي خطأ ارتكبت؟؟ وعندئذ قال لي "يهوشع شاغي" أنت أبلغت عن كل شيء-الأزرق هو قوتنا والمخابرات تبلغ عن الأحمر أنه هو العدو.

أنا فهمت أن الأزرق يُشير إلى الكتائب، فسألته: إلى ماذا يُشير اللون الأزرق؟ أجابني قائلًا: الكتائب.

قلت له: معذرة قائدي، قواتنا هي الجيش الإسرائيلي فقط، والكتائب غير تابعة له، بالنسبة لي تُعد الكتائب خصم وعدو ويجب أن نتفحصهم بشكل استخباراتي لنعرف كل ما يخططون له، انظر كيف تسببوا في إرباكنا.

رد علي رئيس المخابرات قائلاً: لا أنت مخطئ، الكتائب ليست عدوًا، الكتائب هم عبارة عن تحالف ولهم قوانين مثل قوانين الجيش الإسرائيلي بالضبط، ولم يكن عليك الإبلاغ عن هذا الأمر بأي شكل من الاشكال.

قلت له: لا يجب عليَّ أن أبلغ عن مذبحة خطيرة للغاية ستضر بسمعة إسرائيل أمام العالم.

رد بتهكم: لا لا، ما كان يجب عليك، انظر كيف قمت بتوريطنا. وتابع حديثه: ما هذا! أليس لدينا أي أعمال أخرى غير ذلك.

وأنا على الرغم من أنني كنت أرتعد من الخوف ألا أنني قلت له: أنا مُصر على أنني فعلت الصواب.

استشاط قائد الاستخبارات غضباً وقال لي: يمكنك أن تصر

كما تريد وأنا من سيحدد هنا، أنا رئيس الاستخبارات وهذا قراري، وأنت مثال على ضابط الاستخبارات الذي لا يعمل، ماذا ستبلغ عن قواتنا؟

هذه كانت واحدة من أكثر الإهانات التي تعرضت لها في حياتي، حيث حاكمني وأهانني، وكادت هذه الإهانة أن تقضي علي، إذا لم تكن موجودة في ذلك الوقت لجنة "كاهان" -لجنة التحقيق في أحداث مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت- كنت سأنهي خدمتي كرائد بطريقة مُخزية، ولكن في نهاية الأمر اتضح لي أنني كنت المعارض الوحيد.

الفصل الثالث

شهود في لجنة التحقيق

هيا بنا نتحدث عن «لجنة كاهان».

تم إنشاء "لجنة كاهان" بعد مذبحتي صبرا وشتيلا، لمعالجة الخطأ الرهيب الذي وقع به جيش الدفاع للإسرائيل، وكذلك للعمل على امتصاص حالة الغضب المحلي بين أفراد الشعب والعالم.

هبت رياح عاصفة عقب المذبحة ليس بسبب الفلسطينيين الذين قتلوا وإنما بسبب الاشمئزاز من حماقة الحرب، والظلم الذي كان يسودها والجنود الكثيرون اللذين قتلوا فيها. وكانت هناك مظاهرة الـــــ ٤٠٠ ألف في أحد الميادين في إسرائيل، وبغض النظر عما إذا كان عدد المتظاهرين ٤٠٠ ألف شخص أو حتى ١٠٠ ألف، لكنها كانت مظاهرة للتعبير عن الإحساس القاسي الذي يشعر به الشعب، ولذلك تم إنشاء لجنة تحقيق رسمية. هذه اللجنة بحسب قانون لجان التحقيق للسنة العبرية ١٩٨٦ كان يرأسها قاضي رفيع المستوى والذي هو عادة ما يكون الرئيس الحالي لـ "لجنة كاهان" أو الرئيس السابق للمحكمة العليا، أو قاضي المحكمة العليا ويمكن لهذه اللجنة وفقا للمادة رقم ١٥ من القانون أن تُقيل أشخاصا من وظائفهم.

كما أن لهذه اللجنة نتائج إجبارية خلافًا ل "لجنة فينوغراد" وهي لجنة تقصي حقائق موكلة من الحكومة الإسرائيلية والتي نشأت على سبيل المثال عقب حرب لبنان الثانية، وكانت عبارة عن لجنة تحقيق حكومية وليست رسمية، وكانت نتائجها قاسية للغاية، ولكن لم يكن لها أي معاني مؤثرة، فنجد أن رئيس الحكومة يستطيع أن يحول أي قرار تابع ل "لجنة فينوغراد" إلى شيء لا قيمة له.

كانت "لجنة كاهان" تتكون من أشخاص صارمين جدًا، وكان رئيس المحكمة العليا آنذاك هو "إسحاق كوهين" والقاضي " أهارن باراك"، وفيما بعد أصبح رئيس المحكمة اللواء "يونه أفيرت". قامت اللجنة بتفعيل جميع الآليات التي يسمح لها القانون بالعمل بها، وهذا يتضمن جامعي الأدلة، بمعنى آخر أولئك اللذين يجمعون الأدلة في المرحلة الأولى. فجامعي الأدلة الخاصة ب "لجنة كاهان" هم من كانوا يُصَدَّقْ، كانت "دُريت بينش" والتي تولت فيما بعد رئاسة المحكمة العليا، وكانت قبل ذلك محامية في الديوان الرئيسي للنيابة العامة، ثم أصبحت "عدانه آربل" فيما بعد محامية الديوان الرئيسي للنيابة العامة وقاضية المحكمة العليا، وأصبح ضابط الشرطة المتألق ورجل السلام "أليكس" عميدًا ثم

نائب ورئيس قسم التحقيقات، هؤلاء هم الاشخاص الرائعين حقاً، جامعي الأدلة هم الذين أوصوا بمن يُستدعى للجنة التحقيق.

وأنتم هل قابلت أي شخص من جامعي الأدلة؟

نعم، لقد جمعوا مني الأدلة بعناية فائقة ثم قاموا باستدعائي للإدلاء بشهادتي أمام اللجنة نفسها، كُدت أن أموت من فرط حماسي، ثم ذهبت إلى المحامي العسكري العام.

كان يجلس في مكتبه لذلك دخلت إلى نائبه "إيلن شيف" والذي أصبح بعد ذلك محاميا عسكريا عاما، تدريجياً إلى أن أصبح رئيس محكمة الاستئناف العسكرية بدرجة لواء، وسألته: ماذا الذي يجب عليَّ أن أفعله؟ قال لي "إيلن": أن تقول الحقيقة. أنا أعترف أن "إيلن" هو شخص مبجل ومستقيم جدًا، وعندئذ قلت لنفسي سأقول الحقيقة كما هي، وهذا يبدو لي أنه الأمر الأكثر صواباً، أن أقول الحقيقة. وها هو لا يوجد شيء يمكن إخفاؤه، لكني اليوم عندما أنظر إلى الخلف يبدو لي أنه أمر ساذج للغاية، كل اللذين تم عرضهم على اللجنة ناب عنهم أفضل المحامين. كان لرئيس الاستخبارات العسكرية "يهوشع شاغي" اثنين من المحامين، البروفيسور "ديفيد لايفي" الذي أصبح فيما بعد وزير

للعدل، خاصة أنه كان ذو سمعة طيبة، والبروفيسور "يوفيل لاوي"، والاثنين يعتبران أسدان في القانون.

وكان ينوب عن الموساد "أمنون غولدنبرج" من كبار المحامين في إسرائيل، وأنا بسذاجة ممزوجة بحماقة مطلقة ذهبت إلى هناك وحدي، دون أن أحضر محامي، وبدون أي شيء وقفت أمام اللجنة متلعثمًا، نظرت إلى الكتابة المختزلة لشهادتي، وكان هذا يبدو ماذا أقول؟ لم أستطيع أن أتفوه بجملة واحدة مرتبة. حضرت مرتين إلى اللجنة، صحيح في المرة الثانية أيضاً حضرت وحدي، وعندئذ هاجمني المحامين الذين ذكرتهم بطريقة وحشية، تدخل القاضي "باراك" طوال الوقت لصالحي، وكان يقول لهم بطريقته الخاصة: سيدي سينجرف عن خط التحقيق الأساسي، وهذا يعني: حافظوا على العدل، لكنهم سلكوا طريق وحشي، ولكني الآن وبعد فوات الأوان ليس لدي أي شكاوى تجاههم؛ لأن هذه هي وظيفتهم.

كيف استطعت الصمود؟

قالوا لي: "هل فقدت عقلك"؟ ماذا ستفعل أيضا؟ سألوني عدة أسئلة مثل: سنفترض أنك قائد في الجيش الإسرائيلي، ولديك

وحدتان تحت إدارتك الجيش الإسرائيلي والكتائب، ويجب عليك أن تطهر مخيم اللاجئين من المخربين ستدخل من؟

أجبت: ما العلاقة؟؟ أنا لست قائداً، وإذا لم أكن أعرف بالكتائب كنت سأدخلهم أيضاً إلى مخيم اللاجئين، لكني تعرفت عليهم وعرفت أنهم يجلبون المشاكل فقط، وحتى إذا أدخلوا الكتائب، قلت هذا متعلق بمن سيدخل، ليس "إيلي حبيقة" والأشخاص التابعين له.

ها هم عندما دخلوا إلى المخيم صبرا وشتيلا قالوا "لحبيقة": ماذا ستفعل مع النساء والأطفال؟ وأجاب "حبيقة" هذه آخر مرة تسألونني سؤال كهذا أنت تعلمون ماذا يجب أن أفعل. وهكذا استمرت اللجنة في عرض الأسئلة عليَّ مرارًا وتكرارًا وأنا أجيب عليهم بكل صراحة على كل شيء.

طوال ذلك الوقت كنت مُهددًا، وقبل الذهاب إلى اللجنة للمرة الثانية على التوالي جاء إلى رئيس قسم الأمن الميداني وقال لي: أريد أن أسمع شهادتك مقدما لكي نراجعها، ولنتأكد من أنك لا تكشف عن معلومات سرية محظورة، شعرت بالصدمة، ماذا يعني مراجعة شهادتي سلفا؟

أنا أقف أمام لجنة تحقيق رسمية مكونة من اثنين من القضاة من المحكمة العليا، إضافة إلى وجود لواء، وليس لديهم أي مشاكل مع التصنيف الأمني، وهذه شهادة في غرفة مغلقة. عندئذ بدأ يُهددني قائلًا: سمعت ما قلته؟ أنا أستطيع أن أعتقلك إذا لم تعطيني فحوى الموضوع مسبقاً في هذه الأيام كان يمكن للعقيد أن يعتقل رائد لمدة ١٥ يوم. قلت له: حسناً، لكن يجب أن تعرف أمرين:

الأول: هو أنني لا أستخدم الأوراق مطلقاً، كل شهادتي شفهية، فإذا كانت لديك طريقة تسحب بها المعلومات من المخ إذا هيا تفضل أنا مستعد، أو ربما يوجد لديك جهاز يستطيع أن يسحب المعلومات من المخ، أنا لا أعرف.

الثاني: أنني سأبلغ عن هذه المحادثة لكاتب المحكمة العليا والذي يُعد أيضا كاتب اللجنة. "برطوف"

صحيح؟ نعم.

القاضي "ديفيد برطوف" كان رجلا قويا جدًا شقيق "حاييم يسرائيل"

نعم كان رجلًا رائعًا، تعرفت على "ديفيد" بشكل شخصي، ثم تعرفت أنا وزوجتي "راحل" عليه وعلى زوجته. مدهش، أنا لم أتعرف

عليه بشكل شخصي، ولكني قلت لرئيس دائرة الاستخبارات للأمن الميداني أنني سأذهب لأبلغ عن هذه المحادثة للقاضي "برطوف"، عندئذ ارتعب وابتعد عني. في الحقيقة أنا لم أقف أمام اللجنة بدون محامين فقط، ولكني أيضاً لم أخطط لما سأقوله وكان كل ما أمُليه عليهم من رأسي.

نعم أنا مختل.

لا أنت لست مختلا، أنت فقط شخص لا يتعامل مع المستندات طوال الوقت، أنت في الحقيقة الرائد الذي لم يُخطط لإحضار عذره معه!

نعم لم أخطط، على العكس تماماً. هل تعلم عدد الأشخاص الذين جلست معهم على مدار السنوات الماضية؟ وسمعت منهم ما لم يحدث، لكن هي مجرد أعذار قاموا بتخططيها لأنفسهم. أنت تقرأ المستندات وتفهم أن هذا مكتوب فقط من أجل الأعذار.

من خلال هذا الاستجواب ولا تشعر أن هذا إطراء أنت شخص رائع.

شكرًا، على كل حال كان هذا الأمر صعب جدًا، الأسئلة التي وجهها المحامين إليَّ والهجوم الذي كان عليَّ كان قاسيًا للغاية،

كدتُ أنفجر من الضغط لأن مناقشات اللجنة استمرت طويلا، وكنا جالسين في قاعة "بابليك" الموجودة في الجامعة العبرية بمنطقة "جبعات رام". تقريبا كل أسبوعين كنت أتورط مع رجال شرطة المرور بسبب المخالفات المرورية، التي كنت أقع فيها دون قصد، أتذكر أنه ذات مرة لاحقتني سيارة الدورية، وهذا الأمر لم يحدث من قبل في حياتي، لا قبل ولا بعد. حتى اليوم بعيدًا عن مخالفات الوقوف ليس لي أي احتكاك مع سلطات تطبيق القانون، كان كل شيء يحدث بسبب الضغط، كنت وحيد تماماً، وكان الناس يخافون من التحدث معي.

يوجد نقطة من المهم أن أوضحها كيف خرج الموساد برئ من أمام اللجنة وكانوا هم المسئولين عن العلاقات مع الكتائب؟

ببساطة شديدة هم كانوا حاذقين، لكن دعنا نفهم أن المسؤولية الدرامية كانت تقع على عاتق الصعيد السياسي، "شارون" ربما "مناحيم بيجين" وربما أيضا هم قاموا بمهمتهم.

لم يحاولوا أن يمزحوا على عكس "يهوشع شاغي" الذي كان يمزح أمام اللجنة، وعندما عرضوا له صورة لسيارة جيب يوجد حولها مجموعة من الرؤوس وخرائط مقطعة إلى شرائح -لتأكيد

الخطة- وضعوها على غطاء المحرك، حتى أنه يظهر في الصورة كرئيس شعبة الاستخبارات وقالوا له: كنت توافق على الخطط، ولم تلاحظ أي شيء؟ عندئذ ماذا قال لهم؟ بالضبط، ذهبت إلى دورة المياه. حقا؟؟ هو يمزح مع لجنة التحقيق الرسمية، أعلم أن القضاة في المحكمة العليا -وأنا أعرف جيدا المحكمة العليا-إذا قلت لهم أن هذا موضوع عسكري وأمني لا يشوبه أي شائبة سيقدمون لك الاحترام الكامل، تقديرًا للجيش الإسرائيلي. بشكل عام، هم لن يتدخلوا، ولكن إذا تحدثت معهم عن الاستحقاقات كيف يمكن أن تتصرف؟ ما النصيحة اللازمة هنا؟ هم يرون أنهم مُخولين لتعليمك حتى وأنت لست معهم، وأنت لا تستطيع أن تمزح معهم.

لم يحاول الموساد أن يتذاكى ولكنه تصرف أمام اللجنة بأسلوب مُحنك، لأن "ناحوم أدموني" هو شخص حاذق، وكانت إجاباته عبارة عن ... جدًا ... شيئا ما.. أنه رجل نبيل مهذب.. نمساوي مجري.. نعم انظر نمساوي مجري مثل هذا؟؟ كانوا أشخاصا.. ماذا أقول لك؟ أنا لا أتحدث عن أسلوبه، أنا أعتقد أن "أسلوبه" كان مختلف عن الآخرين، فعندما كان رئيس الموساد في حرب لبنان كان بطل مُبجل ومتوج وذو سمعة طيبة ومستقيم ومدهش أيضا، لكنه كان مُحاط بأشخاص ماكرين مثل "ناحيك" الذي يستطيع أن

يبيع الثلج لشعب الإسكيمو؛ لأنه ظاهريًا يُعتبر شخص طليق اللسان وحاذق، يعطي نظريات على ما يبدو أنها منسقة لكن مثل هذه الأمور ليس لها أي علاقة بالواقع. إذا كنت من أعضاء هذه اللجنة -على حد المعرفة التي كانت لدي آنذاك-كنت سألقي عليهم مسئولية ضخمة ومطلقة، حتى من استنتاجاتي الشخصية للغاية، لكي يكونوا عبرة لمن يعتبر، ولكي يقوموا بتدريس هذا الأمر في دوائر الاستخبارات كمثال على فشل استخباراتي مُخز، ولأن الموساد يجب أن يتذكر أنه جهاز استخبارات.

"لجنة أجرانات" عقدت العزم على أن للموساد مسئولية تقييم مماثلة لشعبة الاستخبارات العسكرية. شعبة الاستخبارات العسكرية هي الممثل القومي لكن الموساد، هو جهاز قوي جدًا، وتابع بشكل مباشر لرئيس الحكومة والذي يُعد مصدر قوة له. ويعتبر الموساد غير تابع لهيئة الاستخبارات العسكرية، وغير مجبر على الإذعان لأي شخص عدا رئيس الحكومة، أنا أعتقد أن سلطتهم ومسؤوليتهم وفقًا لما حددته "لجنة أجرانات" تجبرهم على إعطاء آراء مستقلة وموازية. كان للموساد في عام ١٩٨٢ قدرة كبيرة على الاعتراض لكنه لم يستغلها، لذلك كان على اللجنة أن تُدين على الأقل "ناحيك". على حد علمي الجزء الخاص بـ"ناحيك" كان غير

واضح بمعنى آخر من يعرف المعطيات يعرف، لكني لم أكن أعرف كم من هؤلاء الأشخاص ظلوا على قيد الحياة، أنا أعتقد أن "ناحيك" أصيب بمرض التفكير الوهمي الزائف. كان للموساد العديد من الإنجازات والعلاقات السرية مع الدول العربية، انجازات جديرة بالذكر لأنها ليس لها مثيل. في ذلك الوقت جاءوا وقالوا ها هو سيحقق السلام مع دولة عربية أخرى لبنان.

ما السيء في ذلك؟

هذه تبدو فكرة صائبة ووهمية، هو فقط يتجاهل تعهد المخابرات لفهم من الحلفاء الذي كانت التوصية عليهم. في عمل تحليلي بسيط غير معقد لأخذ الحقائق وتحليلها، كان من الممكن أن نفهم بالضبط من هم الكتائب، وماذا لديهم أيضا، مجرد تاريخ مزيف للغاية. حتى في شعبة الاستخبارات العسكرية فهموا ذلك، لكن لم يكن لدى أي شخص الشجاعة للاعتراف بذلك، أنا أثق من أنه يوجد في الموساد أيضاً أشخاص يُدركون هذا الأمر جيدًا، بمعنى أنني أعرف أنهم كانوا كذلك، لكن الموساد كجهاز لم يكن لديه حرية للتعبير عن الرأي، على الرغم من العِبر التي حدثت في يوم الغفران. وأنا أذكرك أن هذا بشكل عام إجمالي ٩ سنوات عقب الحرب، على ما يبدو أن هذا ليس الموساد فقط، كان هناك صفوة

الجيش، وكان وزير الدفاع "شارون" القوي جدًا، وكان رئيس الوزراء. أنا لا أعرف بشكل شخصي بماذا كان يفكر "بيجين" لكن من الممكن أن يكون رأى بالفعل "عرفات" على أنه "هتلر"، وأعتقد أن هناك من يريدون تدمير الثقافة المسيحية النقية.

أنقذ الموساد هذا الأمر وبدلًا من تقديم معلومات استخباراتية والتحقيق في هذا الأمر، أقنعوا صناع القرار أنه يوجد حلفاء من الممكن أن يُعتمد عليهم، وبعد ذلك قالوا بدهاء في لجنة "كاهان" أننا غير مسؤولين عن التقييمات الاستخباراتية، بل مسؤولين عن العلاقات، وهذه العلاقات هي التي نظمت أمور الجيش، نحن آسفون، هم لم يتنافسوا مثل "يهوشع شاغي" لكنهم أوضحوا ببساطة أنهم قاموا بأداء مسؤوليتهم التنفيذية، بينما تجاهلوا دورهم التقييمي.

أنت تركت اللجنة عقب ظهورك مرتين ماذا حدث لك شخصياً، هل تم ترقيتك؟

بعد أن أوصت اللجنة بإقالة "يهوشع" من منصبه، قاموا بتعيين "إيهودا باراك"[1] لرئاسة الاستخبارات العسكرية، وهنا بدأت أشعر

(١) إيهودا باراك (بالعبرية: אהוד ברק) (١٩٤٢): هو سياسي وعسكري إسرائيلي =

بأنني في مرحلة انتقالية. ذات يوم دعاني "إيهودا" لكي أبلغه عن أي مهمة تابعة للمخابرات كنت مشترك بها، وقال لي: لم أدعوك لكي أستجوبك حول أحداث العملية، ولكن لسبب آخر.

وأنا أتسأل ما هو السبب؟؟

قال لي: لقد أعجبت بأدائك في عملية السلام للجليل[1]، لذلك أريد منك أن تصبح رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، لكني أريد موافقتك أولًا"، رأيت في ذلك العرض احترام وتوقير ملكي لي.

قلت له: بالتأكيد أنا موافق على الرغم من أنني كنت منهك جراء جميع الأمور التي مررت بها في الفترة الأخيرة، وهذه وظيفة صعبة جدًا. اليوم يوجد أيضاً مساعد رئيس الاستخبارات العسكرية بدرجة مقدم، وهو يعتبر جهاز كبير جداً، كما يجب أن يكون.

= مخضرم، انضم باراك للجيش الإسرائيلي في عام ١٩٥٩ وخدم فيه لفترة ٣٥ سنة ارتقى خلالها إلى أعلى منصب في الجيش الإسرائيلي، وهو كذلك عاشر رئيس وزراء لإسرائيل ووزير الدفاع من ١٩٩٩ إلى ٢٠٠١ ثم تولى مرة أخرى وزارة الدفاع من ٢٠٠٧ حتى ٢٠١٣، رأس إيهود باراك حزب العمل الإسرائيلي من ٢٠٠٩ وحتى ٢٠١٣.

(١) عملية السلام للجليل: وهو الاسم الإسرائيلي لحرب لبنان عام ١٩٨٢، وكان الهدف من التسمية هو لتضليل ولتمويه عن الأهداف الحقيقية لحرب لبنان عام ١٩٨٢.

باختصار، قلت له: حسناً، ولم أسمع منه أي كلمة طوال ثلاثة شهور، وبعد مرور هذه الفترة قال لي: اصعد إلى المكتب، وأبدأ في العمل، سيعلمك من ستخلفه بمهامك الوظيفية، وبعد يومين دعاني "إيهودا" وقال لي: أعجبت جدًا بالطريقة التي استقبلت بها العمل، يمكنك أن تبدأ.

قلت له: أنا حتى لا أفهم ما هي الوظيفة، لكنه أصر وقال: أنت استوعبت جيدًا، ماذا أقول للواء "إيهودا باراك"!!

عندئذ بدأت العمل، وفجأة وجدت نفسي أصبحت اليد اليمني لرئيس الاستخبارات العسكرية.

أنا جالس في المكتب، كان يوجد هناك (أنترفون) سجل كل شيء، وكل زر كنت أضغط عليه كان يجيب عليَّ شخص ما بصوت لطيف.

الاشخاص الأكبر مني بدرجتين أو ثلاثة، لكن من ناحيتهم أنا مثل رئيس الاستخبارات. حتى رئيس دائرة الأمن الميداني الذي هددني في ذلك الوقت أنه سيدخلني السجن، تحول فجأة إلى لحالة من الإطراء الشديد، وهذا ببساطة أمر لا يُصدق، أنا محظوظ لأنني مررت بكل هذه الأشياء، من ناحية أخرى ما زلت أعتقد أن هذا الأمر حقيقي.

واختصارًا، تحولت من شخص مضطهد من الاستخبارات العسكرية إلى اليد اليمني للواء الشاب الجدير بالثقة "إيهودا باراك".

غرس "يهودا" الثقة في كأنني نائب رئيس شعبة الاستخبارات بدرجة عميد، وتبنى تقييمي خلال المناقشات، وكان هذا الأمر يُعد تحولا كبيرًا بالنسبة لي. فجأة كل المعاملات تجاهي في الجهاز تغيرت، وصعدت بغتة من الهاوية إلى القمة، على الرغم من أن درجتي لم تتغير منذ ذلك الحين كنت ممتلئ بالتواضع الداخلي، وشعرت بإحساس لم أشعر به من قبل، يمكن أن يحدث دائما عكس ما نتوقع، هنا وهناك.

الفصل الرابع

التعليم بالطريقة الصعبة الدروس المستفادة من الحرب

أنا أريد أن نتحدث الآن عن الدروس المستفادة من حرب لبنان الأولى، لأن هذا الموضوع يُعد أمرًا هاماً وذات الصلة بمستقبل دولة إسرائيل من جانبي أحد الدروس الرئيسية للحرب هو أن إسرائيل لا يمكنها أن تغير نظام الحكم وتتوج ملوكًا، هل يعد هذا صحيحا؟

صحيح جدًا.

الـدرس الأول ذات الصلة بـ "بشار الأسد"، قال بعض الأشخاص: هيا بنا نسقطه ونغير النظام في سوريا، وهذا ما فعله الروس في جمهورية الشيشان، أرسلوا الجيش وتوسعوا في مدينة "البيرة" ومدينة "جروزني" عاصمة الشيشان، وقتلوا كل الإرهابيين، وقاموا بتعيين حاكم لمساعدتهم.

الصفقة التي عقدت بين "بوتين" وهذا الحاكم "قديروف" كانت بسيطة وكان مغزاها سأعطيك الحرية لفعل أي شيئا تريده فقط تأكد من عدم وقوع أحداث ارهابية، ونجحت الصفقة.

لسنا في روسيا، هم موهوبون في هذه المجالات، ولسنا مثلهم، أنظر كيف قلبوا الأمور في سوريا لصالح "الأسد"، ولم

يبذلوا أي جهد في هذا الأمر، هم يعرفون كل الاطراف المتنافسة على اختلاف أنواعها مثل؛ الأكـراد وفصائلهم، وأهل السنة بمختلف أنواعهم، ويتصرفون وفقًا لذلك بفطنة، ولكن أيضا بهمجية ليس لها مثيل.

أنا لا أتفق مع هذا الأمر، ولكني معجب به على المستوى المهني، لا نملك هذه الكفاءة، نحن دولة ديمقراطية نشأت فيها انتقادات علنية وشديدة، وهنا يمكنك أخذ الفلسطينيين كمثال هل تمكنا من اقامة نظام حاكم لدى الفلسطينيين في الضفة الغربية وفي غزة؟؟ كانت هناك مجتمعات قروية في ذلك الوقت، وتلقينا "ياسر عرفات" وأرسلناه من لبنان إلى تونس، وفي النهاية أنهى حياته على بعد ١٠ كيلو متر من القدس ودُفن في مدينة رام الله.

مثال آخر على الأكراد، سنحت لي الفرصة أن ألتقي في إحدى اللجان الدولية بقادة أكراد، وقلت لهم: لا تتحدثوا عن دعمنا علانية؛ لأنهم سيعتبرونكم خونة، وأنتم شعب عظيم. أنتم تستحقون الاستقلال، ولكنكم تجلسون في منطقة سيئة، فإذا كنتم تريدون أن تتحدوا فأمامكم العراقيين والأتراك والإيرانيين والسوريين- أعلنوا الاستقلال.

لماذا تحتاجون إلى أن تعلنوا الاستقلال الآن؟؟ يمكنكم أن تتحدوا وتدعموا استقلالكم الفعلي، دولة في الطريق ثم الإعلان بعد ذلك عندما تسمح الظروف بهذا الأمر وحدث ما توقعت. لقد أعلنا وأعلن رئيس الوزراء وآخرين دعمنا الشديد للأكراد في اعلان استقلالهم عن العراق وتركيا وسوريا وإيران، وفي نفس اللحظة التي أعلننا فيها عن دعمنا للأكراد صنفهم الجميع من إيرانيين وعراقيين وسوريين وأتراك على أنهم عملاء للصهاينة والموساد، بمعنى آخر كانت لهم شرعية قانونية لإلحاق الأذى بهم، وبالفعل قاموا بأذيتهم بشكل قاسي، حيث أخذوا منهم محافظة كركوك، وكان أخذ كركوك منهم كأخذ أنبوب التنفس منك، لأنها مدينة تحتوي على الكثير من النفط، وبهذا تمكنوا من إضعافهم. وعلى نحو مفاجئ أعلن الأكراد أنهم يعترفون بالسيادة الكاملة للعراق بمعنى أنهم استسلموا. أنا لا أقول إننا السبب في هذا الأمر، لكننا بالتأكيد لم نُسلح الأكراد، لكن إذا كان لنا طريق خفي لإرسال مرشدين ومدربين ووحدات عسكرية وأسلحة لتعزيز قوتهم وسط إنكار لهذا الأمر كان سيبدو هذا الأمر ممتازًا، لكننا لم نفعل. ولكن بالمقارنة مع هذا الأمر لدينا إمكانية أخرى لتطوير علاقات الثقة والأمان مع الدول العربية التي كانت ألد أعدائنا، هذا الدروس الأول.

الدرس الثاني: عندما تُصبح عضوًا في جهاز قادر على إرباك أمن إسرائيل، يجب عليك استخدام الذكاء الموضوعي الذي يعرض التقييمات بحُرية، حتى أن لم يكن هذا الأمر مقبول لديك، كان هناك الكثير من الأشخاص يعتقدون أن التعاون مع الكتائب يُعد أمرًا خطيراً، حتى في الموساد، لكنهم لم يجرؤوا على التعبير عن آرائهم.

إحدى الأمثلة الصعبة على هذا الموضوع هي اتفاقية أوسلو التي وضعت دون علم الموساد، فالتكتم على هذا الأمر وهذا السحر الزائف كلفنا آلاف الأرواح. أنا أقول بصراحة أن "ياسر عرفات" خطط لصنع حمام من الدماء، ما لم يتم قبول مفهومه للسلام، والذي يعني القضاء علينا في نهاية الأمر. من المستحيل التوصل إلى اتفاقية سلام تاريخية كهذه دون أن يرافقها جهاز الاستخبارات كقاضي مستقل. رجال المخابرات هم مثل القضاة تتكون استنتاجاتهم من الأدلة والبراهين الموضوعة أمامهم، وهذا لا يعني أنهم دائماً صادقين، أو لا يعني أنهم لا يخطئون، ولكن بسبب هذا الأمر يوجد تقييم استخباراتي وتقييم الوضع.

يتركز التقييم الاستخباراتي على أفضل تقدير لضابط المخابرات وللمعلومات التي بحوزته، هو يقول ما الذي يستطيع أن يفعله العدو، وماذا يريد أن يفعل.

أما تقييم الوضع هو عبارة عن تقييم خاص بـ"الكابينت" مجلس الوزراء الأمني المصغر والذي يقرر ما يفعلون وما لا يفعلون، وهم غير مجبرين على تقبل التقييم الاستخباراتي، كما يمكنهم رفضه، لكنهم مجبرون على الانصات والاستماع للتقييم الاستخباراتي. في الدولة الديمقراطية النخبة السياسية هي التي تقرر إذا لم يتقبل "الكابينت" التقييم الاستخباراتي، وهذا حقه، سيحكم التاريخ، وسيحكم الناخب، لكن تجاهل الاستخبارات يعتبر جريمة لا يمكن وصفها. وبالرغم من ذلك فإن السوريين يعتقدون أن هناك حاجة للاستخبارات إذا بالتأكيد تحتاج إسرائيل أيضاً.

الدرس الثالث: يوجد مبدأين أساسين في الاستخبارات، وهما الإمكانية والتخطيط، وهذا ينطبق على الشركاء وليس على الأعداء فقط، وإذا كانت الكتائب من الشركاء، إذا كان يجب عليهم إجراء اختبار نوعي لفحص دقة قراراتهم. أنا قُلت إنهم في الوقت الفعلي ليس لديهم أي قدرات، لكن هذا الأمر كان يجب أن يقوله رؤساء وأجهزة الاستخبارات، وأنا أثق أن "يهوشع شاغي" فهم هذا الأمر جيدًا، لكنه لم يرفعه إلى الأعلى.

الأمر الثاني هي خطط الخصوم، والخصم يعتبر شريك غامض مثل الكتائب، ناهيك عن الفلسطينيين في عهد "ياسر عرفات".

يجب أن يكون أفراد الاستخبارات شُجعان بما يكفي لكي يقولوا آرائهم للقائد، حتى لو لم يحب ذلك الأمر، وهذا ليس سهلًا؛ لأن هؤلاء القادة مسؤولون عن مستقبلك، وإذا لم تفعل ذلك ستكون مثل القاضي الذي لا يصدر أحكاما على قدر فهمه للقانون والأدلة.

الدرس الرابع: يجب أن تضع لنفسك دائماً نقاط لكي تساعدك على عبور اختبارات الواقع. كانت لنا الكثير من الفرص لكي نفهم أن الكتائب تُضللنا، وندرس الأمر من جديد، لكن يا للأسف الشديد والمؤلم لم نفعل ذلك.

حرب لبنان الأولى بالنسبة لي كانت صدمة لن أستوعبها طوال حياتي، كنت رائدا صغير السن والمهمة التي كلفوني بها كانت خوض المغامرة اللبنانية.

رأيت الشخصيات العظيمة في الموساد وكبار الضباط، يجرون اتصالات لتكوين علاقات اجتماعية مع الكتائب المسيحية معطرة برائحة تحالف عظيم لم يكن ولم يحدث من قبل مثله وكان كل هذا مجرد سحر كاذب.

كان كل شيء يحدث من أجل فرض سيطرة جديدة على لبنان لكي توقع معنا على اتفاقية سلام، وتُمكننا من ترحيل الفلسطينيين

من خلالها، وهذا الأمر كلفنا مئات القتلى، وأدى إلى ظهور بديل لعرفات ورجاله كحزب الله، انتهى الأمر بخروجنا في النهاية.

أنا لا أريد أن أطلق على هذا الأمر أسماء أخرى قاسية جدا كلهم مدحوا في الانسحاب الذي حدث عام ٢٠٠٠، وهذه الخطوة أشعلت النار على حد علمي.

الجزء الثاني

بين غزة ورام الله

الفصل الأول

بين غزة ورام الله

انتهت حرب الاستقلال النكبة في عام ١٩٤٨ بالتوقيع على اتفاقية الهدنة مع أربعة دول وهم مصر والأردن وسوريا ولبنان، وحتى يومنا هذا تتمتع إسرائيل باتفاقيات سلام مع دولتين عربيتين هما مصر والأردن.

اتفاقية فض الاشتباك مع سوريا، والذي تم توقيعها عقب حرب أكتوبر،[١] وتم الحفاظ عليها حتى يومنا هذا كذلك، على الرغم من أن كلا الدولتين لم يتوصلا إلى اتفاقية على الحدود بينهما. لكن الواقع في لبنان أكثر تعقيدًا بسبب الحروب التي وقعت على أرضه، الأولى في صيف عام ١٩٨٢ ضد الفلسطينيين، والثانية كانت صيف عام ٢٠٠٦ ضد حزب الله[٢].

---

(١) حرب يوم الغفران (بالعبرية: מלחמת יום כיפור): سميت بهذا الاسم نظراً لوقوعها في أقدس يوم لليهود، وهو يوم الغفران (٦ من تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٣)، هي الحرب شنتها كل من مصر وسوريا على إسرائيل في شهر أكتوبر عام ١٩٧٣ لاسترجاع الأراضي العربية التي استولت عليها إسرائيل عقب حرب الأيام الستة أو حرب عام ١٩٦٧.

(٢) حزب الله: هو جماعة شيعية إسلامية مسلحة وحزب سياسي مقره في لبنان، =

لكن على ما يبدو أن الساحة الفلسطينية هي الأكثر تعقيدًا فكل المحاولات التي بُذلت حتى الآن لتسوية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني لم تكلل بنجاح، وتُرك الصراع بين كلا الشعبين دون أي حل في الأفق.

بالنسبة للجانب الإسرائيلي لا يزال هناك تصوران؛ الأول ضم الضفة الغربية وقطاع غزة، ولكن هذا التصور يقف عائقا تجاه فكرة الدولتين إسرائيل وفلسطين، عندما تكون القدس عاصمة لهما. خلال الثمانينات قاد "شمعون بيريز[1]" محاولات لتسوية القضية الفلسطينية من خلال إقامة كونفدرالية أردنية فلسطينية. حاول "بيريز" إشراك مصر والإدارة الأمريكية التي كان من المقرر عقد مؤتمر دولي لحل القضية الفلسطينية تحت رعايتها، وقد عارض

= تأسس حزب الله في أوائل الثمانينات كجزء من جهد إيراني لتجميع مجموعة متنوعة من الجماعات الشيعية اللبنانية المسلحة تحت سقف واحد.

(١) شمعون بيرس (١٩٢٣-٢٠١٦): (بالعبرية: שמעון פרס) هو سياسي وعسكري إسرائيلي بارز، تولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية مرتين، الفترة الأولى من عام ١٩٨٤ إلى ١٩٨٦، والثانية لسبعة أشهر بين ١٩٩٥ إلى ١٩٩٦ بعد اغتيال إسحق رابين، كما شغل منصب رئيس الدولة (وهو منصب فخري في إسرائيل) من ١٥ يوليو ٢٠٠٧ وحتى ٢٤ يوليو ٢٠١٤.

"بيريز" "إسحاق شامير"[1] رئيس حزب الليكود[2] في ذلك الوقت، والذي كان يُقدس في الواقع حقيقة الوضع الراهن في المنطقة، وسط تبدد الوعود بمنح حكم ذاتي واسع النطاق للفلسطينيين، بمعنى إعطائهم المسئولية على إدارة حياتهم اليومية دون أي إشارة على السيادة في المنطقة.

على خلفية الانتخابات الإسرائيلية التي لم تمنح أياً من حزب الليكود او حزب العمل[3] الأفضلية في صندوق الانتخابات، لذلك

---

(١) إسحاق شامير (١٩١٥-٢٠١٢): (بالعبرية: יצחק שמיר) هو سياسي وعسكري إسرائيلي بارز، تولى عدد من المناصب في إسرائيل أهمها رئيس الحكومة الإسرائيلي السابع، الفترة الاولى من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٤ وفي الفترة الثانية من ١٩٨٦ إلى ١٩٩٢.

(٢) حزب الليكود (بالعبرية: הליכוד - תנועה לאומית ליברלית): هو الحزب سياسي إسرائيلي تأسس عام ١٩٧٣ عندما اندمج حزب حيروت والحزب اللبرالي الإسرائيليين في تكتل الليكود، ويعتبر الحزب الرئيسي في أحزاب اليمين في إسرائيل.

(٣) حزب العمل الإسرائيلي (بالعبرية: מפלגת העבודה הישראלית): هو حزب سياسي يساري علماني، وأحد الأحزاب الرئيسية في إسرائيل، تأسس عام ١٩٣٠ من مجموعة من الاتحادات ذات الطابع الاشتراكي، ونشأت تحت مظلته منظمتي الهاجاناه والبالماخ اللتان كانتا نواة الجيش الإسرائيلي بعد قيام دولة إسرائيل.

أقيمت في عام ١٩٨٤ حكومة وحدة وطنية بالتناوب بين "بيريز" و "شامير" على رئاسة الحكومة.

وفي عام ١٩٨٨ أقيمت حكومة وحدة وطنية ثانية برئاسة "شامير" دون تناوب، وهكذا بذلت حكومة كلا الرئيس كل جهودها الممكنة لتحييد نفسها.

وفي نهاية الثمانينات توصل "بيريز" ومستشاريه المقربين إلى استنتاج لحل القضية الفلسطينية، من خلال إقامة بنية حكومية مشتركة بين الأردن وفلسطين؛ لأن "بيريز" لا يحب أن يُضيع أي فرصة.

هذه هي الخلفية لمبادرة "بيريز" وآخرين لإقامة علاقات ودية مع "ياسر عرفات" ومع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية[١] في تونس.

قام وزير الخارجية "بيريز" ورجاله بعمل مخطط دون علم رئيس الحكومة " إسحاق شامير"، وضم في الواقع مصر ورؤساء دول أخرى ضد شريكهم في حكومة الوحدة الوطنية. من تعرض مثلي لهذه الاتفاقيات معتاد أن يواجه المخاطر؛ لأنه يتحدث عن

(١) منظمة التحرير الفلسطينية: هي منظمة سياسية شبه عسكرية نشأة عام ١٩٦٤ كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني داخل وخارج فلسطين وفي المحافل الدولية، وهي تضم حركة فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالإضافة إلى العدد الأكبر من الفصائل والأحزاب الفلسطينية تحت لوائها،

نقاط غير عادية، ويمكنه شم رائحة الخيانة التي تهُب من هذه الإجراءات. في غضون المحاولات التي قادها "بيريز" ومن حوله صاغ مخطط للموافقة على الضفة الغربية وقطاع غزة، وتم إجراء محادثات في عام ١٩٨٧ بين اللواء احتياطي "أبرام تامير" والمدير العام السياسي لوزارة الخارجية وبين "ياسر عرفات" والملك حسين" ملك الاردن. عقب إجراء انتخابات عام ١٩٩٢والتي خسر بها "شامير" أمام "اسحاق رابين"، بدأ ممثلو إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية إجراء مفاوضات سرية في أوسلو، وبدأت ببيان يتضمن اعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وزعيمها "ياسر عرفات" كنائبين عن الشعب الفلسطيني.

وهكذا في يوم ١٣ سبتمبر عام ١٩٩٣ أقيم في حديقة البيت الأبيض في واشنطن مراسم كان من المفترض أن تُحدد الخطوط العريضة لمؤيدي فكرة الدولتين. أشياء يجب أن تُقال، أوسلو لم تدفع الجانبين نحو حل النزاع بينهم، على الرغم من أنهم قالوا عكس ذلك. اتفاقيات أوسلو بحسب ما حدد اللواء احتياطي "جلعاد" أسقطت على الجانب الإسرائيلي كارثة كبيرة، وكلفته وفاة أكثر من ألف إسرائيلي. ووفقًا لما قاله "جلعاد" فإن القرارات التي حددها "شمعون بيريز،" ولدت بالخطيئة وسطعت من خلال سلوك

متعجرف وسط إخفاء الإجراءات مع منظمة التحرير الفلسطينية، ومن الأجهزة الأمنية في مجمع الاستخبارات. على مدار عملية السلام كان "جلعاد" يزعم نجاح "ياسر عرفات" في خداع إسرائيل مما أدي في نهاية الأمر إلى انتفاضة ثانية.

الفصل الثاني

هكذا وقعنا في الفخ

متى سمعت وأنت ضابط شاب في شعبة الاستخبارات العسكرية للمرة الأولى عن اسم "ياسر عرفات"، وماذا تعرف عنه؟

في عام ١٩٦٩ في أثناء حرب الاستنزاف كنت شابًا، وكنت أعمل في إذاعة صوت إسرائيل، أتذكر أنهم وفروا لي سيارة أجرة، و١٣ جنيه للوجبات الطعام، وقالوا لي: سافر إلى مستوطنات غور الأردن للتحدث مع المواطنين.

ذهبت مع شخص آخر وسجلنا الأحاديث مع السكان المنطقة، كان غور الأردن يبدو في هذا الوقت مثل جهنم، انتشار "للإرهابين"، وهجوم على السكان، وإطلاق قاذفة صاروخية المتعددة ككاتيوشا، وكان "عرفات" الذي كان متواجداً وقتها في الأردن، وراء كل هذه الهجمات.

كضابط في الاستخبارات تعرفت عليه في عام ١٩٧٤ عندما كنت رئيس قسم مكافحة الإرهاب، وأصبح "عرفات" فيما بعد أحد الشخصيات البارزة في حياتي المهنية، حتى أن هذا الأمر كان واضحا على المستوى الشخصي، لكن حتى في أحلامي لم أكن

أتخيل أنني سأكون مبعوثاً له برتبة عالية أثناء المفاوضات التي عقدت لاحقاً لأجل السلام.

وبعد ذلك رأيت كيف ساهم في دمار لبنان، كما كيف حاول قبلها تدمير الأردن، ورأيت كيف بنى دولة داخل دولة مستقلة كلبنان، ورأيت أيضاً العمليات الإرهابية المروعة التي قام بها رجاله من هناك، ولكي ينأى بنفسه عن الإرهاب يبدو شخص نظيف، فكانت أعماله "الإرهابية" تسير من خلال نائبين قاسيين بشكل مروع، وكلاهما كانا عديمي الرحمة، الأول هو "خليل الوزير" ويُكنى بـ "أبي جهاد" والذي كان مسئولًا عن الهجمات الداخلية ضد إسرائيل، والثاني يُدعى "صلاح خلف"[1] واسمه الحركي "أبو إياد"، والذي أنشأ منظمة "أيلول الأسود"[2]، وهذه المنظمة في

(١) صلاح خلف (١٩٣٣-١٩٩١): اسمه الحركي أبو إياد، ولد صلاح خلف في مدينة غزة، وهو سياسي فلسطيني بارز، من مؤسسي حركة تحرير فلسطين (فتح)، وهو قائد الأجهزة الأمنية الخاصة لمنظمة التحرير وحركة فتح لفترة طويلة، أشيع أنه زعيم منظمة أيلول الأسود، واغتيال في تونس عام ١٩٩١.

(٢) منظمة أيلول الأسود: هي منظمة عسكرية سرية فلسطينية تشكلت على بعد أحداث شهر أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠ الذي عُرِف لاحقًا باسم (أيلول الأسود)، وقد قامت المنظمة بعدد من العمليات الانتقامية ومن أبرز اغتيال رئيس الوزراء الأردني وصفي التل في القاهرة في ١٩٧١ الذي حملته المنظمة مسؤولية أحداث

الحقيقة كانت مسؤولة بالدرجة الأولى عن العمليات الإرهابية التي تستهدف مصالح إسرائيلية في الخارج.

في تلك الفترة وضع "أبو جهاد" وأبو إياد" المعايير والأسس الجديدة للعمليات "الإرهابية" التي يخططوا للقيام بها، بداية من اختطاف الطائرات والتي بدأت فعلياً عام ١٩٦٨، وحتى مذبحة التي وقعت بحق رياضينا في أولمبياد ميونخ، والتي كشف مؤخراً عن تفاصيلها المروعة، وكيف تعاملوا بوحشية مع رياضينا الأبرياء قبل أن يقتلوهم جميعاً، هذا ما يخص الإرهاب خارج إسرائيل. في تلك الفترة كانت إسرائيل تواجه نوعين من العمليات الإرهابية والتي كان يجب علينا التعامل معهم بحرفية عالية.

النوع الأول: العمليات الإرهابية التي كانت تأتي عن طريق البحر، ومن هذه العمليات الارهابية على سبيل المثال العملية الإرهابية التي وقعت على طريق الشاطئ[1]، والتي سأروي لك تفاصيلها، أو العملية التي وقعت في فندق سافوي في تل ابيب.

أيلول الأسود، وعملية ميونخ التي أدت إلى مقتل ١١ رياضيا إسرائيليا في دورة الألعاب الأولمبية لعام ١٩٧٢.

(١) طريق الشاطئ: المقصود به الحادث الإرهابي الذي وقع في ١١ مارس عام ١٩٧٨ على يد إرهابيين من تنظيم حركة فتح قُتل ٣٥ إسرائيلي.

النوع الثاني: العمليات الإرهابية التي كانت تأتي عن طريق البر وتستهدف المناطق الحدودية او العمق الإسرائيلي، والتي كان الشاباك مسؤول عن إحباطها، وكانت هذه العمليات الإرهابية تديرها جهات خارجية، خاصة في دمشق والأردن.

على سبيل المثال فندق صغير في القدس باسم "ايل" في السابع وعشرون من شهر أكتوبر عام ١٩٧٥ تم تفجير سيارة إسعاف ملغومة بقرب الفندق، وهذا يُعد استخدام غير منطقي وغير إنساني، وقد فعلوا هذا دون أي شعور بالخجل والندم. وفي شهر يوليو من نفس العام تم تفجير ثلاجة في ميدان صهيون، وكان بطبيعة الحال المسؤول عن هذا العملية الإرهابية حركة فتح، وهكذا استمروا بجرائم قتل واحدة تتلو أخرى. وقتها كانت الضفة الغربية مُقسمة إلى قطاعات فرعية جغرافية ليسهل السيطرة عليها، على سبيل المثال لجنة نابلس ولجنة الخليل ولجنة القدس، كل الأشخاص الفظيعين الذين تسببوا في وقوع عمليات إرهابية في الداخل، أصبحوا فيما بعد قادة مهمين لنفس هذه القطاعات عند "عرفات". أنا أتذكر بالفعل أنه في سنة ١٩٧٢ عقب مذبحة رياضينا بمدينة ميونخ، أعلنت إسرائيل الحرب على منظمة "أيلول الأسود".

أنت تتحدث عن عملية غضب الرب؟

نعم أعلنت إسرائيل الحرب على منظمة أيلول التي تُنظم عمليات إرهابية خارج إسرائيل، وبعد ذلك في عام ١٩٧٤ تم التصديق على قرارين هامين ساهموا برفع المكانة الدولية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

الأول: اعتراف جامعة الدول العربية بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني.

الثاني: موافقة الأمم المتحدة على تعيين منظمة التحرير الفلسطينية كعضو مراقب في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وهكذا تقلصت حدود الإرهاب، أقصد الإرهاب خارج إسرائيل؛ لأننا قد تحدثنا عن العمليات الإرهابية القاسية التي كانت في القدس عام ١٩٧٥، بالتأكيد لم يتحولوا فجأة مُحبين لإسرائيل، فهم لم يُخططوا أبدا لوقف الإرهاب، ولكنهم كانوا يرتاحون لفترة مؤقتة لخفض ألسنة النيران.

وبعد ذلك بدأت محادثات السلام مع مصر وفي نفس اللحظة وقع حادث إرهابي على طريق الشاطئ حينما كانت عملية سلام بين مصر كبرى الدول العربية وإسرائيل، سعى إرهابي منظمة التحرير

الفلسطينية والمنظمات الإرهابية الأخرى لإفشال عملية السلام من خلال سفك دماء مواطنينا. رأيت نفس المثال بعد ذلك في عملية أوسلو، والذي اعتبره خطأ فادحا لكننا سنتحدث أكثر عن هذا الأمر لاحقا.

أنا أزعم حتى اليوم أن التفجيرات الانتحارية كانت كلها بإيحاء من "ياسر عرفات" على الرغم من أنه يوجد من يخالفني الرأي. بالنسبة لي كان "عرفات" دائما عدوا بغيضا لإسرائيل، لكني كرجل استخبارات كنت مذهول من تصوراته، فمن ناحية كان هو الوحيد الذي لوح بعلم السلام، أو مثل ما كان يُطلق على هذا الأمر "سلام الشجعان"، ومن الجانب الآخر نفذ عمليات إرهابية مكثفة للضغط على إسرائيل. كان يعتقد أن إسرائيل سوف تنكسر وتضطر إلى الاستسلام والرضوخ للشروط التي أقرها لتوقيع اتفاقية سلام، وهذا يعني أنه في حال قبول شروطه كلها دفعة واحدة، فإن دولتنا لن تعيش سوى ٥٠ أو ٦٠ عامًا وكان هذا هدفه، لكن لن تجتمع أبداً علاقة بين الإرهاب المشُين والسلام. وللحفاظ على هيئته وشكله كصانع للسلام كان "عرفات" حريصاً على عدم ترك بصمات في الأعمال الإرهابية التي يقوم بها، باستثناء الهجوم على

سفارة السعودية في الخرطوم[1]، أعتقد أنه فعل ذلك في سنة ٧٠ من خلال نائبيه الفظيعين "أبو جهاد" و "أبو إياد"، وها هو أيضا يستغل حركة حماس أثناء وبعد أوسلو بشكل ساخر.

سنتحدث عن أوسلو لاحقاً، لكن دعنا نعود الوراء، كيف قابلت كل هذه الأمور وأنت ضابط شاب في شعبة الاستخبارات العسكرية؟

سنعود إلى فترة السبعينات في هذه الفترة نجوت من الموت أكثر من مرة وأنا لا أبالغ، قضيت مئات الساعات في ملاحقة وتعقب الإرهابيين للقبض عليهم، إلى جانب العمل على منع وقوع عملية إرهابية وإنقاذ أرواح الأبرياء. كنت أصل إلى هناك في أيام السبت؛ لأنه لا يعمل أحد في أيام السبت، وكنا نعيش على أكل السندوتشات والشراب، وهؤلاء هم أسوء الإرهابيين تم القبض عليهم هنا، قاتلين فظيعين والأكثر بشاعة، أنا أعتقد أنني لا أنسى أي أحد

(١) في الأول من شهر مارس عام ١٩٧٣ سيطر إرهابي حركة فتح على سفارة السعودية في الخرطوم عاصمة السودان، في الوقت الذي أقيم فيه هناك حدث سياسي للدبلوماسيين، وأسروا عشرة رهائن، وبعد أن لم يتم تلبية مطالبهم بتحرير الرهائن المعتقلين في إسرائيل وفي الولايات المتحدة الأمريكية والذي من بينهم المعتقل (سرحان سرحان) الذي اغتال السيناتور «روبرت كينيري»، قتلوا السفير الأمريكي ونائبه وسفيرا بلجيكا والسعودية ودبلوماسي أردني آخر.

منهم، وهذا لم يكن تحقيقاً رسمياً بغرض نشر العِبرة والمعلومات الاستخباراتية، أنا فقط أردت أن أفهم وجهة نظرهم، وماذا يدور في رأسهم. في الاستخبارات يوجد ميزة البراعة الفنية، والتي يتمكن من خلالها الخبير معرفة الاستنتاجات الصحيحة من المشاعر التي تطرأ على المجرمين وقت التحقيق في محاولة لجمع معلومات استخباراتية منهم.

قلت لنفسي: كيف يمكنني تحسين هذه البراعة وزيادة قدراتي الفنية، الاستنتاج الذي توصلت إليه، أنه بصرف النظر عن الكميات الكبيرة جداً من المواد التي كنت أقرأها، يجب على أن أذهب إليهم أي المعتقلين بطريقة مباشرة لكي أفهم منهم بحرية ما الذي يدفعهم لهذه الأعمال، في الواقع لم يكونوا في حالة حرية؛ لأنهم معتقلين لكن حالتهم كانت جيدة جدًا، وبالنسبة لي كانت هذه مادة خام عظيمة وهامة لكي أفهم منهم وأحس هذا الجانب الذي أدعوه براعة الاستخبارات.

كيف ينعكس هذا في نهاية الأمر على عمل الاستخبارات؟ لنأخذ على سبيل المثال حافلة الدم العملية الإرهابية التي وقعت على طريق الشاطئ، في عام ١٩٧٨ إحدى العمليات الإرهابية الأكثر قسوة التي وقعت هنا.

صحيح، خرج الجيش الإسرائيلي على أعقابها إلى عملية الليطاني والتي تُعتبر قصة أخرى، على كل حال كان للشاباك في ذلك الوقت مثل هذا اليوم قدرات مُذهلة في جمع المعلومات الاستخباراتية.

أنا أتذكر أن كان لدي تقارير كنت أعمل عليها حتى الساعات الأولى من الليل، كانت تقارير منظمة بهذه الطريقة:

١- المطلوب، المشتبه به، إبراهيم الذي دخن سيجارة بجانب كشك في مخيم اللاجئين وهكذا؛ لأن الشاباك يعلمهم التعامل مع أدق التفاصيل.

٢- شقيقه كان ضابط كبير.

٣- تعرف على "عبد الفتاح" والذي كان كبير المرشدين في قوة حركة فتح البحرية.

وأنا كنت أجلس وأقرأ هذه التقارير الفظيعة، لماذا كانت فظيعة؟ لم يكن لديهم أي تخطيط أو سياق أدبي، بمعنى أن هذه ليست نصوصا يمكنك قراءتها للاستمتاع بها، وليسوا ممتعين كما يعتقد الناس أن تقارير الاستخبارات يجب أن تكون هكذا، فهم مُعدين للأشخاص الذين يعملون في الخدمة العسكرية، والذين يحيطون الإرهابين وينقذون الأرواح البشرية.

وتقرير كهذا يمكنه أن يتضمن حوالي مئات الفقرات لذا كنت أقرأهم بتدقيق، وإذا اصطدمت، على سبيل المثال باسم "عبد الفتاح" كنت أضع اسمه في ثلاثة دوائر، وكان هذا عمل شاق جدًا، يقوم بهذا العمل اليوم على أجهزة الحاسوب، ولكن في هذا الوقت لم يكن هناك أي أجهزة حاسوب.

ذات يوم جاءني تقرير عن تدريبات حركة فتح في جنوب لبنان، وذُكر فيه اسم نفس الشخص "عبد الفتاح" بجانب أسماء أشخاص آخرين، هو يُعد ضمن مجموعة القوة البحرية لحركة فتح.

بالضبط الآن ماذا يعني قوات بحرية خاصة بتنظيم إرهابي؟

قوة بحرية هذا يعني هجوم إرهابي عن طريق البحر، ويجب أن تلاحظ أنه هناك الفرق بين هجوم إرهابي عن طريق البحر وبين هجوم إرهابي بحري.

الهجوم الإرهابي البحري: يكون عن طريق على سبيل المثال زورق ملغوم يقوم بعض الأشخاص باصطدامه بسفينة.

الهجوم الإرهابي عن طريق البحر عندما تهبط خلية إرهابية على البحر بدلًا من أن تعبر عبر الحدود البرية. نحن في الاستخبارات طلبنا أن نكون مسؤولين عن كل شيء يعمل عن طريق البحر؛ لأن

عن طريق البحر يمكن الوصول لليابسة، وإذا كان هذا هجوم بحري إذا فإن شعبة الاستخبارات البحرية هي المسؤولة.

وصلت لنا معلومات عن طريق الاستخبارات البشرية[1]، وبدت هذه المعلومات لي مثل نموذج الهجوم على فندق سافوي في عام ١٩٧٥، والذي تم تنفيذه على يد خلية إرهابية وصلوا عن طريق البحر كانت هذه التقارير مثيرة للاهتمام.

يبدو لي من الوهلة الأولى أنهم يخططون لعملية إرهابية كبيرة، لكن هذه المعلومات تستند على مصدر واحد، لذلك قررت مقابلة المصدر وأتأكد من صحة المعلومات بنفسي، وفعلاً بعد عدت أيام التقيت به وتأكدت من صحة المعلومات التي لديه. كما ارسلت شعبة الاستخبارات العسكرية ضابط من طرفها؛ للتحقيق أكثر من المعلومات الواردة، وعاد الضابط وقال: هذا المصدر كذاب، لماذا هو كذاب؟ لأنه قدم معلومات غير صحيحة.وما جعل البت في هذا الامر صعباً هو وجود معلومات بمستوى عالي جدًا من المصداقية، ووفقا لتلك المعلومات فإن عرفات لم يكن مستعدًا بأي شكل للتصديق على هجوم إرهابي استراتيجي قد يعطي إسرائيل مبرراً

(١) الاستخبارات البشرية: هي الاستخبارات التي تعتمد على مصادر بشرية.

للهجوم على لبنان، وإخراج عرفات من هناك، فكما ذكرنا سابقاً فقد أنشأ "عرفات" مملكته الخاصة في لبنان. كانت هذه المعلومات مؤكدة جدًا، وأنها كانت واضحة مثلما أراك الآن.

ماذا يعني مؤكدة؟

لا يوجد أدنى شك أنها كانت صحيحةً. حينما قدم الضابط الآخر رأيه التصوري وقال: إن المصدر كاذب، لم أستطع النوم طوال الليل، تعذبت؛ لأنه من ناحية وفقا لقدراتي وخبرتي التي حصلت عليها خلال عملي مئات الساعات التي قضيتها في ملاحقة الإرهابيين، شعرت أن هذا المصدر يقول الحقيقة، ومن ناحية أخرى فإن رأي يتعارض مع رأي ضابط الاستخبارات الآخر، والمعلومات التي تفيد بأن عرفات غير مهتم بالهجوم على لبنان.

عندئذ توجهت إلى قائدي "جادي زهير"[1] وقلت له: اسمع، "جادي": وجدت لؤلؤا في أكوام القمامة، وفسرت لـ "جادي" أنه من خلال الربط بين كل الأسماء والمحادثة مع هذا المصدر، فأنا شخصيًا مقتنع أن المعلومات صحيحة، وأنهم أي الارهابين على

(١) عميد احتياطي «جادي زهير» رئيس فرقة مكافحة الإرهاب في المخابرات، وقائد وحدة ٥٠٤ ورئيس الإدارة المدنية.

وشك شن هجوم إرهابي، لكن الضابط الثاني قال إن هذا ليس صحيحاً لأن المصدر كاذب لان عرفات غير مستعد للمغامرة.

سألني "جادي" ما الذي أقترحه؟ قلت له: اسمع، أقترح أن تقابل المصدر بنفسك وتتأكد من صحة المعلومات الواردة بنفسك.

في الحقيقة هو الذي قابل المصدر وعاد ومعه نتائج مذهلة وهي:

أولا: تأكدنا من مصداقية المصدر.

ثانيا: حصلنا من خلاله أيضا على معلومات عن قواعد الإرهابيين والتي سيتم من خلالها تنفيذ الهجوم الإرهابي، وكانت قواعدهم في منطقة دامور التي تقع جنوب بيروت، لذلك بعد التأكد من صحة المعلومات، وضع الاستخبارات البحرية في صورة التطورات، وبدأوا في استخدام وسائل استخباراتية متصلة بالإنترنت، وبصرية وأشياء أخرى، لن أتحدث في التفاصيل على الرغم من أنها ليست سرا، باختصار، قاموا باستخدام كل الوسائل الممكنة، واتضح أن هذه القواعد كانت تستعد بالفعل لتنفيذ هجوم إرهابي. تم تكليف وحدة الكوماندوز البحرية بمهمة إحباط العملية الإرهابية، وصلوا إلى هناك، ورأوا بأعينهم الإرهابيين الذين تحدثنا عنهم، وبطريقة ما كان هناك بعض التردد من المحاربين، وانتهى الأمر بإطلاق

النار على إحدى الإرهابيين وإصابته. في أعقاب ذلك فهم السيد "أبو جهاد" أن إسرائيل جاءت بنية تنفيذ الهجوم الإرهابي، وبدلًا من إلغاء الخطة العملية بعد هجومنا، قرر تسريع الاستعدادات للهجوم وتنفيذه في أسرع وقت. وبالرغم من كل ذلك لا يزال هناك إنجازات استخباراتية بفعل العمل مع البحرية.

بعبارات أخرى كان هناك تحذيرا من هجوم إرهابي قادم من خلال البحر، ووصل هذا الأمر إلى أعلى الرتب، ولكنهم لم يفعلوا شيئًا تجاهه.

انظر، عندما تقول هناك إنذار يجب أن تسوق له بقوة شديدة، ويوجد الكثير من الوسائل لتنفيذ هذا الأمر، يوجد على سبيل المثال أجهزة استخباراتية كتابية، ويوجد مناقشات أسبوعية، وتقييم للأوضاع، ومداولات عملية، ونزيهة. أنت سترفع هذا الأمر إلى رئيس الحكومة، ولوزير الدفاع، ولرئيس الأركان العامة، وفي هذه الحالة سترفعه إلى القوات البحرية، وستشاركه أيضا مع وكالات استخباراتية أجنبية، إذا لزم الأمر. ولكن رغم كل الاحتياطات التي اتخذناها لإفشال الهجوم الإرهابي إلا أنه في النهاية وقع الهجوم الإرهابي، اقصد هجوم عن طريق البحر، نعم خرجوا من السفينة الأم، بالضبط وفقًا للمعلومات التي كانت لدينا فإن قباطان السفينة

التي استخدموها في الهجمات الإرهابية من خلال البحر كانوا فاسدين وجبناء، وحصلوا على الكثير من الأموال التي تحتوي على آلاف الدولارات، وقد أخذوها دون أن يخاطروا بأنفسهم.

ماذا فعل القبطان في هذه الحالة؟

وقف عند نقطة ما اتجاه الجنوب الغربي للبحر، بعيدا قدر الإمكان عن الشاطئ الإسرائيلي، وقام بإنزال الإرهابيين في قارب مطاطي، وكان عددهم ١١ شخص، وقال لهم: انطلقوا وفي غضون وقت قصير ستصلون إلى إسرائيل. كان البحر هائجًا، وكان ارتفاع الأمواج حوالي أربعة، أو أربعة ونصف أمتار، وهذا يعني أنه من المستحيل الإبحار. ألتقط الإرهابيون أنفاسهم بصعوبة، ولعنوا اليوم الذي ولدوا فيه، وصرخوا في الأمواج، ولكن لم يسمعهم أي شخص، حتى سفن الحراسة الخاصة بنا لم تكن موجودة وقتها بسبب الحالة الطقس المزرية، ويمكن أن يتسبب الجو العاصف في الاضرار بزوارق الصواريخ. بدأ الإرهابيون يتحركون حسب تدفق البحر الأبيض المتوسط من الجنوب تجاه الشمال، وكان مكان وصولهم هو مرسى "ميخائيل"، لكنهم لم يكن لديهم أدنى فكرة عن مكان تواجدهم، واصطدموا بالصدفة بالمصورة الراحلة "غيل روبين" والتي تعمل في تصوير الطيور في برك الأسماك في هذا

المكان الرائع، قتلها هؤلاء الإرهابيين. وبعدها بدأوا في الركض تجاه الطريق، وخطفوا حافلة وسيارة أجرة، والنتيجة معروفة! قتلوا ٣٥ إسرائيلي، نعم في اللحظة التي سمعت فيها في تقرير العمليات قلت: هذه خليتنا!! كنت حزين جدًا، وحتى اليوم في كل مرة أعمل في مفترق "جليلوت"، حيثما وجد النصب التذكاري أدخل في مرحلة اكتئاب. قُتل معظم الإرهابيين لكن بقي اثنين منهم على قيد الحياة، عرفنا منهم ماذا حدث قبل أن تبدأ رحلة القتل، قالوا إنهم قاتلوا حتى يتمكنوا من السيطرة على الحافلة ويستحوذوا على المسافرين المتجهين إلى مطار بن غوريون، لكي يصعدوا بهم على الطائرة كرهائن، لكن مستوى توجههم كان ضعيف جدًا لدرجة أنهم لم يعرفوا حتى إذا كان مطار بن غوريون يقع جنوب أو شمال المفترق، وكانوا ببساطة مفزوعين. على كل حال، هذا لم يمنعهم من التسبب في كارثة أكبر. وبمناسبة الحديث عن هذه الحادثة البشعة والقاسية أريد أن أشير إلى نقطة أوضحتها لكل ضباط الاستخبارات وهي كيف تغلبنا على الفجوة بين الحقائق المؤكدة والتي تبدو موثوقة، والتي عليها لم يكن عرفات مهتما بإرسال الإرهابيين من لبنان، وبين المعلومات التي قالها المصدر الوحيد، واصراري على اقناع قادتي بالتعامل مع هذا الأمر، على الرغم من أن الضابط الثاني

وصف هذا المصدر بأنه كاذب، وأن المعلومات التي ينقلها لا تساوي شيئًا. وجدت هذه الفجوة على مستوى استراتيجي، وهذا يرجعني إلى أن الهجوم الإرهابي على فندق سافوي الذي وقع في شهر مارس عام ١٩٧٥، هناك أيضا وصل الإرهابيين من البحر في قارب مطاطي بعدما نزلوا من السفينة الأم، والإرهابي الوحيد الذي بقي على قيد الحياة روى في التحقيق أنهم قبل أن يخرجوا للطريق أخذوا على عاتقهم أنه إذا تم القبض على أي شخص منهم على قيد الحياة، يجب أن يكذب وأن يقول لهم أنهم جاءوا من مصر، وهذه كانت في الحقيقة سفسطة "عرفات"، والتي صممت لغرضين:

الأول: إذا جاءوا من مصر يجب على إسرائيل أن تهاجم مصر، ولكن هذا لم يحدث.

الثاني: أنها لن تهاجم لبنان، وهذا هو الأهم بالنسبة لـ "عرفات" مهم، بسبب أن مملكته التي أنشأها هناك كما ذكرنا آنفا.

عقب العملية الإرهابية التي وقعت على طريق البحر، تذكرت ذلك الأمر وعندئذ فهمت من أين جاءت هذه الفجوة. كان لـ "عرفات" تفكير معين وهو أن تُنفذ هذه العملية الإرهابية على خلفية محادثات السلام بين مصر وإسرائيل، من جانبه هو يرى أن المصريين خانوه

عندما وقعوا على عملية السلام مع إسرائيل، ولكنه كان خائفاً أيضاً من أن يُطرد من لبنان، لذلك فإن الإرهابيين لم يصلوا مباشرة من لبنان، لكنهم وصلوا من خلال سفينة في عرض البحر، من الجانب الجنوبي الغربي.

الجدير بالذكر أن الحصول على معلومات وثيقة ذات صلة بالموضوع من داخل محيط يحتوي على ملايين المعلومات، والتي بطريقة ما ليس لها أي معنى هذا يدل على براعة الاستخبارات. وقد أشرت أن هذه المعلومات من الممكن أن تحصل عليها اليوم بسهولة من خلال أجهزة الحاسوب، ولكن هذه الإمكانيات لم تكن موجودة مطلقا في ذلك الوقت.

ومن الدروس الأخرى التي تتعلمها في الاستخبارات أنك لا تفرض منطقك على العدو، واعتبر هذه العبارة شيئًا رئيسيًا في حياتك. صحيح، لا تتعالى عليه، وظيفة الاستخبارات هي الدخول إلى أعماق العدو ومحاولة التفكير مثله، لكي تستطيع أن تجلب للرتب العسكرية والسياسية جوهر تفكير العدو برؤيته الشخصية. في حرب يوم غفران كان لنا آنذاك تقدير مذهل، ولكنهم لم يفهموا عندما قال "السادات" وأكد: حرب قاسية وشرسة والتي بها سوف

نضحي بمليون مصري لأجل استعادة أرضينا المحتلة[1]. هو لا يثرثر كما وصفه، هو في الحقيقة مستعد أن يضحي بمليون جندي في قطاع طوله عشرة أمتار لقيادة عملية سياسية، والذي في نهايته سيرجع نصف جزيرة سيناء لمصر. هذا الدرس رافقني طوال حياتي المهنية، وهذا ينعكس على العملية الإرهابية على طريق الشاطئ، والفاجعة أن التحذير كان واضحًا وتغنى به الجميع وبالرغم من ذلك وقعت الحادثة بسبب مجموعة من الظروف.

وفي النهاية كلفنا هذا الأمر حياة ٣٥ إسرائيلي، وأدى أيضا إلى عملية الليطاني، الأمر الذي لم يمس حضور "عرفات" في لبنان، ولكن كان من الممكن أن يحدث، ولو وافقوا على عملية أوسع. طوال مسيرتي المهنية تعاملت بشكل كبير مع قضية لبنان وكنت أيضاً مرتبط بالأذرع الأمنية الأخرى المتصلة بهذه المواضيع. ورأيت المملكة التي أنشأها "عرفات" هناك، لكن طموحه كان بالتأكيد هو تدمير إسرائيل، وماذا حدث في النهاية؟ كنتيجة لحرب لبنان والتي خسر فيها ووصل إلى مدينة رام الله. أعني أنه يوجد هناك

(١) الأشياء التي قالها رئيس مصر «أنور السادات» في شهر يوليو عام ١٩٧١، قبل أكثر من سنتين من حرب يوم الغفران.

تفكير استراتيجي مُضلل والذي لا يُماثل التفكير العسكري، صحيح أنك عندما تطرده من لبنان سوف تؤذيه على المستوى العسكري.

وها هو الرجل هرب على سفينة حربية فرنسية إلى تونس، لكن ما الذي استفدتناه من هذا الحوار؟ في النهاية سمحت له إسرائيل بالوصول إلى رام الله. كيف؟ ولماذا سمحوا له بذلك؟ حقا لماذا؟

هذا بسبب خيالات هذا الرجل الوهمية وسوء الفهم حول طبيعته القاتلة والبغيضة، ولأنه بشكل شخصي كان لطيفًا! عندما كنت أتي إليه في التسعينات لم أكن أتوقع أبدا أن هذا سيحدث في حياتي، فقد ترك لدي انطباعاً بأنه رجل طيب، وكانت علاقاته الشخصية رائعة، وذات يوم قال عرفات "لشمعون بيريز" في حضوري: لماذا العقيد "جلعاد" ليس عميدًا؟ سمعت هذا الكلام وارتعشت من الخجل، فمن ناحية هذا يُعد إطراء، ومن ناحية أخرى هل ما احتاجه هو التوصية من هذا الرجل البغيض؟؟ فقط، هذا ما ينقصني.

ما المشكلة هنا؟

عندما يقرأ قائد وثيقة استخباراتية عن قائد إيراني، هو لا يستطيع أن يقابله ليعرف أن المعلومات الواردة صحيحة أم لا؟ لكن بحالة عرفات تستطيع أن تقابل هذا الرجل أعني أنه عندما كان على قيد

الحياة، وعندما قابل قائدك هذا الرجل قال ماذا يريدون منه؟ هو في الواقع يبدو لطيفًا جدًا، أنتم تقولون هراءً، لكن ماذا أفعل؟

كيف يمكن لشخص قاتل أن يكون لطيفا أيضا؟؟ لا يوجد توافق بين هاتين الكلمتين، العبرة التي أخذتها من هذا الموضوع، أنه من الممكن أن يكون بينك وبين شخص ما توافق لكن لا ينبغي أن يؤثر ذلك على حُكمك.

يحتوي هذا الكلام على الكثير من العمق، وهذه العبر والدروس المهمة هي التي ينبغي تدريسها.

مع مرور الوقت يبدو لي هذا الأمر مُحير جدًا، بعد أن ترك "عرفات" بيروت وبعد أن تعاون مع "صدام حسين" في حرب الخليج الثانية، في الواقع نحن أنقذناه من الغرق، وهذا يُذكرنا بـ "خرافات إيسوب" التي تحكي عن فلاح أنقذ ثعلب وفي النهاية قام الثعلب بِعضه، ويوجد الكثير من الروايات لهذا الموضوع.

نحن أنقذنا "عرفات" وفي اللحظة التي اشتد عزمه خدعنا بأعماله الإرهابية الوحشية والجنونية، فقد رأى "عرفات" الإرهاب كأسلوب حياة. بالمناسبة، هو عكس "أبو مازن"[1] الذي بالرغم من

(١) محمود عباس (١٩٣٥): ويكنى بـ أَبُو مَازِن، الرئيس الثاني للسلطة الوطنية

كل ما يُقال عنه إلا أنه ضد الإرهاب، ليس لأنه يحبنا، لكن لأنه يحب نفسه، وعلى خلاف ذلك فإن "عرفات" من أكبر الأعداء، وأخطاءنا في تقيمه كلفتنا الكثير من الدماء. البعض يقول إنه بدون "اتفاقية أوسلو" لِما حققنا الإنجازات الرائعة التي حققناها، لكني أعتقد أن هذا خطأ فظيع، يوجد كلمة في اللغة الفرنسية اسمها مساكنة، والتي تقابل في اللغة العبرية كلمة بمعنى أن يعيش شخص مع اثنين آخرين سواء رجل وامرأة أو رجلين دون أن يعرفهم، وبالنسبة لي أعتقد أنه من الصعب أن يتواجد الشخص مع شخص آخر يعمل في القتل الجماعي للمدنيين ويدعي السلام، أنت لا يمكنك إدارة مفاوضات للسلام وكأنه لا يوجد إرهاب، وإدارة حرب إرهابية كأنه لا يوجد اتفاقية سلام.

سنتحدث أيضاً بتوسع عن اتفاقية أوسلو، لكن دعونا نرجع لحظة إلى لبنان، حرب لبنان الأولى، وكل ما يخص هذ الموضوع عن إذا ما أرادوا أم لم يريدوا اغتيال «عرفات» في لبنان؟

انتبه، كان "عرفات" ابن موت، أنا لا أعرف شيئاً عن أي تخطيط حقيقي وواقعي لاغتياله في لبنان، لكن المسيحيين كجزء من

الفلسطينية منذ ١٥ يناير ٢٠٠٥، ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية، ولا يزال في ذات المنصب على الرغم من انتهاء ولايته دستورياً في ٩ يناير ٢٠٠٩.

خيانتهم أنقذه بغرض تصفية حساباتهم مع كل خصومهم التقليديين. وجد رجال "عرفات" في هذا البيت، ووجدت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وبعض الكتائب، وكان الجيش الإسرائيلي يُهاجم على أساس هذه المعلومات كل أنواع الأهداف التي ليس لها علاقة بـ "عرفات"، لكن تصفية "عرفات" نفسه لم يكن هدف أساسي لهم أقصد الكتائب. والحديث عن هذا الأمر أنه عندما غادر "عرفات" من بيروت كان في مرمى قناصتنا، وعندئذ لم يعط "بيجين" موافقة لإطلاق النار عليه، أنا أعتقد أن هذا الأمر يُعد خرافة، من الممكن أن يكون القناصة شاهدوه من خلال أعينهم المجردة وبدى لهم شخص مزعج، لكني أذكرك أنه خرج من هناك في سفينة حربية فرنسية، ولم يتجرأ أي شخص على قتله في الوقت الذي وجد فيه على ظهر هذه السفينة.

سنرجع بعد قليل لاتفاقيات أوسلو، لكن دعونا نتعمق لحظة في الانتفاضة الأولى التي كانت في شهر ديسمبر لعام ١٩٨٧، والتي كانت مفاجأة للاستخبارات، وبالتأكيد هذا يدل على فشل مخز للتقييم الاستخباراتي.

كنت أساعد السكرتير العسكري العميد احتياطي "عزرائيل نابو" لرئيس الحكومة "إسحاق شامير" أنا أتذكر أنني قولت له: سيدي

رئيس الحكومة الاستخبارات لن تعطيك شيئًا، لأن المخابرات تعتقد أن هذا الأمر ليس في مسؤوليتها، وأن الشاباك هو الهيئة الوقائية، واستمر هذا الأمر بعد اندلاع أعمال الشغب. التقارير الوحيدة التي حصل عليها رئيس الوزراء في هذه الأحداث كانت تقارير الرموز في قسم العمليات، والتي كانت تبلغ عن كل حجر، في الوقت الذي رشقوا فيه ملايين الأحجار، وكان يتم إرسال تقرير بكل حجر، كانت الضابطة "رحالي" المسؤولة عن الاتصالات في غرفة العمليات قد أبلغت عن حجر، والآن الضابطة "ميشال" أبلغت عن حجرين. قلت له عندما كنت في المخابرات وفي جامعة اليرموك في الأردن كانوا فوضويين، وعلى أثر ذلك كنت أجد ثلاث مجتمعات يعيشون في فوضى، هنا ومرورًا بـ "جبعات رام"، وعلى الرغم أنه لديك معرفة ببعض هذه الأمور ألا أنه لا أحد يعطيك الصورة الكاملة.

هكذا قلت لـ «إسحاق شامير»؟

نعم، قلت له ذلك قبل اندلاع الانتفاضة وأيضاً عقب وقوعها، وعندما وقعت هذه الانتفاضة، كنت مع " إسحاق رابين" في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي كان آنذاك وزير الدفاع،

وحينما زرنا الأكاديمية العسكرية الأمريكية ويست بوينت[1] تلقينا مكالمة هاتفية. كان رئيس الأركان العامة "دان شومرون"[2] على الهاتف وقال له: ابق في الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا صحيح، سأل "رابين" هل أبقى؟؟ رد عليه رئيس الأركان العامة: بالطبع!

ثم أردف في سؤاله قائلاً: وحيداً؟

أجاب: نعم، قليلاً.

هذا ما قالوه، كانت حادثة دعس شاحنة إسرائيلية ٤ فلسطينيين من مخيم اللاجئين جباليا حتى ماتوا جميعا[3]. قد أغضبت سكان

---

(١) الأكاديمية العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية (ويست بوينت) التي تقع في مدينة نيويورك

(٢) دان شومرون (١٩٣٧-٢٠٠٨): (بالعبرية: דן שומרון) هو رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي الثالث عشر في الفترة ما بين عامي ١٩٨٧-١٩٩١

(٣) في الثامن من شهر ديسمبر عام ١٩٨٧ أصطدم سائق شاحنة إسرائيلية بسيارتين أجرة فلسطينيتين جنوب معبر بيت حانون شمال قطاع غزة، وأسفر عن الحادث = = مصرع ٤ ركاب من سكان مخيم اللاجئين جباليا، وبدأت الشائعات على الفور بأن هذا لم يكن حادث سير، بل إصابة متعمدة انتقاما لمقتل «شلومو سيكل» والذي طُعن حتى مات قبل يومين في غزة. وفي صباح اليوم التالي بدأ المراهقون في المخيم برشق جنود الجيش الإسرائيلي بالحجارة، وحتى تسوية الخلاف

غزة، وانتشرت بعض الفوضى، لكنك لا تستطيع أن تعود إلى إسرائيل في هذه الحالة.

وقفت بجانبه أثناء المحادثة الهاتفية، كان هذا فظيع، شعرت أننا في وضع خطير، وطلبت أن ألتقي بـ "إيهود باراك" والذي كان رئيس الأركان العامة في ذلك الوقت.

قلت له: أنصت، أنا لا أعرف شيئا، لكن سيحدث أمر سيئًا! لم أكن أعلم أن هذا سيؤدي إلى انتفاضة، لكن كان واضحا بالنسبة لي، أن هذا لم يكن حدث محلياً، عندئذ قال "باراك": هذا الأمر هام جداً، ولكن في قوانين "باراك" هذا يعني: لا تشوش ذهني بهذه الأمور، باختصار كلامي كان مجرد حماقة.

بعد اندلاع الانتفاضة الأولى نجحت في إقناع "شامير" بإعطاء تعليمات إلى الشاباك بإنشاء هيئة تقييم موازية للمخابرات، لكي تناقش كل ما يخص الفلسطينيين. قلت له: لدى الشاباك قدرات عظيمة ويخدم به الكثير من الأشخاص من الذين يفهمون العرب والفلسطينيون، ويجب وضع هذا الامر في عين الاعتبار.

بدأت الفوضى تنتشر في قطاع غزة، والضفة الغربية والقدس الشرقية، اعتبر هذا اليوم التاسع من شهر ديسمبر لعام ١٩٨٧ هو يوم اندلاع الانتفاضة الأولى.

كان اهتمامي كرجل مخابرات ينصب في عدم إقامة هيئة تقييم كهذه، ولم يريد الشاباك هذا الأمر؛ لأنهم مشغولون بعمليات إحباط الإرهاب، لكنهم تلقوا أمرًا من "شامير" بإنشاء هيئة كهذه، وهو أمر مستحسن بهذه الطريقة، يجب ألا يكون هناك احتكار لأي شيء لا في الاقتصاد ولا في الاستخبارات.

الفصل السادس

عرض المعلومات السرية الاستخباراتية

اتفاقية أوسلو. ما الذي عرفته في ذلك الوقت؟ وما الذي لمِ تعرفه؟

في ذلك الوقت كنت ضمن أمور أخرى كضابط المخابرات الخاص ب "إلياكيم روبنشتاين"[1] في محادثات السلام. أجرينا محادثات مكثفة للغاية مع الأردنيين والفلسطينيين، لكن لم تكن لدينا أي فكرة عن السلام وذات يوم قلت لـ "إلياكيم": حسب المعلومات المتناثرة الأولية[2]، هناك مسار مواز يتم إجراؤه يتعارض مع ما نقوم به، وعنوانه "غزة –أريحا أولاً".

---

(١) بإلياكيم روبنشتاين: قاضى وقانوني ودبلوماسي إسرائيل، الذي أصبح لاحقًا المدعي العام ونائب رئيس المحكمة العليا، الوفد الإسرائيلي لمحادثات السلام مع الوفد الأردني الفلسطيني في واشنطن العاصمة، والوفد الإسرائيلي لمحادثات السلام مع الأردن.

(٢) كمستشار استخباراتي للوفد، تلقى جلعاد جميع المعلومات من وكالات المخابرات المختلفة حول ما كان يحدث للفلسطينيين في الأراضي وتونس، وبالتالي فهم من شظايا المعلومات أن مسارًا سريًا موازيًا كان يجري. لقد أخفى قادة أوسلو المحادثات حتى عن رؤساء الموساد والشاباك والجيش، وجاء رئيس الموساد في ذلك الوقت، شبتاي شافيت، إلى رابين ثلاث مرات وسأله عما إذا كان صحيحا أن هناك مساراً سرية. في اول مرتين، قال له رابين: هذا لا شيء. في

"الياكيم" هو شخص نزيه جداً، لدرجة انه ساذج نوعا ما، لا يوجد الكثير من هؤلاء الناس، أعظم صناعة للخدمة العامة لم يؤمن بوجود شيء من هذا القبيل. كان هو بنفسه سيبلغ عن كل التفاصيل، وكان يتوقع أن يعامل بالمثل لا أن تخفي معلومات حيوية عنه، سألني: هل أنت مقتنع بما تقول؟

قلت له: انظر كيف يمكن في كل مرة نتقدم في المحادثات تعيدنا يد خفية كانت هناك علاقة ممتازة بيننا وبين الفلسطينيين في المحادثات، وأنا أتحدث إليك عن مئات الساعات من المناقشات، ولكن في كل مرة نتقدم فيها خطوة واحدة، فإن اليد الخفية تعيدنا خمس خطوات إلى الوراء.

فقال لي "الياكيم": أي يد خفية؟

فقلت له: اليد الخفية من تونس... أتقصد عرفات؟ قلت لـ "إلياكيم": بالطبع حتمًا عرفات. هناك شيء محير، ماذا يعني غزة وأريحا أولاً؟ إذا كانت هذه هي البداية، فما هي التكملة؟ الترتيب دائم نحن لا نتعامل مع حل دائم، هذه ليست توجيهاتنا، ليست لدينا الصلاحية.

المرة الثالثة قال: «أطلب منك الخروج من هذا وعدم الانخراط فيه بعد الآن.»

سأل "إلياكيم" "حيدر عبد الشافي"[1] إذا كان هذا صحيحًا لكنه أيضًا لا يعرف شيئًا. كان الشافي رجلاً مؤثرًا للغاية، طبيب يساعد الفقراء بدون مقابل، رجل متواضع، ولكن كانت لديه مشكلة واحدة معنا؛ هي تعاطفه مع الجبهة الشعبية لجورج حبش، وكان يشرح مرارًا وتكرارًا، أن أفضل طريقة للتوصل إلى السلام هي أن تتفكك إسرائيل طواعية وتختفي وتتلاشى من على وجه الأرض. كان يقول لنا: إذا اختفيتم، فلن تكون هناك حاجة للمواجهة. وهذا رئيس بعثة محادثات السلام، نعم رئيس الوفد الذي عينه "عرفات"، "عرفات" كان يمقته، لأن "عبد الشافي" كان صريحاً ومتواضعاً على عكس "عرفات" لكن مواقفه كانت وحشية لدرجة أنها كانت لا تصدق، من الواضح أن "عرفات" عينه رئيساً للوفد لأنه كان يعلم أنه نقاش عقيم عديم الأهمية.

لقد تأثرت بـ "عبد الشافي" مرة أخرى، على المستوى المهني لأنه بكل صدق وإخلاص أوضح أنه لا توجد نية حقيقية وراء محادثات السلام. كثيراً ما أقول لـ "إيلاكم": ليس هناك فرصة لأن نحرز أي تقدم هنا، لسنا على الطريق الصحيح"

(١) حيدر محي الدين عبد الشافي (١٩١٩ -٢٠٠٧): هو طبيب وسياسي فلسطيني؛ ترأس وفد فلسطين المفاوض في مؤتمر مدريد للسلام.

لمصلحة أولئك الذين يديرون اتفاق "أوسلو" يقال: إنهم أداروها سرًا، حتى "إيتان هابر"[1] لم يكن يعلم بذلك. أتذكر أنني أخبرته، كان عائداً من إجازة في إيطاليا، التقيت به في الطابق الثاني من مكتب رئيس الوزراء، بالقرب من الباب الأمامي لسكرتارية مجلس الوزراء سمع "إيتان" وكان خائفًا كان في حالة صدمة مطلقة، لن أنسى أبدًا النظرة التي علت وجهه، صدمة مطلقة عندما اغتيل "رابين" أصيب بصدمة أكبر. "إلياكيم" أيضا تلقى الأمر بصعوبة بالغة، هذه هي المرة الأولى التي أراه فيها مذهولًا هكذا، كانت الصدمة مطلقة، لأنه تبين أيضًا لنا أن كل عملنا كان باطلًا بالمطلق، كنا نعمل بجهد شاق من ١٩إلى ١٨ ساعة في اليوم فقط لتحضير كل المعلومات، ثم إرشاد "إلياكيم"، وكل المفاوضات التي أجراها بيننا وبين اللجان والمناقشات مع الأردنيين ثم المفاوضات مع الأمريكيين، كنت أستيقظ كل يوم في الرابعة صباحًا وأخلد إلى الفراش في الواحدة ليلًا. أنت تعمل تعمل تعمل، وتدرك فجأة أنك

(١) إيتان هابر (١٩٤٠-٢٠٢٠): (بالعبرية: איתן הבר) هو وصحفي إسرائيل، يُعد مختصًا في النشر والكتابة حول القضايا العسكرية والأمنية، كما كان مستشارًا ومديرًا لمكتب رئيس الوزراء ووزير الدفاع اسحاق رابين أثناء المفاوضات مع الفلسطينيين.

تمشي طوال الوقت في جدول مخيب للآمال وأن المياه تتدفق في جدول آخر غير الذي تعمل به، وهذه المياه كريهة وسامة.

هل يمكنك القول إنكم كنتم فعلًا مصدراً للإلهاء؟

هذا ما يبدو عليه الأمر، كان تمويهاً للحفاظ على المسار السري، الذي لم يتم التشاور له لا مع الخبراء، ولا مع أفراد المخابرات ولا مع أي شخص. كل هذا مبني على حقيقة أن عرفات هو الشريك الوحيد ولا يوجد غيره، ربما كان شريكًا لا غيره، لكنه لم يكن شريكنا حقًا، أعتقد أنه ضعف في الواقع، بعد التعاون مع صدام حسين، الذي كان أحد أكبر القتلة، كان يجب أن نترك عرفات يغرق، وما فعلناه بالفعل هو إنقاذه، بالمناسبة، هذا لا يشبه ما حدث مع مصر عام ١٩٧٣ كان الجيش المصري ناجحاً في المراحل الأولى من الحرب، وتعافى الجيش الإسرائيلي بخطوات عسكرية مضادة في ظل ظروف شبه مستحيلة، والنتيجة أنه في النهاية يوجد سلام بين البلدين، لكنه سلام يقوم على أسس متينة، بينما كانت عملية السلام مع الفلسطينيين تقوم على أساس عدم اعتراف حقيقي بدولة إسرائيل.

أود أن أطرح سؤالًا آخر، سألته أيضاً في ذلك الوقت: هل أكثر

النزاعات تعقيدًا في العالم يمكن حلها حقًا من خلال الترتيبات المؤقتة مثل اتفاقيات أوسلو؟ هناك فرق بين الحل المؤقت والحل متعدد المراحل. الفرق ليس دلالي، ولكن جوهري، ترتيب متعدد المراحل مثل ذلك الذي قمنا به مع مصر ستعيد إسرائيل سيناء كلها إلى مصر على مراحل، كمدفوعات، واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة، كان لكل مرحلة وقت محدد، عندما تم في نهاية المرحلة الأخيرة رُفِعَ العلم المصري في طابا[1].

الحل المؤقت يعني أنه لا يوجد انتقال تلقائي إلى حل دائم، ومن ثم يصبح هو نفسه حلًا دائمًا ويؤدي إلى تسمم العلاقة تمامًا. هل هذا محتملًا هنا؟ صحيح أن هناك ترتيبات وسيطة في التاريخ أدت إلى حل دائم ناجح، ولكن في حالة إسرائيل والفلسطينيين كان فشل هيكلي.

---

(١) طابا: هي مدينة مصرية تتبع محافظة جنوب سيناء وتقع على رأس خليج العقبة بين سلسلة جبال وهضاب طابا الشرقية من جهة، عقب حرب أكتوبر عقدت في ١٩٧٩ اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل، والتي بموجبها بدأت إسرائيل انسحابها من سيناء، وفي أواخر عام ١٩٨١ الذي كان يتم خلاله تنفيذ المرحلة الأخيرة من مراحل هذا الانسحاب، سعى الجانب الإسرائيلي إلى افتعال أزمة تعرقل هذه المرحلة، كانت مسألة ما إذا كانت طابا تابعة لإسرائيل أم لمصر محل نزاع بين الدول، وفي نهاية التحكيم الدولي تقرر أن هذه أرض مصرية.

ما سبب هذا الفشل؟

أعتقد أن عملية أوسلو برمتها كانت مبنية على رغبة لا تستند إلى الواقع، وعود كاذبة على غرار كياسة عرفات، تحدث عن "سلام الشجعان" التي تبدو بطولية ومثيرة للإعجاب، لكن "سلام الشجعان" جسّد خطة تختفي في نهايتها دولة إسرائيل من الخريطة، حتى لو استغرق الأمر عقودًا. لقد زعمتُ آنذاك، وأنا أزعم اليوم، أن عرفات رأى أمام عينيه فلسطين بأكملها، والتي تشمل أيضًا المملكة الهاشمية، والمملكة الأردنية، وكل ذلك في عملية تدريجية قائمة على الاتجاهات الديموغرافية. كانت رؤيته أن تكون الضفة الغربية خالية من اليهود، وغزة بالطبع، وأن تنحصر دولة إسرائيل وتنمو أقلية عربية.

كيف قال عرفات ذلك؟

قال: رحم المرأة الفلسطينية سيهزم إسرائيل. كان يعتقد أن التوازن الديموغرافي سيتغلب في نهاية المطاف على حسابنا، وأنهم سيفوزون تاريخيًا. "ايهود باراك" الذي صوت ضد "أوسلو" في الحكومة وصفها بشكل جميل.

إذ قال هذا: كان الناس يجلسون في "أوسلو" في نزل للصيد،

ينظرون للخارج ويرون كبشًا يمر في الثلج. اشتعلت النار في المدفأة وسالت صلصة اللحم المشوي من طرفي أفواههم، وهذا في الواقع الرعوي الريفي، كانوا يحلمون بكل أنواع الأحلام بأن عرفات مستعد للتعايش، دولتان لشعبين تعيشان جنبًا إلى جنب، ولم يدركوا أن هذا هو حصان طروادة الذي سيفجر العمل كله في نهاية المطاف.

بعد كل شيء، لم يقل عرفات قط أنه بمجرد قيام دولة فلسطينية داخل حدود ١٩٦٧، مع تعديلات الحدود وحق العودة وهو بمثابة قنبلة موقوتة بذلك يكون نهاية الصراع، كما أنه لم يتعهد بأن يتوقف الإرهاب في الفترة المؤقتة لتطبيق اتفاقيات أوسلو. الحقيقة هي أنه لم يمنع الإرهاب أيضًا، على العكس تماما، لتحفيزنا، استمر في الانخراط في الإرهاب، أو تشجيع الإرهاب، مثل الصاعق الكهربائي. كلما حقق هدفًا، توقف الإرهاب مؤقتًا. لكنه لم يتخل أبدا عن الإرهاب. والحقيقة أن فتح لم تتوقف عن ممارسة الإرهاب إلا بعد وفاة عرفات، ويمكن الافتراء على "أبو مازن" وتصويره بطريقة شيطانية، لكنه ضد الإرهاب، ومن يتعامل مع الأمن يعرف ذلك، وهو أمر مهم جدا، وهو أيضا مستعد للتنسيق الأمني، وإلا ماذا؟ لن يستسلم. لا يريد أن يكون حاكماً على المناطق باسم

إسرائيل، قاتل على دولة مستقلة. أنا مقتنع بهذا، بالمناسبة، من يرثه بعد رحيله سيكون عنيفاً على غرار عرفات، هذا هو تقديري.

سنتحدث أيضا عن أبو مازن بشكل منفصل.

نعم. بالنظر إلى الماضي، قننت اتفاقيات "أوسلو" مفهوم أنه ليس لدينا شريك، المشكلة ليست في عدم وجود شريك لأنه يوجد، ولكن "عرفات" لم يكن كذلك، لم يكن شريكا للسلام. هذا رجل حاول في كل فرصة تقويض الشرق الأوسط ولبنان والأردن وبالطبع إسرائيل، من يغمس يديه في الدماء، بالأخص في اليهود، الشخص الذي ينخرط في مثل هذا الإرهاب المتطرف لا يمكن أن يكون شريكًا. هناك عبارة مشهورة تقول: السلام مع الأعداء، هذا جيد، لكن ليس مع "الإرهابيين" وغيرهم ممن لا يرغبون في التخلي عن الإرهاب.

لم يفهم رابين هذا في ذلك الوقت؟

في رأيي، فهم رئيس الوزراء هذا لأنه كان رجل أمن حقيقي. كان يفكر في نفس الاشياء بالنسبة لعرفات. إذا كان الأمر كذلك، يمكنك إعادة الهيكلة، إذا كنت بالفعل شريكًا في هذا.

كيف بعد كل شيء استسلم «رابين» لـ «بيريز» وانتقل إلى القناة الفلسطينية؟

أنت تعرف ذلك أفضل مني. أعرفُ القصةَ. عاد كلاً من وزير الخارجية "وارن كريستوفر"[1] والمبعوث "دينيس روس" من دمشق، أتوا إلى مقر إقامة "رابين" وأوضحوا أن الرئيس السوري "حافظ الأسد" غير مستعد لاتفاق سلام مع إسرائيل، تسبب هذا في أزمة داخلية لـ"رابين"، لقد فضل الطريق السوري ولم يؤمن بمسار "بيريز" الفلسطيني، ولكن بمجرد أن رفض الأسد، قرر الذهاب إلى "أوسلو" على أي حال.

لقد كتبت عنها مرات لا تحصى، لكني أريد أن أسمع روايتك.

انظر، كان "رابين" رجلاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لقد كان رجلا رائعاً حقاً وخدمتي تحت قيادته كانت شرفاً كبيراً، لكن يبدو لي أنه كان يعاني من بعض نقاط الضعف. أعتقد أن بيريز جعله يدرك أنه إذا لم يسع إلى اتفاق سلام مع الفلسطينيين، فسوف يُلقى به

(١) وارن م كريستوفر (١٩٢٥-٢٠١١): (بالإنجليزية: Warren Minor Christopher) هو محامي ودبلوماسي وسياسي أمريكي. شغل كريستوفر منصب وزير الخارجية الأمريكي الثالث والستين خلال فترة ولاية بيل كلينتون الأولى

على هوامش التاريخ. "رابين" لم يؤمن حقًا بأنه سيكون هناك سلام مع الفلسطينيين، لذلك قال له "بيريز": جربه. حقيقة أنه وقع "اتفاقية أوسلو" بقلم ثمنه شيكل واحد إنه يرمز إلى ما فكر به في الاتفاقية، ولم يعطها ولو فرصة واحد بالمئة، هو حقا لم يصدق "عرفات" في الواقع. لم تكن تحليلاته مختلفة عني.

هل يمكنك التفصيل الإيضاح؟

لقد رأى "عرفات" كتهديد كان يعرف بالضبط من هو "عرفات". بعد كل شيء، كان وزيرا للدفاع في الانتفاضة الأولى، لكن كان من الواضح أن "عرفات" كان وراء كل الاعمال الإرهابية.

لدي سؤال افتراضي لو لم يتم اغتيال «رابين»، في رأيك هل تعتقد أنه كان سيواصل التسوية الدائمة أو يوقف عملية السلام مع الفلسطينيين؟

في رأيي، كان سيذهب إلى تسوية دائمة، أو على الأقل يحاول.

هل كان سيذهب؟ مرة أخرى، هذا سؤال افتراضي بالطبع.

أعتقد أنه كان سيواصل إلى النقطة التي لن يعد من الممكن فيها المضي قدمًا. في النهاية سيؤدي إلى فجوة بينه وبين "عرفات". لن يستطع التوصل إلى سلام دائم مع "عرفات" كما أتصوره. وادعى

"عرفات" أنه كان سيتوصل إلى اتفاق دائم مع "رابين"، لكنه ادعى ذلك فقط بعد اغتيال رابين.

قلتم في وقت سابق أن عرفات تمكن من خداع إسرائيل. لم يستطع أن يخدعك. كيف تفسر ذلك؟

انظر، أنا أيضًا، لو لم أكن أعرف عرفات منذ عقود، من أعلاه لأسفله، لما كنت متأكدًا من أنني كنت سأصل إلى هذه الأفكار. هناك من يختلف معي حتى يومنا هذا ويرون في نظرتي نوعًا من رداء المهنية لأيديولوجية تنكر الحل مع الفلسطينيين. هذا غير صحيح. كانت مشكلتي مع "عرفات". أنا أزعم أن هذا هو السبب الذي أوصلنا إلى الانتفاضة الثانية، وهناك خلافات جدية حول ذلك أيضًا. على سبيل المثال "يوفال ديسكين"[1]، ادعي في جلسات "الكبانيت" -مجلس الوزراء المصغر- بأن الوصف الكامل الذي قدمته لا أساس له من الصحة وأنني ناشط سياسي. أنا أزعم أن الشاباك "جهاز الأمن العام" أخطأ في التحذير الاستراتيجي للانتفاضة الثانية، وربما كان هذا هو الخلفية للادعاءات ضدي.

(١) يوفال ديسكين: رئيس(الشاباك) جهاز الأمن العام من عام ٢٠٠٥-حتى عام ٢٠١١ ونائب رئيس الجهاز في ذروة الانتفاضة الثانية.

سنتحدث لاحقًا عن التحذير الذي كان أو لم يكن في الفترة التي سبقت الانتفاضة الثانية. ولكن قبل ذلك أخبرني قليلاً عن رحلاتك إلى «عرفات» في مهمة «رابين» حتى قبل وصوله إلى رام الله. أين ومتى قابلته؟

لقد زرته في تونس ثلاث مرات، وفي غزة في منتصف الليل مرة أو مرتين، التقيت به في القاهرة مرتين أيضا، كما التقيت به في رومانيا مع "بيريز". لكن في رومانيا كان الأمر مختلفًا بعض الشيء.

دعنا نركز على تونس، لأن هذا هو جوهرها.

كنت هناك مع جاك "نيريا"[1] بعد "أوسلو" حيث تم إرسالي إلى "عرفات" لإحضار قرص "زكريا بوميل" أحد الجنود الثلاثة الذين فقدوا في معركة السلطان "يعقوب"[2]. كان في الواقع نصف قرص، على كلٍّ، يتكون قرص التعريف العسكري من جزأين، كل منهما محفور عليه الاسم والرقم الشخصي لو لا سمح الله قتل جندي

(١) جاك نيريا: ضابط مخابرات سابق، كان المستشار السياسي لرئيس الوزراء اسحاق رابين.

(٢) زكريا باومل ويهودا كاتس وزفي فيلدمان فُقدوا منذ معركة السلطان يعقوب في حرب لبنان الأولى في ١٠-١١ يونيو ١٩٨٢، وفي إبريل ٢٠١٩ نُقل جثمان باومل من سوريا إلى إسرائيل ودفن في مقبرة جبل هرتسل العسكرية.

فيقسّمه إلى قسمين، ويبقى نصف على تجويف الجثة. المشكلة هي، إن مجرد وجود القرص، أو نصف القرص، ليس دليلاً على أي شيء لا للشخص الحي، ولا للميت. لكن بالنسبة لوالديه "زكريا" و "مريم" كان ذلك مهمًا جدًا. وأيضاً مهم جداً بالنسبة لدولتنا ولرئيس الوزراء وللجيش الإسرائيلي أن يعرفوا ما حدث لجنودنا ومكان دفنهم على افتراض أنهم قتلوا بالفعل. لقد افترضنا أن "عرفات" كان يعلم، وأعتقد أنه كان يعرف حتى يومنا هذا على الأقل قدم معلومات.

أنت تقصد الأقراص؟

نعم، لقد كنت محظوظًا، هذا بالضبط ما أراه، أرسلني رئيس الوزراء "رابين"، الذي أقدره كثيرًا، إلى "عرفات" عندما تكون المهمة أسير أو مفقود.

كيف وصلت إلى تونس؟ من نظم الرحلات

تونس كانت هي مقر منظمة التحرير الفلسطينية، بناء على تعليمات شخصية من "عرفات"، سافرنا من إسرائيل لزيورخ أو لجنيف، ودائما في خطوط الطيران السويسري[1]. لم توافق الشركة

(١) شركة الطيران الوطنية السويسرية، التي تم حلها في عام ٢٠٠٢.

السويسرية على إصدار تذكرة ما قبل الرحلة من إسرائيل إلى تونس بسبب عدم وجود علاقات دبلوماسية كما تسافر على سبيل المثال، إلى واشنطن عبر نيويورك. لذلك عندما هبطت في سويسرا، كان عليَّ الذهاب إلى منصتهم والقول أريد أن أسافر إلى تونس. ذهبت إلى المنصة وطلبت مني الموظفة اللطيفة جواز السفر. سلمتها جواز سفر إسرائيلي ليس لدي جواز سفر آخر وكادت أن تموت: ماذا!! أين تريد أن تسافر يا سيدي؟

قلت لها: إلى تونس.

قالت: لا يمكنك الطيران. أنت مواطن من دولة معادية.

قلت: حسًا، لكنني مدعو، انظري إلى القوائم. فنظرت. فظهر اسمي.

قالت: جيد، سأعطيك تذكرة.

سافرت مرتين من سويسرا إلى تونس في الخطوط الجوية السويسرية ومرة واحدة في الخطوط الجوية التونسية. كان الطيارون أجانب وليسوا تونسيين وكانت لدي تجربة استثنائية هناك في هذه الرحلة. جلس أمامي رجل غير لطيف أبدا وأيضاً جلس ورائي رجل لم يكن لطيفًا أيضا، عندما كانت الطائرة فوق مالطا وبدأت في الانخفاض والهبوط اتجاه تونس، نهض الرجل خلفي وبدأ

في تفريغ حقائبه من المقصورة فوق المقعد. قالت له المضيفة: سيدي من فضلك اجلس يجب أن تجلس. في اللغة العربية، الكلمة المستخدمة للمضيفة هي خادمة والتي تخدم أيضًا فنهض عابسًا

وقال لها: من أنت على أي حال؟ أنتِ خادمة لن تخبريني ماذا أفعل

فقالت له: عذرا، هذه ليست مسألة شخصية هناك تعليمات سلامة عند الهبوط يجلس الركاب مقيدون بأحزمة الأمان ولا يمكنهم النهوض.

ويتابع: من أنتِ لتخبرني ماذا أفعل؟

فيقول له الرجل الذي أمامه: حدثها بلطف.

فيجيبه: من أنت؟

كاد يضرب بعضهم بعضا، وأنا كنت في المنتصف، بين الاثنين، إسرائيلي على متن طائرة طيران عربية.

أريد أن أساعد المضيفة، لكن ماذا أفعل؟ أنا في مهمة رسمية بمعرفة السلطات لذلك لم أستطع التدخل.

باختصار، هبطنا في تونس، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية ينتظرنا هناك ويرافقنا إلى فحص الجوازات.

قيل لنا: جواز السفر الإسرائيلي لا يأتي إلى هنا، وطلبوا جواز السفر أعطيت جواز السفر للشرطة، وقدموا لي ملاحظة باللغة الفرنسية، "كوميساريا دي بوليس" أي "تفويض الشرطة" لكن بدون صورة، هذه هي الوثيقة التي تحصل عليها عندما تدخل دولة لا توجد معها علاقة دبلوماسية. يمكنك التحرك معها بحد أقصى من باب غرفتك إلى الشرفة هذا هولا أكثر ولا أقل. إلى جانب ذلك كنت أعتمد على أعضاء منظمة التحرير وكنت أنام في دار الضيافة التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية. ليس من الحكومة التونسية، بل من منظمة التحرير الفلسطينية، لقد تجنبنا التونسيون تمامًا كأننا بالنسبة لهم لم نكن موجودين فإذا تجرأنا على السير هناك بمفردنا في الشارع، فسوف يطلقون النار علينا دون سابق إنذار، لقد كانت مؤسسة رائعة، مثل هذه المؤسسة الجميلة التي يحرسها العديد من القتلة والإرهابيين السابقين أو غير السابقين. كان مضيفي الرسمي هو "جبريل الرجوب"[1] اصطحبن إلى الغداء وإلى اجتماعات مع

(١) جبريل الرجوب (١٩٣٥): هو سياسي فلسطيني، رئيس ومؤسس الأمن الوقائي في الضفة الغربية حتى عام ٢٠٠٢، كما كان عضوًا في المجلس الثوري لحركة فتح حتى عام ٢٠٠٩، وانتُخب لعضويّة اللجنة المركزية لحركة فتح في المؤتمر السادس للحركة عام ٢٠٠٩ فأصبحَ نائبًا لأمين سر اللجنة حتى عام ٢٠١٧ قبل أن يُصبح أمين سر اللجنة المركزية للحركة في نفس العام.

عرفات. يبدو أن "عرفات" أراد إحراجي لذلك دُفعت رغما عني لأخذ صورة مع "عرفات" وورائي خلفية لصورة "أبو جهاد" ومسجد قبة الصخرة وقبلني "عرفات" رغم إصابته بالحمى.

هل تم تصويرك بجانب صورة ابو جهاد؟

نعم، أبو جهاد نفسه الذي لقي مصرعه على مسافة جغرافية قصيرة جدًا من هذا المكان في تونس، لم يكن لدي أي خيار وكل هذا حدث في منتصف الليل هذه هي الساعات التي كان "عرفات" يعمل فيها، هذه طريقته ثم تبدأ بالجلوس ويشرب الشاي مع تفاح بالعسل، لم يكن يشرب القهوة بالطبع تم ضيافتنا بشكل لائق كنافة وما شابه ذلك.

وكان شخصًا غير منتبه للتفاصيل الصغيرة لم تكن تهمه لكن كان لدي بعض المشاهد التي لا أنساها حتى يومنا هذا.

على سبيل المثال؟

على سبيل المثال، في كل مرة هبطت فيها تونس، كان يظهر "أحمد الطيبي"[1] في الاجتماعات كان "الطيبي" يجلس بجانب

(١) أحمد كامل أحمد الطيبي (١٩٥٨): (بالعبرية: אחמד טיבי) هو طبيب سابق وعضو مجلس النواب الإسرائيلي «الكنيست» منذ سنة ١٩٩٩، ورئيس الحركة

"عرفات" أقول لعرفات بالعربية: سيدي الرئيس -كلمة "رئيس" بالعربية تعني رئيسًا للدولة ورئيسًا للجلسة - لدي سؤال لك، قال عرفات: تفضل، تفضل.

هل تعتقد أنه من المنطقي أن يجلس مواطن إسرائيلي، كأحمد الطيبي، بجوارك وأمامي عندما أكون ممثلًا عن رئيس الوزراء الإسرائيلي؟

عرفات بدهائه وعيناه تتدحرجان أجاب عن سؤالي: فماذا تريدني أن أفعل؟

ربما كان يتوقع مني أن أطلب منه التخلص من الطيبي، ثم يقول له: ابق. هذا يبدو لي سخيفاً لأن الطيبي وهو مواطن إسرائيلي يمثل الفلسطينيين أمامنا.

حتى يومنا هذا يبدو لي أنه مجنون في ذلك الوقت لم يكن عضوا في الكنيست بعد.

فقلت له لعرفات: حضرة الرئيس انت صاحب البيت القرار لك.

العربية للتغيير، رافق الرئيس عرفات في شؤون السياسة الفلسطينية حيث شغل عام ١٩٩٣ منصب مستشار الرئيس الفلسطيني لشؤون الأقلية العربية التي تشكل ٢٠٪ من السكان في إسرائيل.

أنا فقط أنقل مشاعري إليك وستفعل ما تفهمه، نظر، ونظر، ونظر، وفي النهاية قال للطيبي: ابق خارجاً.

الطيبي كاد أن يموت حرجا..

هذه ليست قصة صغيرة هذه قصة كبيرة إنه أمر جلل.

نعم.. ولدي قصة شيقة أخرى

جلسنا في مطعم "رآني فيصل الحسيني"[1] وسأل: ماذا تفعل هنا في تونس؟ وكان إلى جوارنا على بعد طاولتين منا يجلس السفير الليبي.

كان لا يزال في عهد القذافي فقلت له: أي، أنا أتبعك أينما كنت أكون أنا أيضًا أحيانًا تراني وأحيانًا لا تراني.

هذا بالطبع ليس واقعيًا هذا مزاح لكن "الرجوب" انقلب ضحكًا.

كان "الرجوب" نفسه يحمل سلاحا شخصيا في ذلك الوقت في تونس، كان الأمر خطير للغاية، لأن الجنود التونسيين يتمتعون بحرية التصرف في إطلاق النار على كل من لا يطيع التعليمات.

---

(١) فيصل عبد القادر الحسيني (٢٠٠١): هو سياسي فلسطيني من عائلة = = الحسيني الفلسطينية، كان مسؤولاً عن شؤون القدس في السلطة الفلسطينية، نجل عبد القادر الحسيني قائد القوات العربية في منطقة القدس إبان حرب الاستقلال، وكان ابن عم والده المفتي الحاج أمين الحسيني.

كان في ذلك الوقت كل من يحمل سلاحا يحكم عليه بالإعدام وما زلت أسأله: ماذا، أنت تحكم هنا؟

قال: نعم.

تصرف "الرجوب" بلطف شديد لكن فيما بعدها حدث معنا حادثة غير سارة، إذ قلت لرجوب: أنت مجرم متنكر في بدلة

قال غاضبًا: أنا؟ لقد استضفت "عاموس جلعاد" بشكل جميل جدًا، هكذا تتصرف بفظاظة وقلة احترام؟

لم أكن أريد أن أخبره من قال هذه الأشياء عنه، حقًا فضلت امتصاص غضبه وبقي يهاجمني لمدة أسبوع وسمحنا لوسائل الإعلام بإجراء مقابلة معه ثم اكتشف فجأة من هو.

من كان هذا؟

سأقول لك من صاحب هذا لكني لا أريدك أن تكتبها.

على أية حالٍ بعد أن اكتشف الرجوب بالصدفة من هو اتصل بي وقال لي: لماذا لم تخبرني أنه هذا وذاك؟

قلت له: قبل كل شيء أنا خجل منك أنت رئيس جهاز استخبارات كيف لا تعرف من قال هذا؟

ثانيا، هل تعتقد أنني سأقدم معلومات عن أي إسرائيلي؟ من الأفضل أن تطلق عليَّ النار.

هناك أيضا قصة متعلقة بالقرص الخاص بـ «زكريا بوميل».

نعم حصلنا على القرص الآن، كان "جاك نيريا" مستشارًا سياسيًا وأنا ضابط مخابرات وكان هناك جدال بيننا حول من سيحمل القرص.

أخبرته أنه يمكن أن أكون أنا لأنني ضابط.

قال لي: لا تهم رتبتي، وأولي أهمية كبيرة للرموز خاصة عندما يتعلق الأمر بالجيش والأمن.

قلت له: صحيح أن السيد "بوميل" يدعي أن القرص لا يشير إلى أي شيء، وقد يكون على حق، ولكن القرص نفسه شيء محترم لأنه قرص لجندي إسرائيلي أصيب في ساحة المعركة في لبنان.

لذلك أصر على أن أكون أنا حسنًا. وافق على أي حال.

أمرنا رئيس الوزراء "رابين" بمقابلته في أوروبا لإبلاغه عن الرحلة هناك التقينا به كنا معه في الرحلة.

نعم. لكني لم أعرف أين كان. كانت المعلومات التي حصلنا عليها أنه كان في باريس وزراء أربعة عواصم.

في نفس الرحلة؟

نعم. كان من المفترض أن يأتي إلى "بروكسل"، ولكن كانت هناك عاصفة ثلجية.

وأغلقت المطارات، لذلك كان من المستحيل معرفة مكان وجوده. هبطنا في فرانكفورت وقال "جاك": سأتصل وأتحقق من مكانه.

قلت له: حسنًا.

في تلك الأيام لم تكن هناك هواتف محمولة تقريبًا، لذلك وضع حقيبته على الأرض وذهب للبحث عن هاتف، وفي غضون ١٥ ثانية قامت عصابة من الغجر بسرقة حقيبته في وسط مطار فرانكفورت.

من الأشياء التي تعلمتها خاصة من الموساد، أن كل ما هو مهم للدولة ارتديه على جسدك.

في الواقع، كنت أضع القرص على جسدي، وعندما سُرقت حقيبة "جاك" كان أول شيء فكرت فيه هو ما كان سيحدث لو كان قرص "زكريا بوميل" في حقيبته وسرقوه، ماذا ستكون العناوين حينها.. هذه قصة.

إليكم قصة أخرى مثيرة للاهتمام أيضًا عندما وصلنا إلى تونس ذات مرة في عام ١٩٩٣ أفادت وسائل الإعلام أن منظمة التحرير الفلسطينية قد ألقت القبض على عميل يديره الموساد، ووفقًا للتقارير فقد زرع العميل جهاز استماع في كرسي أبو مازن، الذي كان آنذاك نائباً لعرفات لقد كان كرسيًا لتقويم العظام مريحًا بشكل خاص حيث تم زرع جهاز استماع في أحد مقابضه[١].

تم اكتشاف الأمر وكان أفراد منظمة التحرير الفلسطينية غاضبين أعتقد أنهم في إسرائيل عرفوا أن القصة قد تم الكشف عنها، وربما لم يعرفوا ما هو مؤكد أنه لم يتكلف أحد عناء تحذيري على الرغم من أنني كنت في مهمة لرئيس الوزراء.

على أية حال لم أكن أعلم بوجود مثل هذه العملية، عملية دفن جهاز تنصت في كرسي "أبو مازن" لأنني لم أكن شريكًا، رغم أنني قدّرت أن المؤسسة تعرف كيف تفعل مثل هذه الأشياء، وكل هذا كما ذكرنا حدث وأنا في تونس. تم استدعائي للتحدث مع "حكم

(١) كشف رونين برغمان في وقت لاحق في صحيفة يديعوت احرونوت عن عملية الأسطول الذهبي للموساد، والتي ضمن مضمونها تم زرع جهاز تنصت في مكتب أبو مازن في تونس، قبل وقت قصير من توقيع اتفاقية أوسلو.

بلعاوي[1] الذي كان حينها رئيس جهاز الأمن الفلسطيني. رجل قصير ماكر من قرية "بلعا" قرب "طولكرم"، طلب توضيحات مني فقلت له: ليس لدي أدنى فكرة عما تتحدث عنه ولا أعمل في الموساد، ولكنه لم يصدق ذلك.

كانت هناك حالة أخرى مماثلة أيضًا أثناء زيارتي لتونس، وفي نفس العام كنت جالس معهم في اجتماع، وفجأة يتلقون تقريراً يفيد بأن الجيش الإسرائيلي قتل سبعة من نشطاء فتح في غزة. وكان من بين الحضور "محمد دحلان"[2] وكان أحد الناشطين من اصدقائه الشخصيين، طبعاً غضب دحلان بشدة وصرخ لدرجة أنني كنت متأكدًا من أنه سيطلق النار علي على الفور انتقاما. لا أعرف كم كان قريبًا من فعل هذا لكنه كان مزعجًا للغاية. وقصة أخرى: كان عليَّ أن أعود لإسرائيل بجدول زمني قصير بسبب بعض الأعمال التي

(١) حكم بلعاوي (١٩٣٨-٢٠٢٠): سياسي ودبلوماسي فلسطيني، وأحد أعضاء حركة فتح. شغل مناصب عديدة أبرزها سفير منظمة التحرير الفلسطينية لدى تونس، وعضو المجلس التشريعي الفلسطيني الأول والثاني ووزير الداخلية في حكومة أحمد قريع الثانية سياسي ودبلوماسي فلسطيني، وأحد أعضاء حركة فتح.

(٢) محمد دحلان (١٩٦١): هو قيادي في حركة فتح، وسياسي فلسطيني، وأصدرت اللجنة المركزية لحركة فتح قرار فصل دحلان ووقع على القرار محمود عباس بسبب تهم تتعلق بالفساد، وقررت اللجنة إحالة ملفه إلى القضاء.

طرأت، وكانت جميع الرحلات الجوية متوقفة لساعات طويلة في أوروبا، وباختصار عرضنا الأمر على الرجوب، وفعلاً وجد حلاً أو وجده عرفات، أنا لا أعرف.

قال: حلقوا بطائرة عرفات"

قلت في نفسي: حقاً! أنا في طائرة عرفات؟ ما الذي يجري هنا؟ اعترض رجال عرفات.

قالوا: رجل مخابرات مثل "عاموس" لن يصعد على متن طائرة عرفات لأن طائرة عرفات كانت دائمًا مستهدفة، وربما كانوا يخشون أن نرسل بطريقة ما إشارة لإسرائيل بمكان وجود الطائرة ومن ثم نسقطها.

انهم لم يخبروني بهذا لكنها وصلت إلى أذني بطريقة ما.

قلت لهم: هل تعتقدون أننا نريد الانفجار في الهواء؟ ماذا أكون، انتحاري؟ لكنهم أصروا على عدم ركوب الطائرة، وهكذا وصل لعرفات وأمرنا بالصعود إلى الطائرة.

لذلك قالوا -رجال عرفات-: لأسباب أمنية، أن ننتقل في موقت معين إلى المطار ما، بمعنى انه يجب ان ننتظر الرحلة لمدة خمس، ست ساعات ماذا يمكن أن نفعل؟

أخذونا إلى المطار وانتظرنا في قاعة (VIP) الشخصيات المهمة الفاخرة. بعد ساعات قليلة ظهر عرفات وطائرته.

كان لديه طائرات خاصة التي تلقاها كإعارة من الحكام الأفارقة. لا أتذكر من كان الذي أعاره إياها، ولكن ربما واحد من المشهورين بالإسراف. كل شيء في الداخل من الذهب.

خلال الرحلة جلس عرفات في غرفة منفصلة لوحده رائعة جدا، في بعض الأحيان كان يأتي إلينا ليثبت حضوره.

عندما كنا أمام ليبيا بدأت أعطال تقنية في الطائرة لكنها بقدر ما كانت رائعة، يبدو أن صيانتها لم تكن كذلك.

تقريبا هبطنا هناك هبوطاً اضطرارياً، وفي النهاية هبطنا في القاهرة ومن هناك ذهبنا إلى إسرائيل.

هذه قصص مذهلة!!

نعم، كانت لدينا تجارب عديدة هناك. لكن هذه كلها حكايات، أما القصة المهمة حقًا والتي أصبحت واحدة من الأحداث المميزة في مسيرتي المهنية كانت خلال أحاديث موجزة محادثة قصيرة في اقتباسات كنت أجريها مع عرفات في عام ١٩٩٣.

لقد أخبرتك من قبل أن لدينا علاقة رائعة، على الرغم من أنني ظللت أحذر من أنه قاتل وليس شريكًا حقيقيًا للسلام، ولكن الحياة غريبة وفي بعض الأحيان توجد ديناميكيات شخصية يصعب تفسيرها.

في إحدى المرات كنا جالسين، وفجأة سألني عرفات: جلعاد هل تعرف أين هو "الكرينتل" -جبل الأربعين-[1]؟.

قلت له: نعم، أعرف.

يجب أن يعرف كل ضابط مخابرات برتبة مقدم " الكرينتل"، ثم أخذ خريطة وبدأ في الرسم ليوضح لي على الخريطة كيف سيحول وادي الأردن في المستقبل وأنا أقتبس منه- إلى مخزن للقمح الفلسطيني.

سألته: كم عدد الأشخاص الذين يعيشون هنا؟

قال: اليوم يعيش بضعة آلاف في وادي الأردن أوما يزيد قليلًا عن ٢٠ ألف شخص في أريحا.

وقال: سيكون هناك ٣٠٠ ألف شخص هنا سوف يزرعون الأرض ويوفرون الخبز للدولة الفلسطينية. صدمتني أقواله.

(١) جبل شاهق فوق هضبة الأردن وأريحا، الآن في أراضي السلطة الفلسطينية.

لماذا؟

لأنني فهمت على الفور إلى أين يتجه هذا شيء مهم جدًا في الاستخبارات، لعمل الروابط الصحيحة، وأنا على الفور تذكرت ما كان عليه في عام ١٩٨٥، مع برنامج الكونفدرالية وما فعله عام ١٩٧٠عندما حاول ابتلاع الأردن.

وَضِّح.

في ١١ فبراير ١٩٨٥ تم توقيع اتفاقية اتحاد بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، عذراً لم يتم التوقيع عليها لأن عرفات لم يوقع في النهاية، لكنه توصل مع الملك حسين إلى اتفاق حول اتحاد دولتين مستقلتين الأردن وفلسطين. قال الملك حسين: أوافق بشرط أن تكون عمان العاصمة الوحيدة وأن تكون فلسطين والضفة الغربية مثل الحكم الذاتي. لم يقل الحكم الذاتي لكن هذا ما قصده، اتحاد لديه عاصمة واحدة، هي عمان. من ناحية أخرى أراد عرفات إقامة اتحاد بين دولتين مستقلتين بعاصمتين. لذا انفجر في النهاية. وكل هذا بعد طرده من لبنان مخزيًا، فر من هناك على متن سفينة حربية، لكن ذلك لم يمنعه من الاستجابة لهذا المطلب في ذروة ضعفه لم يتخلَّ عن أيديولوجيته القاتلة، التي تهدف إلى

القضاء على الأردن وإسرائيل وإقامة فلسطين واحدة من الحدود العراقية إلى البحر الأبيض المتوسط.

ما أراده عرفات حقًا هو بناء بنية تحتية لـ"إيردينتا"[1] على أساس الأغلبية الفلسطينية الموجودة فيه، وبالتالي الاستيلاء على المملكة الهاشمية وجعلها جزءًا من فلسطين. أي تحويل الأردن إلى الجبهة الداخلية للدولة الفلسطينية، لذلك أصر على أنه بموجب اتفاقية الكونفدرالية ستكون فلسطين دولة مستقلة، بعاصمتها الخاصة على افتراض أن ذلك سيسهل السيطرة على الأردن في المستقبل. فهم الملك المستقبل فقال: لن يقوم ولن يكون. ينبغي أن نفهم الأردنيون عندما أيدوا عرفات أنهم ساندوه بنفاق، ليس صحيحا لقد فهموا أن أساليبه ستؤدي إلى تدميرهم، إنهم ليسوا أغبياء. هذا ما حاول عرفات القيام به في عام ١٩٨٥ وعندما جلست معه في عام ١٩٩٣ وسحب الخريطة، وبدأ يتحدث عن وادي الأردن أدركت على الفور أنه كان يقصد الشيء نفسه بالضبط. تنظر إلى الخريطة وحتى بدون فهم كثير للخرائط، تدرك أنه يقصد "إيردينتا" الأردن. فلسطينيو الأردن ينضمون إلى الفلسطينيين في الضفة الغربية، وإذا

(١) إيردينتا: هي وضع تسعى فيه مجموعة قومية في دولة واحدة وتشكيل أقلية إلى ضمها الى دولة مجاورة تشكل فيها أغلبية أو تمتلك السلطة.

أضفت عرب إسرائيل إلى ذلك فلديك كتلة حرجة يمكن أن تجعل الأردن جزءًا من الدولة الفلسطينية كانت هذه إحدى ركائز خطته.

الركيزة الثانية: كانت تغيير التوازن الديموغرافي لإسرائيل من خلال حق العودة، واغتصاب إسرائيل تحت تهديد الرماح الإرهابية والتوصل إلى اتفاق يرتكز على ثلاثة محاور رئيسية:

دولة فلسطينية على حدود ٦٧ مع تصحيحات حدودية طفيفة.

القدس الشرقية عاصمة فلسطين. أي عاصمتان، إسرائيلية وفلسطينية.

أين ستذهب الحدود بينهما؟ غير واضح.

بالطبع كان يريد أيضًا السيطرة على الأماكن، على الرغم من أن العرب لم يسمحوا له لا السعوديين ولا المغاربة ولا الأردنيين بالتأكيد.

بحق العودة وإذا تم الموافقة أن ينفذ سيكون بطريقتين:

الأولى: لكل فلسطيني من أي مكان في العالم، الحق في الهجرة إلى الدولة الفلسطينية، وستكون الدولة الفلسطينية قادرة على توفير احتياجاته.

الثانية: ستستوعب دولة إسرائيل ٤٠٠ ألف لاجئ من لبنان.

أتساءل دائمًا من المجنون الذي جعله يظن -أعتقد أنه كان هناك شخصا من هذا القبيل -أن إسرائيل ستوافق على استيعاب ٤٠٠ ألف شخص من لبنان. كانت هذه خطة عرفات الكبيرة. قال لنفسه شيئًا عن هذا في الضفة الغربية لن يكون هناك يهود على الإطلاق في اتفاقية السلام يوجد في الأردن ملايين الفلسطينيين، وإسرائيل بها مليون ونصف مليون عربي، والجليل لديها بالفعل أغلبية عربية. سيستغرق الأمر وقتًا، لكن في النهاية سيصلون إلى توازن ديموغرافي مع العرب، وسيتحول الـ ٤٠٠ ألف لاجئ الذين يأتون إلى إسرائيل من لبنان إلى مليون شخص خلال جيل واحد أو لا أعرف كم سيكون، وسوف يضاف إلى ذلك اللاجئين الذين سيتم استيعابهم في الدولة الفلسطينية وبالتالي فإنكم تدمرون الأردن وإسرائيل معا. هذه هي التركيبة السكانية بالنسبة لي، الديموغرافيا -التركيبة السكانية- مثل السلاح النووي سلاح لا ينفجر دفعة واحدة. هذا ما أراده عرفات، وأنا مقتنع بأنه لم يكن ينوي على الإطلاق التوصل إلى أي نوع من أنواع السلام ولم يكن هناك أي إسرائيلي على استعداد للتوقيع على ما يريده، ولا حتى من اليسار باستثناء الهوامش المتطرفة.

هو لا يريد أن تتواجد إسرائيل وابتزازه لنا، باستمراره في الانخراط في الإرهاب أثناء التفاوض مثل المبتزين في السوق، وعندما حذرت من ذلك تعرضت لانتقادات وكأنني أحاول إفشال أي فرصة للسلام.

لقد تحدثت عن خطة عرفات للسيطرة على الأردن، لكن تحدث عدد غير قليل من القادة في اليمين الإسرائيلي، ولا يزالون يتحدثون عن الخيار الأردني كحل للمشكلة الفلسطينية.

صحيح. وهذا بالطبع محض هراء لسوء الحظ، أيد كبار القادة بمن فيهم "شارون" و "نتنياهو" دعموا في بعض الأحيان الفكرة المقلقة للوطن البديل. بعبارة أخرى، الأردن هي فلسطين وحتى اليوم هناك أناس في إسرائيل يعتقدون أنه إذا دمر الأردن وأصبح مدينًا للفلسطينيين، فسيكون الفلسطينيون راضين. لا توجد تُرهات جنونية وخطيرة، أنا لا أتحدث عن الأهمية الأمنية للمملكة الهاشمية لإسرائيل والتي يمكن الإبحار والإبحار فيها إلى ما لا نهاية. وهنا أتيت إلى أهم درس من كل هذه الأشياء وهو المسمى بـ "أوسلو" عندما تتعامل مع خصم عدو يجب أن تضع نفسك مكانه. هذا ما كنت أحفظه دائمًا لضباطي لا تفعل ما حذر منه الراحل "رابين" نفسه وبحق افرض منطقك على العدو. بالنسبة لي هذه جريمة حقيقية.

الفصل السابع

بعيون مغلقة الطريق الى الانتفاضة الثانية

كنت رئيسا لقسم البحوث في شعبة المخابرات في السنوات التي سبقت اندلاع الانتفاضة الثانية. هل كان هناك تحذير نحو الأحداث التي اندلعت يوم ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠، وماذا عرف القادة فعلا وما الذي لم يعرفوه؟

كان هناك تياران: تيار هيئة الأركان العامة، والتيار السياسي، أي رئيس الوزراء، ووزير الدفاع "ايهود باراك".

لقد جادلت طوال الوقت سواء نيابة عن قسم الأبحاث، أو بشكل شخصي، كشخص يعرف عرفات جيدًا، لقد تحدثت سابقًا عن كون الاستخبارات لديها تصور أن هذا الرجل يجسد مفهومًا، يهدف إلى ضربنا من خلال العمل الإرهابي المباشر والإرهاب غير المباشر كحركة لإضعافنا.

ظللت أقول إن عرفات عندما يتحدث عن السلام، فإنه يعني أننا إذا قبلنا شروطه فكأننا نحكم على دولتنا بالفناء، وإذا لم نقبل شروطه فسوف يعلن حربه الإرهابية علينا. كنت دائما أحذر من

نيات عرفات قبل ذلك بوقت طويل لا تنسوا أني دخلت منصب رئيس قسم البحوث منذ عام ١٩٩٦.

كل أسبوع كنت أطلع على أحدث التقارير، فهذا الإرهابي تم أطلق سراحه من السجون الفلسطينية، وهذا الفعل يضع اتفاقية أوسلو في موضع سخرية. وبحسب الاتفاقيات لم يكن عليهم تسليم الإرهابي لإسرائيل إذا ما مثل أمام قضائهم.

ماذا فعلوا؟

أنشأوا محاكمهم وحُكِمَ الإرهابيين الذين اعتبروا أبطالًا وحُكم عليهم في غضون ٣٠ دقيقة بـــ ٣٠ عامًا في السجن مع الأشغال الشاقة أو بدونها، وبعد بضع ساعات كانوا يخرجون. نعم، هذا ما يسمى بـطريقة الباب –الدوار– الخلفي.

أتذكر في مرة أقيم تفتيشا دوليا لسجن فلسطيني، أحد الإرهابيين المعتقلين هناك بكى أمامهم عن مصيره المرير لماذا تم اعتقاله وفي نهاية الزيارة تأخر الوفد في مغادرة السجن، وفجأة يخرج من ورائهم؟ نفس الإرهابي يرتدي بدلة عرفات تغاضى عن أعمال حماس الارهابية، لم يوقف حماس كان تعامله مع الإرهاب سخيفًا كانت المقاضاة سيئة.

وأنا أتحدث الآن عن السنوات الأولى بعد أوسلو قبل كامب ديفيد والانتفاضة الثانية، نتذكر التفجيرات الانتحارية المروعة في السنوات الأولى لاتفاق أوسلو. بين عامي ١٩٩٤ و١٩٩٦، قُتل أكثر من ١٣٠ إسرائيليًا في هجمات إرهابية الخط ٥، الخط ١٨ تقاطع "بيت ليد" مركز "ديزنغوف". نتذكر "يحيى عياش"[١] "المهندس الذي قاد هذه الاعتداءات حتى تم القضاء عليه تبعه الأخوان "عوض الله" الذين نفذوا سلسلة من الهجمات الخطيرة. بالمناسبة أحدهم "عماد عوض الله" سُجن في سجن أريحا، لكنه هرب وقتل في عام ١٩٩٨ على يد وحدة "يمام" وحدة شبه عسكرية إسرائيلية مع شقيقه عادل.

ووجدوا أرشيفًا كاملاً لـحملات حماس في الضفة الغربية وكانت هناك أفعال تحيي ذكرى الأعمال الإرهابية حيث يتم توزيع ملصقات كل الإرهابيين الذين قُتلوا على يد الجيش الإسرائيلي في

(١) يحيى عياش: المسؤول عن مقتل أكثر من مئة إسرائيلي في تفجيرات انتحارية حسب الرواية الاسرائيلية، اغتيل على يد جهاز الأمن العام في ٤ يناير ١٩٩٦. من ٢١ فبراير إلى ٤ مارس، ووقعت أربع تفجيرات انتحارية انتقاما لمقتله، حيث قتل فيها أكثر من ٦٠ إسرائيليا: الهجمات الإرهابية على الخط ١٨ في القدس، والهجوم في عسقلان، والهجوم الإرهابي في مركز ديزنغوف.

الشوارع، ويعاملون كالأبطال، وكان هذا مصدر إلهام لجيل الشباب. باختصار؛ رأيت هذه الأفعال أسلوبا منهجيًا مصممًا لضربنا بسلاح الإرهاب الداخلي، لإجبارنا بالقبول بكل شروط عرفات.

تم إعطاء هذه التحذيرات في كل وقت وفي كل حين، الآن، كما قلت هناك مفهومان مهمان هنا: تقييم الاستخبارات وتقييم الوضع القائم. يقوم القائد بتقييم الموقف ويقول: أولاً هل يقبل التقييم الاستخباراتي أو يصححه، وهذا من حقه، وثانياً ماذا نفعل مع ذلك؟

وجاء في التقييم الاستخباري الذي قدمه لهيئة الاركان برئاسة رئيس الاركان "شاؤول موفاز"[1] أن هذا هو الاتجاه الذي يسير فيه عرفات، واعتمد "موفاز" التقييم الاستخباري ووجه هيئة الأركان بالاستعداد لمواجهة شاملة مع الفلسطينيين.

وماذا عن ايهود باراك؟ كل خميس كان هناك لقاء روتيني مع "باراك" كان لدي حوالي خمس أو سبع دقائق معه للحديث عما يحدث، وما هو متوقع، في أحد هذه الاجتماعات أوقف المناقشة

(١) شاؤول موفاز (١٩٤٨): بالعبرية (שאול מופז) هو سياسي وعسكري وعضو كنيست عن حزب كاديما وكان بالسابق رئيس هيئة الأركان العامة الـ ١٦ لجيش الدفاع الإسرائيلي ووزير الدفاع الـ ١٥.

فجأة، والتفت إليّ وقال: عاموس، أريد تقييمًا استخباراتيًا عن كامب ديفيد[1].

قلت له: ماذا تقصد؟ لا يمكنني تقديم تقييم في خمس دقائق يجب أن أتفحص كل المقومات لدي تقييمي الخاص، لكن ربما تختلف المقومات الأخرى معي؟ أريد أسبوعين.

فقال لي: لست بحاجة إلى مدة ولا تحتاج إلى وقت ولا تحتاج لأحد، قدم تقديرك.

أجبته مرة أخرى: أنا رئيس جهاز، اسمح لي أن أستنفد عمل طاقم المخابرات وهي منظمة معقدة، لا يوجد تسلسل هرمي للآراء أعتقد ذلك، ولكن ربما يفكر ضابط آخر بشكل مختلف؟

ثم أمرني بالتحدث الآن.

قلت له: هل تعطني خمس دقائق فقط؟

فقال لي: لا. لديك وقت غير محدود. حاولت الاستئناف مرة أخرى، ولكن دون جدوى ثم كان عليَّ اتباع تعليماته.

---

(١) كامب ديفيد: هو مؤتمر عقد في يوليه ٢٠٠٠ في كامب ديفيد بولاية ماريلاند برئاسة الرئيس الأمريكي بيل كلينتون ورئيس الوزراء إيهود باراك ورئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات في محاولة للتوصل إلى تسوية دائمة بين إسرائيل والفلسطينيين، وقد فشل المؤتمر، وبعد شهرين اندلعت الانتفاضة الثانية.

أعطيته تقييمًا دام ٤٧ دقيقة جوهره: إذا ذهبت إلى محادثات السلام مع عرفات -وهو ما قرر "باراك" أن يفعله- فاعلم أن عرفات ليس مستعدًا بأي حال من الأحوال لعرضك السخي للغاية. فرؤية "باراك" كانت قريبة مما أراده عرفات فقط بدون حق العودة، وهو مصمم على الدخول في مواجهة عنيفة أي عرفات من خلال العمل الإرهابي غير مسبوق على إسرائيل، هذا ما قلته له.

أتذكر استخدام كلمات الدم والنار ارتفاع الدخان، قلت له هذا ما فعله في لبنان وهذا ما فعله في الأردن أثناء أحداث أيلول الأسود.

عرفات يميل إلى إحداث الخراب في كل مكان، وهو مثل زنبرك نشط ينتظر هذه اللحظة.

كل ما قلته لك هنا قلته أيضًا في اللقاء مع "باراك" إنه رجل قاتل يؤمن بالعنف.

لقد وصفت له الدولة الفلسطينية التي يتصورها عرفات، أي فلسطين العظيمة من الصحراء إلى البحر، والتي ستبتلع الأردن وإسرائيل وسلوك عرفات المتراخي مع حماس والضوء الأخضر الذي أعطاه للإرهابيين.

قلت له: مهمتك لن تنجح والاتفاق لن يؤتي ثماره قد تسمع آراء أخرى، لكن هذا هو تقديري كرئيس قسم الأبحاث.

وكل ما قلته بناء على معرفتك بعرفات؟

نعم، ولكن ليس فقط، بل على أساس المعلومات التي لا أستطيع تفصيلها، ولكن هذه معلومات موثوقة حول نية عرفات شن هجوم إرهابي قاتل.

هل تحدثت مع باراك عن موعد نهائي؟

بالتأكيد؛ قلت إن عرفات خطط لبدء المواجهة في سبتمبر ٢٠٠٠ ليس من خلال أمر عمليات منظمة لهجوم عسكري، ولكن من خلال حرق الأراضي والسماح بالعمل الإرهابي والعمليات التفجيرية.

لماذا سبتمبر ٢٠٠٠؟

لأنه بذلك التاريخ تكون جميع الاتفاقيات المؤقتة قد انتهت تقريباً، بعدما لم تثمر عن شيء، فقد حان الوقت لإرغامنا على القبول بالأمر الواقع وكذلك عام ٢٠٠٠ هو عام مهم أيضًا لأنه بداية القرن الحادي والعشرين.

بالمناسبة كان لي الشرف أيضًا أن أقدم إلى هيئة الأركان العامة التقييم الاستراتيجي، وحتى هناك تحدثت عن سبتمبر ٢٠٠٠.

أنا أذكر الأحداث التي وقعت في ذلك العام، في ١٥ مايو منع رجال عرفات من تدهور الوضع وتطوره.

لماذا منعوا اندلاع البركان في مايو؟

لأن كل شيء كان مرتبا له ليكون في سبتمبر هذا هو الهدف إنه رمز إشارة.

كيف كان رد فعل باراك على تقييمك؟

قال إنه لا يستطيع أن يقول ما إذا كان ذلك صحيحًا أم لا، لكن قراره كان حازمًا أنه ذاهب إلى محادثات السلام مع عرفات، وإذا تحولت إلى مواجهة عنيفة، إذاً سيحكم التاريخ هذا هو طريق السلام وإذا أراد عرفات المواجهة، إذاً ستكون المواجهة. قال: هذه مهمتي إذا فشلت فسوف نعرف أننا فشلنا ولا يوجد خيار آخر.

ربما كان قد تأثر بمحتوى ملاحظاتي، بل لم تؤثر عليه بأي شكل من الأشكال. فقد اتخذ قرارا بأنه سيمارس خيار السلام وإذا لم ينجح ذلك فسيحدث انفجار، في رأيي ليس من الصواب التصرف على هذا النحو إما أنك تستعد للسلام، أو تستعد للحرب كما أنه سمح لـ "أرييل شارون" رئيس الليكود آنذاك بالذهاب للمسجد الأقصى[1]، وهو أمر مجنون تماما. كان ذلك تقديرًا لـ

(١) في ٢٨ سبتمبر عام ٢٠٠٠، قام رئيس حزب الليكود آنذاك، أرييل شارون، بزيارة الحرم القدسي مع ستة من أعضاء الكنيست من الليكود. وواجه المئات من

"شارون" وهو يستحق التقدير، ولكن رئيس الوزراء يتحمل المسؤولية. جيد. لم يكن لدي الكثير لأفعله وجهة نظري هي أن أي شخص في مستوى رئيس قسم يجب أن يقدم تقييمات استخباراتية وليس توصيات. ربما يفعل رئيس شعبة المخابرات لأنه عضو في هيئة الأركان العامة، لكن رجل المخابرات يجب أن يعطي بشكل أساسي تقييمات وهي نتيجة الحكم على المعلومات أو فهم الواقع.

لماذا ذهب إيهود باراك إلى كامب ديفيد بعد كل شيء؟ بعد كل شيء ندعي أنه رجل حاد يعرف كيف يفهم الواقع.

في رأيي كان لديه طموح من نوع ما ويعود إليه في كل مرة، ليثبت أنه قادر على فعل ما لا يستطيع أي شخص آخر القيام به، كما لو كان بطلاً بالجيش، وقد كان يمكن أن يكون أيضًا أعظم رجل دولة على الإطلاق. بالنسبة له كانت هناك فرصة ليتم تسجيله في صفحات التاريخ. أعتقد أن هذا هو شوقه الذي يرشده دائمًا ليكون أعظمهم جميعًا. حل مشكلة إيران، وحل المشكلة السورية، وحل المشكلة

الفلسطينيين على الجبل ضباط الشرطة المسؤولين عن تأمين الزيارة، وأصيب نحو ٢٠ شرطيا وعشرات الفلسطينيين في الاشتباكات. في اليوم التالي، ٢٩ سبتمبر، عشية رأس السنة ٥٧٦١، بدأت الانتفاضة الثانية.

الفلسطينية، رغم أنه كان معارضاً لـ "أوسلو" الكارثة أنه باستثناء الانسحاب من لبنان لم يحل شيئا. لم يغلق الدوائر.

تحذير من هجوم إرهابي بدأ في سبتمبر ٢٠٠٠ وهذا بالضبط ما حدث، أتذكر جلوسي مع "إيهود باراك" عندما بدأ كل شيء كان في أيام العطلات، فتح غرفة عسكرية في المنزل وفي كل لحظة كان يصله بلاغ، تم قطع الطريق ٦٥ بوادي "عارة" أتذكره حتى هذه اللحظة، تم قطع طريق ٨٥ "كرميئيل-عكا". تم قطع الطريق "فوردي". على الطريق الساحلي، بجانب جسر الزرقاء، قتل ساكن من "ريشيون لتسيون" جراء حجر ألقي على سيارته. ومن ثم بدأت التفجيرات الانتحارية التي جعلتنا في قلب الخراب خاف الناس من الخروج للشوارع والمشي في أنحاء مراكز التسوق أو الصعود إلى الحافلات أو حتى مجرد الجلوس في المطاعم في كل الصباح حينما يذهب كل شخص لعمله لا يعرف إذا كان سوف يعود ويرى أفراد أسرته مرة أخرى.

يتذكر أي شخص عاش هناك في ذلك الوقت كيف كنا نستيقظ كل صباح تقريبًا على أخبار عاجلة لهجمات انفجار حافلة، هجوم ناري، سيارة مفخخة سوبارو، "دولفينريوم"، مطعم "ماتزا" في حيفا، مطعم ماكسيم، فندق بارك في نتانيا، وأكثر من ذلك. في

كل مكان. أيضا على الطرق الرئيسية. لسنوات علقت وراء مكتبي صورة لفتاة قتلت في تفجير على طريق٦..

صحيح أن حماس وقفت وراء التفجيرات الانتحارية لكنني أزعم أنها كانت سياسة عرفات المتعمدة تهدف إلى كسر روح الجمهور الإسرائيلي كان ذلك السلاح الأكثر شيطانية لهذا الرجل العنيف.

حتى يومنا هذا أنا لا أفهم كيف لم تكسر الـروح العامة للمجتمع الإسرائيلي، وإلى جانب ذلك استمر عرفات يسكب الوقود على مُشْعِلِ الإرهاب، ومن ناحية أخرى يخلق انطباعًا مضللاً وكأن الأمور ليست تحت سيطرته، رأيتم هذا مثلا في قصة "أحمد سعدات" الرجل المسؤول عن مقتل غاندي، الوزير "رحبعام زئيفي" بالضبط بعد اغتيال غاندي هرب إلى المقاطعة في رام الله، ووفر له عرفات المأوى هناك ورفض تسليمه، ثم فرضت إسرائيل حصارًا على المجمع، وفي النهاية توصلوا إلى اتفاق أنه سيدخل سجن السلطة الفلسطينية في أريحا تحت إشراف أمريكي وبريطاني. لكن ماذا حدث، بينما هو مسجون في السجن الفلسطيني نفذ هجوما في سوق "الكرمل"[1]. والذي أشرف

(١) في ١ نوفمبر ٢٠٠٤، فجر انتحاري يبلغ من العمر ١٦ سنة عبوة ناسفة قرب أحد الأكشاك في سوق الكرمل في تل أبيب. وقتل في الهجوم ثلاثة اسرائيليين.

على السجن نيابة عن المجتمع الدولي كان من قبل قائد سجن "بريجستون" واحد من أصعب السجون في بريطانيا قائد ذو سمعة، ربما يصلح أن يكون قائدا في بريطانيا، وليس في السلطة الفلسطينية، في النهاية فرضت إسرائيل حصارًا على السجن في أريحا، أُخرج القاتل من هناك، وقف هنا للمحاكمة وحصل على ٣٠ عاما في السجن. المدهش أن بعض الشخصيات السياسية في إسرائيل يعتقدوا أنه يمكن التفاوض أو حتى الوصول لحل مع عرفات. كان لدي الكثير من المواجهات في مجلس الوزراء المصغر حول هذا الأمر، كرئيس لقسم الأبحاث يبدو أنك تتمتع ظاهرياً بسلطة التقييم المستقل المحترف، لكنك ضابط بالزي الرسمي يمكن أن تتعرض للهجوم الوحشي ولا يمكنك الرد، ليس من السياسيين فقط، الصحفيين أيضًا.

كيف أثرت عليك هذه الهجمات؟

لا أستطيع أن أقول إنه لم يؤثر عليَّ، لقد أثر عليَّ بشكل كبير على المستوى الشخصي لكنهم لم يغيروا موقفي تجاه عرفات، لأن موقفي كان على أساس سنوات من التعارف معه. الغريب أنه في

وأعلنت الجبهة الشعبية بزعامة سعدات مسؤوليتها عن الهجوم.

مرحلة لاحقة، عندما كان "شارون" رئيسًا للوزراء بالفعل، في كل مرة يقرر فيها أن ينتهي من عرفات كما حدث بعد الهجوم المروع على "دولفيناريوم" كانوا يحضرونني إليه لأنهم كانوا يعلمون أنني سأؤثر عليه حتى لا يفعل ذلك، كرهت تلك الخطابات المقنعة لأنني كنت أتفق في قلبي مع موقف "شارون"، لكن بصفتي مسؤولًا محترفًا فقد عارضت تصفية "عرفات" كنت أخشى وربما كان ذلك خطأ أننا إذا قتلناه سنشعل العالم العربي كله، في النهاية مات بمرض أو مات بسبب ما.

لنتحدث حقًا عن دورك في مرض عرفات؟

ليس لي دور فيه.

كان لديك دور كنت مسؤول عن نظامه الغذائي؟

آه ... حسنًا. دعونا نوضح هذا الأمر في عملية الدرع الواقي قرر "شارون" فرض الحصار على المقاطعة وترك عرفات معزولًا هناك ومن ثم تم تكليفي بالعناية به. كانت التعليمات: احرصوا على بقائه حيًا، حتى لا يموت لا سمح الله. كيف نفعل ذلك؟ لم يكن واضحا. كان عدائي لعرفات كبيراً لكني أقوم بمهامي ثم حددت نظام مررته مباشرة إلى الفلسطينيين دون طلب إذن من أحد حتى لا يتعقد الأمر

أبلغت رجال عرفات أنني مستعد لمساعدتهم في أي طلب للطعام بأي كمية وبأي نوع يريدونه بشرطين:

الأول: يدفعون مقابل الطعام.

الثاني: أن يتم تقديم الطلب كتابيًا عبر الفاكس إليّ مباشرةً وليس إلى أي شخص آخر في إسرائيل.

أخبرت مساعد: إدارة المراسلات هي مسؤوليتك الشخصية وأنت ترفع التقارير إليّ اليّ فقط لا أحد يتدخل.

لماذا قمت بضبط هذا الإجراء؟

لأنني قدّرت أنه بعادتهم المقدسة سوف يشكون من أننا نجوعهم نجوع عرفات لا يوجد شيء مثلهم في الادعاءات. قلت إذا جمعت الطلبات واشتكوا فسيكون لدي دليل في يدي.

من ناحية أخرى قلت إذا جوعته أو تسببت في معاناته فسوف يتحول ذلك إلى نتائج عكسية لكن إذا طلبت الموافقة من الرتب العالية فسيخبرونني ليس لديك الصلاحية أو ستصبح مسألة سياسية ويقولون لي: هذا ستعطيه بيضة، وذلك أعطيه الجبن إذا فعلت ذلك وأبلغت فقط في وقت لاحق فلن يتدخلوا معي. وإلى جانب ذلك، قلت إنه زعيم الشعب الفلسطيني في السراء والضراء. دعه يأكل ما

يريد أنا لا أقرر ماذا أطعمه. في الواقع كان هذا هو الإجراء الذي وضعناه، وكان على الفلسطينيين يتقدمون للحصول على الطعام كل يوم الكميات التي طلبوها كانت مجنونة. كميات تجارية وكانت الأطباق أحيانا باهظة الثمن في ذلك الكافيار الفاخر. بدا الأمر وكأنهم يديرون سوقًا سوداء هناك، لكنني قررت أنني لا أفعل أي شيء سوى الالتزام بهاتين القاعدتين في ذلك الوقت أتذكر الإرهابيون الذين حاصرهم الجيش الإسرائيلي في كنيسة المهد في بيت لحم، أكلوا الحصى لا أريد أن أقول الفضلات، وجلس هو وشعبه في المقاطعة، يلتهمون وينتحبون.

ذات يوم كان هناك لقاء عمل بين وزير الدفاع "فؤاد" وسفراء الاتحاد الأوربي، السفير الفرنسي "جيرار أرو" لم يكن في البلاد في ذلك الوقت لذلك مثله نائبه "ميشال ماريا" شخص ذو كفاءة عالية، مميز فيما بعد نشأت بيننا صداقة شخصية ومهنية لكن في ذلك الوقت لم أكن أعرفه.

كنا نجلس بجانب "فؤاد" ثم وقف نائب السفير وقال بلغة انجليزية راقية: علمنا أنك تجوع أهل المقاطعة قدم وصفًا مثيرًا للدموع تحدث عن ٣٠ فرنسيًا محاصرين هناك يأكلون بيضًا مسلوقًا فتيات في عمر أسبوع أو أسبوعين ويعانون بشكل رهيب

ويتضورون جوعاً تألم قلبي من الوصف. نهضت وطلبت الإذن من وزير الدفاع

وقلت: انصتوا، هذا الوصف مؤثر للغاية هناك مشكلة صغيرة واحدة فيه أنه لا يحتوي حتى على كلمة واحدة صحيحة غدًا سيصلكم كتاب يشرح بالتفصيل ما يدعى عرفات أنه أكله.

عمل رجالي طوال تلك الليلة، يؤسفني أن الجنود والمجندات اضطروا إلى العمل على هذا الشيء، لكنني رأيت أنه مهمة شرح وطنية في اليوم التالي، الساعة العاشرة صباحًا تم توزيع كتاب باللغة الإنجليزية على جميع سفراء الاتحاد الأوروبي، يوضح بالتفصيل ما طلبوه بالضبط وما تلقوه.

وكان مدير مكتب التنسيق والاتصال، الذي يشبه المحافظ ضابط الدروز يلقب بـ "أبو عمري" ونشر الفلسطينيون شائعة مفادها أن نجل رئيس الوزراء "شارون" "عمري" يدير الأمور هناك لتجويع عرفات.

طبعا "عمري شارون" لم يكن متورطا في هذا بأي شكل من الأشكال، في رأيي لم يكن يعرف حتى ما كان يجري هناك، هذه مرة أخرى تمكنوا فيها من نشر تلك الشائعات ولا علاقة لها بالواقع

لقد كان هذا لا يصدق. في النهاية وبسبب تدهور صحة عرفات قرر رئيس الوزراء "شارون" السماح له ولرجاله بمغادرة المقاطعة.

ما هو دور الجيش الإسرائيلي أو هذا الهيكل الذي تديره في قرار رفع الحصار؟

عرفات كان معروفا بتناول الحبوب حسب الألوان تخيل أنك تتناول المضادات الحيوية حسب اللون!

يمكن أن يكون هذا مضاد حيوي قاتل، هذا الرجل كان من النوع المؤمن بالقضاء والقدر كان بإمكانه أخذ ٢٠ حبة أيضًا هذا بالطبع جعل حالته أسوأ.

كنت أتبع التعليمات دائمًا، ولكن كيف أتبع التعليمات الأمر متروك لي.. قلت: ما دام الأمر بيدي فأنا لا أريده أن يموت ولا يقال إن الإسرائيليين قتلوه.

فقلت: دعه يأكل وكنت أقدم تقريراً عن كل شيء لكن قرار تحريره من المقاطعة بسبب تدهور صحته فقط رئيس الوزراء هو من يقرر ذلك.

وما رأيك في قراره؟

في رأيي كان قراره صائباً، لأنه لو كان عرفات قد مات عندنا

ستكون كارثة كما، هو معتاد في الشرق الأوسط نظريات المؤامرة المجنونة التي كانت ستؤدي إلى أعمال انتقامية، وقتل وإرهاب مروع.

كان قراره ممتازًا، لم يعترض أحد في جهاز الدفاع على ذلك لا من خلف ظهر رئيس الوزراء ولا في وجهه، ولم يتذمر أحد أنا شخصياً كنت متحمسًا جدًا لهذا القرار، بالطبع كنت سعيدًا للتخلص من العبء لكن لم يكن هذا هو السبب الرئيسي بمجرد أن يمرض شخص ما، حتى لو كان قاتلاً متعددًا، فعليك معاملته بدرجة من الرحمة، وإلا فهي إساءة تامة وهذا خطأ من وجهة نظري وشخصيًا كما وصفت لك كانت لدي علاقة جيدة بعرفات لكن ذلك لم يمنعني من قول ما أعتقده فيه وكم كان شخصا فظيعا في النهاية أعتقد أن شارون اتخذ قرارًا شجاعًا.

من أين بدأت كل المؤامرات على تسميم عرفات؟ هل هذه مسألة شرق أوسطية دائما.

لا يوجد في الشرق الأوسط خط مستقيم يربط بين النقطة "أ" و "ب ". هذه جملة رائعة. أذكرك بقصص حول سمكة القرش من الموساد التي قتلت السائح الألماني[1] من المستحيل تجنب

(١) في عام ٢٠١٠، لقي سائح ألماني مصرعه وأصيب سائحان بجروح خطيرة =

القصص التآمرية نفس الشيء مع عرفات بمجرد وفاته[1]، لديك مؤامرة على الرغم من أن جميع الفحوصات كشفت أنه مات بسبب الأمراض التي لا تنتهي لديه.

سوف أسألك مباشرة: هل إسرائيل سممت عرفات؟

قطعاً لا... لقد مر قرابة ١٥ عاما على وفاة عرفات ما هو الإرث الذي تركه وراءه؟ كيف أثر هذا الرجل على ما يحدث اليوم معنا ومع الفلسطينيين؟

أعتقد أن التعرض وجهاً لعرفات أدى من بين أمور أخرى إلى فقدان ثقة الجمهور في الفلسطينيين كما قلت سابقا "إيهود باراك" تلقى وصفا دقيقا لما سيحدث لعرفات وكيف سينتهي الأمر كله بالنار والدخان.

فقال دعونا نختبرهم، وإلا فلن يكون هناك سلام كلفنا آلاف

= **في هجمات لأسماك القرش على شاطئ شرم الشيخ. وقال محافظ جنوب سيناء بعد ذلك لوكالة الأنباء المصرية: «يقال إن الموساد الإسرائيلي أطلق سراح القرش القاتل في البحر الأحمر للإضرار بالسياحة في مصر. لا ننفي ذلك، لكننا بحاجة إلى وقت للتحقق من وجود أي مزاعم».**

(١) . توفي عرفات في ١١ نوفمبر ٢٠٠٤ في أحد مستشفيات باريس بعد تدهور حالته الصحية لفترة طويلة.

الأرواح وأنا لا أتحدث عن الجرحى، والخوف، والأضرار الاقتصادية. هذا هو الشيء الرئيسي الذي تركه عرفات خلفه، هذا الذي ذهبنا معه بعد لبنان الذي كان من الممكن تحديد (مكانه) وفي النهاية وصل إلى رام الله هذا حدث تاريخي، لن تتمكن التحليلات الموضوعية من فهم المنطق وراءه.

لماذا؟

لأننا ذهبنا مع رجل أراد أن يدمر دولة إسرائيل، وقتل الكثير من الإسرائيليين قام بتنشيط الإرهاب ودمر الأردن ولبنان تقريبا، كانت مجرد خطوة. وإضافة إلى كل شيء أفسد أيضاً الفضيلة هنا في إسرائيل.

بمثل هذا السجل تذهب معه في الاتفاقات؟

أدعي أنه لم يعدنا بما ادعى أنه وعد، لم يعني السلام ذهب إلى اتفاق أوسلو دون رقابة استخباراتية، لقد فعلوا ذلك لأنهم يعتقدون أن المخابرات تتدخل دائما وما الذي يضايقه؟ تعيين هيئة استخبارات مجزأة واعطاء أوامر تجزئة له والتشاور معه على أساس شركاء سريين من غير المعقول أنهم تجاهلوا شخصية عرفات لمجرد أنه أعطى انطباعًا مثل "للامك" شخصية توراتية، للخرقة.

الفصل الثامن

خليفة ياسر عرفات أبو مازن وإسرائيل

بدأت المباحثات الودية بين أبو مازن وعاموس جلعاد، خلال السنوات الماضية، على خلفية عمل جلعاد كرئيس للعمليات في المناطق المحتلة، ورئيسًا للدائرة العسكرية والسياسية في وزارة الدفاع الإسرائيلية.

توطدت علاقتهما بداية من عام ٢٠٠٢ وذلك في أعقاب وفاة "مازن" الابن البكر لمحمود عباس، نتيجة مرض تمدد الأوعية الدموية في الشريان الأورطي أثناء مكوثه خارج الأراضي المحتلة.

حيث رفضت السلطات المسئولة آنذاك عن المعبر الحدودي بين الأردن والضفة الغربية -معبر الملك حسين- السماح بدخول جثمان مازن لدفنه في رام الله، وانتهت الأزمة بفضل تدخل جلعاد لحلها.

يُعد وريث عرفات "محمود عباس أبو مازن" من مؤسسي حركة فتح كما تم تعيينه رئيسًا للسلطة الفلسطينية منذ عام ٢٠٠٥.وعلى عتبات البيت الأبيض بواشنطن في الثالث عشر من سبتمبر ١٩٩٣، وَقْعَ أبو مازن -جنبًا إلى جنب- مع "شيمون بيريز" على اتفاقية

إعلان المبادئ (اتفاقية أوسلو) بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية الاتفاق الذي كان من المفترض أن يؤدي بعد مسيرة خمس سنوات من المفاوضات إلى التوصل لتسوية دائمة للقضية قائمة على حل الدولتين الدولة الفلسطينية بجانب دولة إسرائيلية.

لكن بعد عدة محاولات مستمرة علنية أحيانًا وسرية في أحيان أخرى لم تكلل فرصة التوصل إلى اتفاق دائم بالنجاح.

وفقًا للمعطيات والمستجدات الراهنة يمكن القول إن فرص التوصل للتسوية الداعية إلى إقامة دولة فلسطينية بالضفة الغربية وعاصمتها القدس الشرقية، وترسيم الحدود بينها وبين إسرائيل، باتت ضئيلة. ولذلك ربما لم يعد ممكنًا الآن، رؤية أطراف اتفاق أوسلو وتنفيذها على أرض الواقع.

فأبو مازن ليس مستعدًا للتخلي عن رغبات الشعب الفلسطيني في إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة كاملة، وفقًا لحدود عام ١٩٦٧ وعلى الرغم من أنه لا ينتهج من "الإرهاب" مسلكًا لتحقيق أهدافه السياسية -على العكس من ياسر عرفات- إلا أن حكومة نتنياهو مع ذلك ترفض إجراء مفاوضات معه.

يرفض نتنياهو وحاشيته الاعتراف بحقيقة مساهمة "أبو مازن" في تأمين وسلامة سكان كفر "سابا" و "تل أبيب"، وأن استقرار

الضفة الغربية لا يعود فضله فقط للجيش الإسرائيلي وجهاز الأمن الداخلي "الشاباك" إلا أن جزء منه يعود أيضا لزعيم حركة فتح، الذي يسمح لقواته الأمنية بالتنسيق والتعاون مع الجانب الإسرائيلي لإحباط "العمليات الإرهابية" التي تقوم بها حماس، والمنظمات المتطرفة الأخرى ضد إسرائيل. وبدلاً من إدراك واستيعاب ذلك التصور وتقديم المساعدة لأبو مازن نظير مساعدته لنا تقوم الحكومة الإسرائيلية بتقليص الميزانية الممنوحة للسلطة الفلسطينية وتعمل على الحط من قدر زعيمها.

كتبت تلك السطور في خضم الاتصالات لبلورة "صفقة القرن" التي من شأنها أن تجلب السلام للشرق الاوسط، يعد استعداد نتنياهو الكامل للتعامل مع إدارة ترامب في كل الأمور المتعلقة لإتمام هذه الصفقة التي تُطبخ في دهاليز البيت الأبيض وهي في أحسن الأحوال "مزحة سخيفة".

الطائرة المسماة بصفقة القرن لن تحلق أبدًا، فالولايات المتحدة الأمريكية تعضد موقف نتنياهو الداعي لمنح الفلسطينيين حكم ذاتي تحت الوصايا الإسرائيلية -لا دولة مستقلة- وليس أكثر من ذلك، ولا توجد فرصة أمام الدول العربية التي من المفترض أن تكون ركيزة أساسية في الصفقة لتبني موقف مغاير.

ليس هذا فحسب، فصفقة القرن من الممكن أن تساهم في تقليص دور السلطة الفلسطينية في المشهد السياسي، وبذلك تعمل على تقويض الاستقرار بصورة مفجعة في المملكة الأردنية التي هي بمثابة العمق الاستراتيجي لإسرائيل من الجهة الشرقية. وإذا تدهورت الاوضاع الداخلية الأردنية وتعرض نظام الملك عبد الله للخطر -معاذ الله- فمن الوارد أن نجد أنفسنا مضطرين مستقبلًا للدفاع بمفردنا عما كان يسمى في الماضي جبهتنا الشرقية.

لكل من يقول: لا تقذف في قلوبنا الرعب. أقول بعد مرور العديد من السنوات التي حاولت فيها فهم ودراسة شعوب المنطقة، أستطيع أن أخبركم بيقين أن إسرائيل تعاني من إخفاقات متكررة في التقييم والتنبؤ بالمتغيرات إيجابية كانت أو سلبية التي تقع في الشرق الأوسط.

على سبيل المثال لقد فوجئنا بأحداث الربيع العربي، وفوجئنا أيضا بالخطوة الشجاعة التي اتخذها الجنرال السيسي لاستئصال حكم الإخوان المسلمين في مصر. نحن متفاجئون لأن هناك ظواهر جسيمة تحدث في المنطقة، ولا نملك أية أدوات للتنبؤ بها لذا يجب أن نتحلى بالتواضع والشفافية عند صياغة تقديرات الأحداث الإقليمية بعد ذلك.

ذكرت لي سابقًا عن «مازن» النجل الراحل لمحمود عباس

صحيح، فقد توفي نتيجة تمدد الأوعية الدموية انفجار الشريان الأورطي.

هناك قصة كاملة وراء ذلك؟

نعم. كان ذلك في عام ٢٠٠٢ في خضم أحداث الانتفاضة الثانية "انتفاضة الأقصى"، كنت حينها منسق أعمال الحكومة الإسرائيلية في المناطق المحتلة، ولم يكن "أبو مازن" متقلدًا لأي منصب رسمي، لا رئيسا للحكومة ولا السلطة الفلسطينية. وكان ياسر عرفات ما زال على قيد الحياة.

في أحد الأيام المشرقة اتصل بي عضو الكنيست أحمد طيبي كنت قد التقيت به في العديد من المناسبات التي حضرتها مع ياسر عرفات كان طيبي حريصًا على الظهور وتقديم نفسه أمامي في كل مرة كل ذلك قبل أن يصبح عضو كنيست، ولكني على أية حال تعلمت الإنصات لكل شخص. لقد اتصل بي قائلًا: عاموس، هل جننتم؟ هل أصيبت إسرائيل بالجنون؟

قلت له: ماذا بك؟ هل تختلق أكذوبة جديدة ضدنا؟

أجاب: لا، إليك ما حدث لقد توفي "مازن" نجل محمود عباس

من مرض تمدد الأوعية الدموية انفجر شريانه الأورطي، وجب الذكر أن عضو الكنيست أحمد طيبي يعمل طبيباً، كما أضاف طيبي كان هناك العديد من المستشفيات التي بإمكانها تقديم الرعاية الطبية له لكنهم لم يفعلوا وتوفي في أحد الدول الخليجية.

وعندما أحضروا جثمانه إلى معبر اللبني، أو معبر الملك حسين كما يطلقون عليه اليوم رفضت السلطات الإسرائيلية السماح بدخول الجثمان

هل تريدون صراعًا داميًا مع الشعب الفلسطيني؟ لصالح من تؤذون "أبو مازن"؟

قلت له: اسمع! كف عن أوهامك وادعاءاتك الحاقدة ضد إسرائيل أنا لا أصدق ما تقوله لكنه صمم معاندًا، قائلا: أنا أقول الحقيقة وهذا الأمر لا صلة له بالسياسة.

أجبته: إذن دعني أتحقق من الأمر.

أخبرت المساعد الخاص بي "أفيف" أن يتيقن من كلام أحمد طيبي، فبكل تأكيد هو يختلق الأكاذيب.

عاد "أفيف" بعد نصف ساعة شاحب الوجه، وأخبرني أن طيبي يقول الصواب وأن نجل أبو مازن قد توفى في الأردن، ولم تسمح

السلطات بعبور الجثمان للأراضي المحتلة بالفعل اندهشت غير مصدقٍ وتساءلت هل أصابنا الجنون؟!

ألغيت جدول أعمالي وجميع ارتباطاتي واتصلت بأحمد طيبي وأخبرته اتضاح الأمر لي وأن كلامه كان صحيحًا مع الأسف عرضت عليه اتفاق مفاده أن ما حدث سيظل خلف الكواليس ولن يُعلن للرأي العام وأنني لن يهدأ لي بال حتى غروب الشمس، لتسليم الجثمان لأبو مازن وذلك في مقابل ألا يستغل "طيبي" الأحداث -كعادته- ليزيد الموقف اشتعالا وأن يبقى هادئًا. وافق أحمد طيبي واحترم اتفاقنا ولم يزد الطين بلة وهذا أمر لو تعلمون غريب عليه.

بعد تحقيقي في الأمر اتضحت لي تفاصيل الواقعة كان الجثمان برفقة أقارب سوريين للعائلة، لذلك رفضت العناصر الأمنية الإسرائيلية السماح بدخوله.

في السابق عندما كان جسر اللبني -معبر الملك حسين- تابعًا لإدارة عمليات الحكومة في الأراضي المحتلة، كانت لنا سلطة كاملة عليه، ولكن منذ أن تحول إلى معبرًا دوليًا انتقلت سلطته لإدارة المعابر البرية مع وجود ممثلًا لنا فقط مجرد ضابط ملازم أو شيء من هذا القبيل، بذلت جهدًا مضنيًا لعشر ساعات كاملة لكي

يسمحوا للجثمان بالعبور، حقًا لم أفهم لماذا كل هذا التعنت الأمر بدا لي تصرف أهوج غير متزن.

وهكذا وفيت بوعدي الذي قطعته لطيبي، ووصل الجثمان مع غروب الشمس إلى رام الله تلقيت اتصالا هاتفيا أخر من طيبي أخبرني فيه أنني قد أنقذت العلاقات الإسرائيلية -الفلسطينية.

قلت له أنه يبالغ بعض الشيء.

أجاب: انا لا أبالغ، الحدث كان جلل، إذا لم تسمحوا للجثمان بالدخول فأي حمقى أنتم؟!

أضاف: أبو مازن يريد أن يشكرك بنفسه قلت حسنًا إن أراد أن يتحدث معي فليتفضل.

تحدث أبو مازن معي وشكرني. قلت له: لا شكر على واجب، أنا اعتذر لك باسم دولة إسرائيل، لم أستوعب ما حدث، ولكني أؤكد لك بأنه لم يكن نابعًا من نيات سيئة، ولم تكن هناك مؤامرات أو دسائس وهناك اعتبارات أخرى لن أخوض فيها وعلى أية حال انتهت الأزمة بخير.

لم يعلم أحد بالواقعة لا رئيس الوزراء، ولا المسئولين الكبار،

ولا وزير الدفاع، ولا رئيس هيئة الأركان، حتى لا يضعوا تصورات مغلوطة قائمة على تحليلات خاطئة للأمر.

اعتذرت مرة أخرى وأراد أبو مازن أن يهاديني، ولكني اخبرته أنه ليس ضروريًا، ولكني طلبت منه أن تتعدد لقاءاتنا الشخصية تحت جنح الظلام،

لنجلس ونتسامر، ووافق على طلبي ولم يبد اعتراض.

منذ ذلك الحين ونحن نلتقي مرة شهريًا وجهًا لوجه في القدس، لكن كما ذكرت آنفا أن أبو مازن لم يكن متقلدًا أي منصب رسمي وقتها، والتقيت به مرة أخرى في رام الله وليس القدس بعد ما أصبح رئيسًا للسلطة الفلسطينية.

ما الموضوعات التي تجاذبتم فيها أطراف الحديث؟

كانت أحاديثنا شيقة بالفعل، لكني أود التطرق في الحديث بالأخص عن موضوعين، أولًا: أخبرت أبو مازن أنه بعد رحيل الملعون ياسر عرفات، أتمنى أن تصبح انت خليفته بشكل أو بآخر.

أجابني: هذا لن يحدث ستطول أيام عرفات، كما نني أرى نفسي غير مناسبًا لخلافته.

قلت: بل أنت الشخص المناسب، لأنك أخر من تبقى من الزعماء التاريخيين، لن يكون خليفته أحمد قريع "أبو علاء" فهو لا يضاهيك ولا يمكن مقارنته بك ستكون أنت خليفة عرفات شئت أم أبيت.

قال حسنًا.

بدا لي للوهلة الأولى أنني فشلت في إقناعه، ولكن بمرور الأيام اتضح لي أنني كنت على صواب.

الموضوع الثاني كان "حماس"، أخبرت محمود عباس أنه عندما يصبح الرئيس يجب أن تكون حماس عدوه اللدود، لأنها تخطط للسيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية برمتها، وليس فقط السلطة الفلسطينية كما أنها حركة ذات أيديولوجية متطرفة، تريد تدمير إسرائيل ولن تتراجع عن موقفها لأنه يستند إلى مرجعية دينية، وبالحديث عن "فتح" فإنها أيضاً لا تريدكم في السلطة وستعمل على القضاء عليكم كان هذا قبل سيطرة حماس على غزة.

بماذا أجاب أبو مازن؟

غضب كثيرًا وصرخ في وجهي: هل تريد إحداث الفتنة بيني وبين إخوتي؟!

قلت: إنهم ليسوا إخوتك، بل هم الإخوان المسلمون لديهم صبر وقوة تحمل حتى يحصلوا على مرادهم، وحينها ستضطر إلى مجابهتهم أولاً قبل إسرائيل. لم أكن أعلم أنهم سيصلون لكرسي الحكم في مصر بعد عشر سنوات من لقائي بأبو مازن.

على أية حال رفض أبو مازن كلامي رفضًا قاطعًا دون مناقشة. حاولت في تلك اللقاءات غير الرسمية مع أبو مازن، معرفة إلى أي مدى تتوافر فرص التوصل لتسوية مع الفلسطينيين، يقول "إيهود أولمرت"[1]: لقد توصلنا تقريبًا لتسوية.

ولكن التاريخ لا يعترف بمفهوم "تقريبًا" لن نجد سؤالاً في اختبارات الجامعة للطلاب يقول: من توصل للسلام -تقريبًا- بين مصر وإسرائيل؟ ولكن السؤال من توصل لاتفاق سلام بين مصر وإسرائيل؟

والإجابة واضحة أن السادات و"بيجين" هم من صنعوا المجد وفعلوا ذلك. نفس الأمر -كما ذكر أعلاه- عند السؤال عمن توصل لاتفاق السلام بين الأردن وإسرائيل.

---

(١) إيهود أولمرت (١٩٤٥): (بالعبرية: אהוד אולמרט) هو سياسي وعسكري إسرائيلي، وقد تولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية بالوكالة، بعد إصابة أرئيل شارون بجلطة دماغية. عُين عام ٢٠٠٦ رئيساً لحزب كاديما، واستمر حتى عام ٢٠٠٨.

لكن عند الحديث عمن كان السبب في عدم التوصل للسلام مع الفلسطينيين، فإن قائمة الأسماء ستطول.

على كل حال، كنت على قناعة بأنه إذا كان من الممكن التوصل لاتفاق مع الجانب الفلسطيني فأبو مازن هو أملنا الوحيد لتحقيقه

وذلك لعدة أسباب: أبو مازن لا يتبنى من العنف منهجًا ضد إسرائيل بالطبع هذا ليس بدافع حبه لنا، ولكن نابعًا من إيمانه بأن العنف يضعف الموقف الفلسطيني وأن قوة الفلسطينيين الحقيقية تكمن في الميدان السياسي، لذا نراه يسمح لقواته بالتنسيق الأمني والعسكري مع الجانب الإسرائيلي بجانب أنه يساهم في قمع عمليات "التنظيم" الفصيل المسلح التابع لحركة فتح والذي أسسه مروان البرغوثي[1] عام ١٩٩٥. والنتيجة الملموسة لجهوده هي أن النار لم تحرق الضفة الغربية، مثلما فعلت في قطاع غزة رغم غضب الفلسطينيين العارم.

لا يتعاون أبو مازن مع إسرائيل حبًا فيها، أو لمجرد التعاون وإنما

(١) روان البرغوثي (١٩٥٨): هو سياسي فلسطيني، وأحد الرموز حركة فتح في الضفة الغربية، لعب دورًا بارزًا خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية، وعلى إثر ذلك قبضت السلطات الإسرائيلية عليه في عام ٢٠٠٢، وحكمت عليه بالسجن لخمسة مؤبدات؛ بتهمة القتل والشروع به.

لكونه يرى أن ما يفعله يصب في صالح المصلحة الفلسطينية في المقام، تدرك العناصر الأمنية الإسرائيلية ذلك الأمر جيدًا، ولذلك لن تجد أيًا منهم يطعن فيه أو يفتري عليه الكذب.

أدرك أن جميع تلك الأمور نتيجة للقاءاتي المتعددة بأبو مازن، فقد دارت بيننا العديد من المناقشات العميقة، استمرت أحيانا لساعات متأخرة من الليل ستجدون كل ذلك موثقًا ومحفوظًا بأرشيف وزارة الدفاع الإسرائيلية، حيث كنت مُطالب بتوثيق كل ما أفعله.

لكن أبو مازن ليس شابًا صغيرًا في السن، برأيك من يمكنه خلافته بعد رحيله؟

بالطبع لا تحتاج إلى أن تكون ضابطًا مُحنَّكا في المخابرات، لتدرك حقيقة أن العمل السياسي قد أنهك أبو مازن كثيرًا، ومن الممكن أن يتقاعد في أي لحظة لكن المشكلة تكمن في أنه لم يختر من يرث مهامه من بعده، كما أنه لم يرسْ قواعد لانتقال السلطة، وذلك ربما يعود لكونه يرى نفسه رئيسًا أبديًا ولهذا لا يوجد في المشهد حتى الآن زعيمًا بارزًا يمكنه خلافته. الشيء بالشيء يُذكر أن أبو مازن لا يشغل منصبًا واحدًا فقط وإنما ثلاثة زعيم حركة فتح،

زعيم منظمة التحرير، ورئيسًا للسلطة الفلسطينية، لذا فعليه أن يختار ثلاثة خلفاء وليس واحدًا، ولكن حينها سينهشون بعضهم البعض.

ألا ترى كلا من مروان البرغوثي أو جبريل الرجوب مناسبًا ويسير على درب أبو مازن؟

إذا تنحى أبو مازن اليوم لأنه يحمل وزر فشل المسار السياسي من جانب، وفشل التصدي "للإرهاب" من جانب أخر، فإننا سنجد قادة فتح غدًا يتنافسون فيما بينهم في اختيار بديل أكثر عنفًا وتطرفًا تجاه إسرائيل. مروان البرغوثي هو الأكثر عنفًا من بينهم وبالنسبة لجبريل رجوب فمنهجه لا يخفى على أحد كلهم سواسية عندي لا أفرق بين أحد منهم. وفيما يتعلق بمحمد دحلان، فهو غير موجود حاليًا في الأراضي المحتلة، ولن يقترب منها، على العموم لو افتراضنا مجيئه غدًا ليصبح زعيمًا للفلسطينيين ماذا نتوقع أن يحدث؟! هل ننتظر أن يكون في خدمة إسرائيل؟! بالطبع لا، فهذا درب من دروب الخيال.

المقصد الأهم هو أنه في اللحظة التي يتوارى فيها أبو مازن عن الساحة السياسية، سيتهاوى طريقه الذي سعى فيه دائمًا نحو السلام، ووقتئذ تخرج "حماس القابعة خلف الكواليس أمامنا

بأيديولوجيتها السياسية والاستراتيجية لتعلن صراحة أن اللغة الوحيدة التي تفهمها إسرائيل هي لغة القوة والعنف.

وعلى الرغم من أن إسرائيل توجه الضربات الواحدة تلو الاخرى لحماس في قطاع غزة، وتحبط من عملياتها المسلحة بالإضافة لمنع الجيش الإسرائيلي عناصرها من تسلل الجدار الحدودي، إلا ان كل تلك المكاسب تعد مكاسب استثنائية، فمن المحتمل في أي لحظة أن تكون حماس هي البديل السياسي لفتح، ليس فقط في غزة، ولكن في الضفة الغربية أيضًا، وإذا أقيمت انتخابات سيكتسحونها بجدارة.

قلت سابقًا أن أبو مازن هو الأمل الوحيد من أجل التوصل للتسوية. بيني وبينك، هل ما زلت تؤمن بتحقيق هذه الرؤية في الفترة المتبقية من ولايته؟

دعني أخبرك أنه حتى بخصوص هذا الأمر، فأنا غير متفائل فكما أن أبو مازن لم يؤسس منهجية لانتقال السلطة من بعده، فهو كذلك لم يرث أي قواعد متينة للسلام، بالتأكيد هو يبذل قصارى جهده لحفظ الاستقرار من خلال التنسيق الأمني معنا لكن لا شيء أكثر من ذلك.

في الواقع يقول أبو مازن: انظروا إلى أمريكا في عهد ترامب.. انظروا إلى الإسرائيليين، مع من أجلس لنتحدث ونتفاوض!

وعندما نجد الجانبان الإسرائيلي والفلسطيني يصرحان بتساؤل مع من نتحدث؟! فهذا يقودنا في نهاية الأمر لفاجعة العنف والتطرف على المدى القصير، وحل الدولة الواحدة لشعبين تمتد بين ساحل البحر الميت وغور الأردن على المدى البعيد نسبيًا.

أفهم أنك لا ترى حاليًا بصيص من الأمل أو أية احتمالات لتطبيق حل الدولتين؟

في الوقت الحالي لا، لأن رئيس الوزراء "بنيامين نتنياهو" متحفظًا بخصوص هذا الأمـر، ولا يتقدم فيه خطوة واحدة للأمام، هو لا يصرح بذلك علانية، ولكنه على كل حال متحفظًا ولا يخوض فيه كثيرًا، أما مبادرة أمريكا للسلام فكما يبدو لي سيتشاور الفلسطينيون بشأنها لمدة ربع ساعة فقط، ويلقونها أرضاً غير مبالين بها بعد ذلك. حينئذ سنجد أنفسنا بدون خيار أو على الأصح خيارًا واحدًا التحول التدريجي لنصبح، في النهاية أمام حل الدولة الواحدة لشعبين.

ينكر كبار الساسة الإسرائيليين هذا السيناريو المفزع قائلين: لا تثير الذعر بيننا. لكن في واقع الأمر هذا السيناريو بات وشيك الحدوث والآن أتساءل أي آمال تعهدنا واستمسكنا بها في سبيل تطبيق حل الدولتين؟! أي هدف ذهبنا من أجله إلى أوسلو؟! من أجل أي دعوة ألقى نتنياهو خطابه بجامعة "بر إيلان" في يونيو عام ٢٠٠٩؟! وإذا انزوى أبو مازن جانبًا أو حتى دهسناه وتنحى من الساحة السياسية برمتها، ما الفائدة المرجوة التي ستعود علينا من ذلك الأمر؟! لا شيء والحقيقة أننا سنكون الخاسر الوحيد في نهاية المطاف.

دائما كنت أظن أن احتمالات التوصل للتسوية قائمة، وإن كانت ضئيلة، ولكن وبمرور الوقت شيئًا فشيئا، أيقنت أن هذه الاحتمالات تتلاشى. في الواقع الفلسطينيون مغرمون بفكرة دولة واحدة لشعبين، لأنها إجمالاً تخدم أهدافهم من الناحية الديموغرافية، وأيضا من الناحية السياسية، أعتقد أنه ستظهر حركة في أوساطهم تدعوهم للتحلي بالانتظار والصبر، من أجل الدولة الواحدة دولة إسرائيل المستقبلية، والتي ستكون ذات أغلبية فلسطينية بين البحر الميت والأردن، الأمر الذي يُفقد إسرائيل نفوذها وحقها في الوجود تدريجيا.

أخشى من هذا المسار المسألة أصبحت صراع بقاء، بالنسبة لإسرائيل ليست قضية "اليمين" أو "اليسار" نحن بالفعل نسير في طريق لا عودة منه.

ما هي أخطاؤنا؟ وهل تعتقد أنه كان بإمكاننا اتخاذ خطوات استباقية لمنع ذلك السيناريو من الحدوث؟

نعم، كان ذلك ممكنًا قبل خمسة وعشرين عامًا قبل التحالف مع ياسر عرفات. لكني أكرر مرة أخرى التاريخ لا يعترف بنظرية ماذا كان يحدث إذا...ولكن في التاريخ إما أنك فعلت كذا أو لم تفعل كذا، انتهى.

قُصارى القول إنني لا أرى أية قوة في العالم حاليًا تحرك ساكنًا في سبيل تطبيق حل الدولتين مجرد حبر على ورق ليس إلا. كما أن الوضع سيتفاقم، سوءًا بعد رحيل أبو مازن سينغمس كبار قادة فتح الأسماء الذين ذكرناهم من قبل، في صراعاتهم الداخلية وعندما لا تكفي قوة أي أحد منهم لترجيح كفة الميزان لصالحه، حينها سيسعون في الظهور والتنافس أيهما أشد تطرفًا تجاه إسرائيل، وسنجد أنفسنا في مواجهة سلطة مُنهدمة، وعنف متصاعد وصدامات بين القادة الفلسطينيين، شبيهة بالصراعات التي خاضها

قادة الإسكندر الاكبر ضد بعضهم البعض للظفر بحكم إمبراطوريته في أعقاب رحيله، لذلك أنا على يقين بأننا نسير نحو مسار تصادمي يجعل من الانفصال بيننا وبين الفلسطينيين أمرُ مُحال.

كما أن السلطة الفلسطينية تعتبر كيان مرحلي مؤقت لحين التوصل للتسوية الشاملة. فإذا لم يكن هناك عملية سياسية واضحة المعالم واتفاق دائم يلوح في الأفق ستفقد السلطة شرعيتها وتصبح عديمة الصلاحيات بسبب عدم وجود فائدة سياسية مرجوة من وجودها.

بحسب وصفك، أنت ترى اننا أمام موقف سياسي متأزم وصل لطريق مسدود مع التنبؤ بموجات غضب عنيفة قادمة.. ما تأثير ذلك على وضع إسرائيل في المنطقة؟

أنا أخشى من تأثير موجات الغضب والعنف على علاقتنا بالعالم العربي. فمن خلال تجاربي أستطيع أن أقول: إن الدول العربية لن تجرؤ على خيانة القضية الفلسطينية، ولن تجبر الفلسطينيين للجلوس على طاولة المفاوضات أو الانصياع لطلبات إسرائيل، وفي هذه الأثناء سيعلو نجم إيران كدولة لا تؤمن بالتعايش والسلام مع إسرائيل، وتسعى جاهدة للقضاء عليها. وبكل تأكيد هذا يتفق مع خدمة حماس في الصراع الفلسطيني الفلسطيني. ستأتي حماس

وتعلن بعد ذلك ها هو البرهان على صحة منهجنا القائل: لا صوت يعلو فوق صوت الكفاح المسلح. أي أن مسارنا الذي نسير فيه المليء بالإحباط والتحريض، لا يخدم أحد في نهاية سوى قوى الشر الظلامية. قلنا سابقًا أن حماس تسعى للسيطرة على السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير، هذا هدفهم على المدى البعيد، ولكن لأنها في الوقت الحالي غير قادرة على القيام بذلك فإنها مضطرة للاكتفاء بسيطرتها على قطاع غزة. أنا منزعج قليلا من هذا الهدف الذي بين أيديهم المتمثل في بسط نفوذهم على غزة، ولكني أصبح أشد اضطرابا وانزعاجا عندما أمعن النظر في إيران وحزب الله وحماس وبقية الفصائل الفلسطينية المتطرفة، كل هؤلاء الكوكبة التي اجتمعت، بل وتحيا على كراهية إسرائيل

الفصل التاسع

إسرائيل بين نارين حماس وغزة

ليس من قبيل الصدفة أن تكون الكلمتان المتآلفتان "اذهب لغزة" معبرتان عن اشمئزازنا اتجاه شخص من نتمنى إلحاق الأذى والضرر به، وأن تكون كلمة "غزة" سُباب نقذف بها أشخاصا بعينها.

حيث يعيش اليوم في قطاع غزة، المنطقة الأكثر كثافة سكانية في العالم، ما يقرب من ٢ مليون نسمة، وجدوا أنفسهم محاصرين داخل ذلك الشريط الضيق الذي انسحبت منه القوات الإسرائيلية في إطار خطة فك الارتباط في أغسطس ٢٠٠٥ يعيشون تحت حكم "حماس" بالإضافة لعدة منظمات وفصائل إسلامية أخرى، والذين لا يتوانون عن نقض كل تسوية مع إسرائيل، حيث تتبلور رؤية تلك المنظمات حول مفهوم محو الكيان الصهيوني من الخريطة بأكملها.

حركة حماس التي تستقي فلسفتها السياسية الخاصة من حركة الإخوان المسلمين في مصر، كما تتمتع بدعم كامل من نظام "آية الله الخميني" في إيران على أتم استعداد لعقد تسوية مؤقتة مع إسرائيل

يمكن أن تمتد حتى خمس سنوات فيما يُعرف بالهدنة او التهدئة لكنها غير مستعدة للاعتراف بحق إسرائيل في الوجود.

في بداية مايو من عام ٢٠١٩، أُطلق أكثر من ٧٠٠ صاروخ وقذائف هاون من غزة باتجاه إسرائيل في غضون يومين فقط، نتج عن تلك الواقعة مقتل أربعة أشخاص بدأ بعدها سباق عنيف من الإنكار المتبادل بين حماس وإسرائيل. وانتهى فيما اعتدنا أن نسميه في الجيش الإسرائيلي "سياسة الاحتواء" أو "سياسة ضبط النفس في مواجهة العدو". بيد أن حماس تطلق صواريخها تجاهنا، وتقوم إسرائيل بالرد من خلال الضربات الجوية المتفاوتة في شدتها ويستمر ذلك الوضع إلى أن تتدخل عناصر دولية لاحتواء الموقف، وبوساطة من المخابرات المصرية ينجحون في نهاية الأمر في تفعيل قرار وقف إطلاق النارـ حتى تدور تلك الدائرة مرة أخرى وتبدأ جولة جديدة وهكذا.

يقول عاموس جلعاد: لا يجب أن نتوقع انتصارًا في معركتنا امام غزة كالانتصار الذي شهدناه في حرب الستة أيام (نكسة١٩٦٧) ذلك الانتصار الذي كتب عنه أيضا وقتها الأديب الإسرائيلي شبتاي تيفت كتابه لعنة البركة فبالنسبة لغزة لا يوجد أمامنا بدائل رابحة،

وإنما بدائل سيئة، وعلينا فقط اختيار البديل الأقل سوءًا. وهذا بحسب رأي جلعاد تطبيقًا لسياسة الاحتواء. لماذا؟

لأنه إذا قرر مجلس الوزراء الإسرائيلي المصغر "الكابينت" تقويض حكم حماس، فبإمكان الجيش الإسرائيلي تنفيذ هذه المهمة بنجاح ومع ذلك يبقى السؤال الذي يجب أن نسأله لأنفسنا بوضوح وماذا بعد؟! ما الذي سيحدث في أعقاب استعادة الجيش الإسرائيلي سيطرته على غزة؟!

والجواب: لنفترض أننا استعدنا السيطرة على القطاع، ونجحنا في استئصال حكم حماس، فنحن أمام خيارين

الأول: الانسحاب مرة أخرى من غزة وحينها من المحتمل أن ينشأ على حدودنا الجنوبية كيان يتألف من حكم العصابات، شبيهًا بنموذج الصومال.

الثاني: البقاء في غزة وحينها علينا أن نستثمر العديد من المليارات لتأمين سُبُل العيش الأساسية للسكان هناك، كما سيكون الجيش مُطالب بإقامة إدارة عسكرية، بالإضافة إلى جلب العديد من وحداته إلى المواقع المختلفة لحفظ الأمن وفرض النظام في القطاعات العامة داخل غزة. أي أننا وبعبارة

أخرى سننغمس في المستنقع الغزاوي، كما انغمسنا من قبل في المستنقع اللبناني. فلا يمكن الحديث عن الوضع الإنساني دون إغفال الحديث عن غزة في رأيي أن سياسة حكومة نتنياهو التي تنتهج فرض العقوبات الاقتصادية على غزة مثل تقليص مساحة الصيد لسكان القطاع كلما احتدمت الأجواء هي سياسة حمقاء. فما العلاقة بين سمك قُشر البياض الموجود على عمق ١٢ ميل بحري من شاطئ غزة وبين الصواريخ المندفعة تجاه إسرائيل؟! يجب علينا التفريق بين المساعدات الإنسانية لسكان القطاع وبين صواريخ حماس، فحكومة حماس لن تسقط بمجرد اختفاء سمك قُشر البياض من أسواق غزة.

السؤال الذي يطرحه كل إسرائيلي هو ماذا نفعل بشأن غزة؟! نفذنا خطة فك الارتباط وانسحبنا عام ٢٠٠٥، قمنا بشن ثلاثة حروب كبرى على القطاع: الرصاص المصبوب ٢٠٠٨، عامود السحاب ٢٠١٢، الجرف الصامد ٢٠١٤، وتـدور بيننا عدة اشتباكات مسلحة بمئات الصواريخ يوميًا. انشأت حماس الأنفاق؛ وجدنا حلولًا لها، فقاموا بإرسال البالونات الحارقة ويعملون على إثارة الشغب بالقرب من الجدار الحدودي. ليبقى السؤال مطروحًا كيف نخرج من هذه الحلقة المُفْرغة؟

باختصار لحل مشكلة غزة يجب أن نزن التفكير في البدائل التي تحت أيدينا والحلول الممكنة المطروحة، والتي يمكن أن أوجزها فيما يلي:

الخيار الأول:

يستعيد الجيش الإسرائيلي احتلاله للقطاع مرة أخرى، بالتأكيد هذا ليس بالأمر الهين كما أصفه، وسيخلف وراءه العديد من الضحايا والمصابين. ولكن لنقل إننا أتممنا تلك الخطوة بنجاح، ماذا بعد؟!

يجب أن نتوقع حدوث أزمة اقتصادية خانقة، لأننا سنكون مضطرين وقتها لرصد ميزانية خاصة للقطاع من جيوبنا تتجاوز عدة مليارات. الوضع أشبه بأن يأكل الشخص بقرة كاملة بدلاً من شريحة لحم صغيرة منها. لقد استغرق الأمر مني العمل عدة سنوات كمنسقٍ لأعمال الحكومة في الأراضي المحتلة كي أدرك حقيقة أن إسرائيل ليس في مقدورها في الوقت الحالي فرض الحكم العسكري في غزة، ولكن بادئ ذي بدء سيكون عليها تأسيس نظامًا جديدًا. وبالتأكيد من سيحمل على عاتقه تنفيذ تلك المهمة هو الجيش الإسرائيلي، لذا فمن الوارد أننا سنرى حينها قادة الكتائب العسكرية متمركزين في شوارع غزة ورفح وخان يونس ودير البلح،

بدلاً من الانشغال بأمور العسكرية والحرب، كما سيضطرون للتعامل مع كل الأوضاع المتدهورة التي نراها اليوم في غزة من تفاقم رهيب للبطالة، وأزمة نقص المياه والكهرباء، وانهيار البنية التحتية ومنظومة الصرف الصحي. والأسوأ من ذلك، أنه لا يوجد ثمة أمل في أن تتلقى إسرائيل دعم المنظمات الدولية في أعقاب احتلالها لغزة، "منظمة أونروا" وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين هي خير مثال لتلك المنظمات. صحيح أنني كمواطن إسرائيلي أمقتها بشدة بلا أدنى شك، ولكنها كانت الجهة الوحيدة التي استطعت العمل معها مع كل عملية عسكرية خاضها الجيش الإسرائيلي في غزة بالطبع كان من المستحيل التنسيق أو الحديث مع حماس حينذاك. هكذا بالضبط سيكون الوضع إذا سيطرنا على القطاع مرة أخرى لن تمد يد العون لنا، وستكون المسئولية ملقاة على عاتقنا بالكامل. بالإضافة لكل ذلك وجب التذكير أن الغالبية العظمى من سكان غزة متطرفون وينصبون لنا العداء والكراهية.

الخيار الثاني:

هو أن تطلب إسرائيل من مصر احتلال القطاع والسيطرة عليه، والعشم في موافقة مصر على هذا المقترح كعشم إبليس في الجنة.

الخيار الثالث:

تطلب إسرائيل من السلطة الفلسطينية دخول غزة. للوهلة الأولى يبدو هذا المقترح مثاليًا، ولكن ما قد يمنعه هو رفض السلطة الفلسطينية تنفيذه طالما أن حماس تسير على خطى حزب الله. فكل ما تريده حماس من السلطة الفلسطينية حقًا هو مساعدتها في دخول الأموال إلى غزة، ودفع الرواتب، والتنسيق مع مصر لفتح معبر رفح، وتشد من أزرها داخل غزة لكن مع بقائها بقاء السلطة الفلسطينية خارج حدود القطاع.

الخيار الرابع:

تحتل إسرائيل القطاع، وتنهي حكم حماس، ثم تطلب من السلطة الفلسطينية تولي زمام الأمور، تتمثل الإشكالية هنا في رفض السلطة الفلسطينية دخول غزة بدون توقيع اتفاق سياسي شامل مع إسرائيل، وبما أنني أرى أن حكومة إسرائيل الحالية لا تنوي إبرام مثل هذا الاتفاق إذن فهذا الحل أيضًا عديم الجدوى.

وعلى صعيد آخر إذا قمنا باحتلال القطاع بمفردنا وبدون تسليم دفة القيادة للسلطة الفلسطينية، فمن الممكن أن نجد أنفسنا متورطين في البقاء هناك لسنوات طويلة، وغير قادرين على الانسحاب مثلما كان السيناريو في لبنان من قبل لمدة ١٨ عامًا.

هناك شيء يجب أن يؤخذ في الاعتبار إذا زال حكم حماس من غزة فمن ينتظرنا هناك هو تنظيم داعش المتطرف ومن على شاكلته.

أرى أن كل البدائل التي أسهبت في شرحها ليس من الممكن تطبيقها على أرض الواقع، ما العمل إذن؟

صدقني الأمر يحتاج إلى معجزة فجميع من هم في مواقع السلطة والنفوذ داخل إسرائيل لا أستثني من ذلك المنظومة الأمنية يفضلون سياسة احتواء الوضع والتي تعتمد على توجيه الضربات إلى حماس، بهدف إنهاكها ليس إلا بدون التخلص منها نهائيًا، أي أن الأمر لا يتعلق بعدم رغبتنا في القضاء على حماس فمن لا يريد ذلك؟! بالطبع هذه رغبتنا جميعًا وكان ذلك محور حديثي مع أبو مازن، ولكن الأمنيات شيء والواقع شيء آخر مختلف. إن قرار دخول الجيش الإسرائيلي قطاع غزة ستصاحبه عواقب وخيمة بالتأكيد سيذعن الجيش للأمر على الفور، ولكن بعد ذلك سيحمل على عاتقه مسئولية الارتقاء بغزة من الحضيض، ولهذا يفضل كبار القادة والساسة الإسرائيليون سياسة الاحتواء وضبط النفس. من المهم أن أؤكد أن سياسة الاحتواء ليس معناها أن الجيش الإسرائيلي يقف مكتوف الأيدي أمام أفعال حماس، بالعكس يبذل الجيش الإسرائيلي مجهودات مضنية لدحرهم، كما أن لدينا تصورات

مسبقة عن جميع أشكال المساس بحدودنا، فعلى سبيل المثال نجحنا في السيطرة على ذلك السلاح الاستراتيجي الاستثنائي المسمى "الأنفاق" والذي يبدو للوهلة الأولى شيئًا بسيطًا، ولكنه ليس كذلك. فمن خلال طرق الأنفاق الممهدة تستطيع العناصر الإرهابية التسلل داخل الأراضي الإسرائيلية وتنفيذ عمليات قتل في أوساط سكان المستوطنات القريبة من الجدار الحدودي، الأمر الذي من شأنه أن يسبب صدمة نفسية عنيفة داخل المجتمع الإسرائيلي لفترة طويلة الأجل. كما تمارس حماس أيضا العديد من الحيل لمساعدة الحشود على تسلل الجدار وإشعال الأجواء بالقرب من المستوطنات الإسرائيلية، بالإضافة إلى هرولتهم لإشعال فتيل النار في العالم العربي كلما سنحت الفرصة، ولكن محاولاتهم دائمًا ما تبوء بالفشل ولم يكتب لها النجاح إلى الآن.

لذا مُجمل القول: أنا مؤمن بأن نظرية احتواء الوضع هي الطريقة المُثلى حاليًا للتعامل مع حماس برغم أننا ندفع ثمنها باهظًا، إلا أنها وبرغم ذلك تبقى الطريقة الصحيحة. خاصة إذا تأملنا الصورة كاملة وأخذنا في الاعتبار الأخطار الخارجية المحدقة بنا مثل الخطر الإيراني وخطر حزب الله اللبناني الذي لا يزال يمثل تهديدًا جوهريًا

لنا. لا يجب أن ننسى كل هذه الأمور مثلما لا ننسى أيضًا النجاحات العظيمة التي نحققها في هضبة الجولان.

هناك خيارًا أخر لم تذكره وهو "الهدنة" هدنة طويلة الأمد. هل هذا ممكنًا؟ قد جمعتني عدة لقاءات بكبار الشخصيات الأمنية والسياسية الإسرائيلية وأخبروني أنها عديمة الفائدة وأن كل من ينادي بتطبيقها فهو مضلل للرأي العام، لكون حماس لا تريد أي هدنة مع إسرائيل. ما رأيك بخصوص هذا الشأن؟

انظر.. لقد شهدت عقد الهدنة مرتين أو ثلاث مرات بيننا وبين حماس، وكانت دائمًا برعاية ووساطة المخابرات المصرية، قبل كل شيء يجب أن ندرك جيدًا مفهوم الطرف الآخر عن "الهدنة" أو قرينتها "التهدئة". يتمثل الفارق بينهما في العنصر الزمني أي مدة كل منهما.

هذه آلية متجذرة بعمق في الدين الإسلامي منذ حروب النبي محمد ﷺ وتظهر الفكرة جلية كذلك في القرآن.

لتقريب الصورة أكثر؛ سأستعير مصطلح ينتمي لفترة حرب الاستقلال نكبة فلسطين وهو "הפוגה" بمعنى هدنة قصيرة متفق عليها مسبقًا بين الأطراف المتحاربة بهدف الراحة أو إجلاء القتلى والجرحى. المقصد الأهم بالنسبة لحماس من وراء هذه الهدنة

القصيرة يتمثل في المبدأ التالي كلما كنت ضعيفًا، يجب أن أحافظ على هدوئي ولا أساهم في تصعيد الموقف حتى أستعيد قوتي مرة أخرى وحينها أستطيع تغيير الموقف لصالحي. وهذا من وجهة نظرهم لا يعتبر اختراقا للاتفاق، فبالنسبة لحماس لم ولن يكون هناك اتفاق بين إسرائيل والفلسطينيين من الأساس.

الأمر ليس اتفاقا، ولكنه بمثابة هدوء مؤقت نابع من موقف ضعف وتتوقف مدته الزمنية على مدى تعافيهم من عدمه.

عندما تحدث الشيخ أحمد ياسين[1] عام ١٩٩٧ عن هدنة لمدة ٣٠ عامًا كانت نيته أن يقول في الحقيقة: ستستمر الهدنة بحد أقصى ٣٠ عامًا، ولكنها من الوارد أن تنتهي بعد ٣٠ يومًا أو ٣٠ دقيقة.

باختصار يتوقف قرار الهدنة على تقديراتهم الذاتية للوضع: متى يبادرون بالهجوم ومتى يتراجعون، وهل مازالوا ضعفاء أم أنهم استعادوا قوتهم مرة أخرى.

---

(١) أحمد ياسين (١٩٣٦ -٢٠٠٤): هو داعية، ومجاهد، ومؤسس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وزعيمها حتى وفاته، أصابه حادث في شبابه أثناء ممارسته للرياضة نتج عنه شلل تام لجميع أطرافه، عمل في المجال الدعوي ثم مع بداية الانتفاضة الأولى انتقل للعمل المقاوم، اعتقلت إسرائيل عدة مرارات، وفي ٢٢ مارس ٢٠٠٤ اغتالته إسرائيل بعد صلاة الفجر مباشر.

سأضرب لك مثلاً: قبل العملية العسكرية في غزة عام ٢٠٠٨ كانت هناك "تهدئة" أو "هدنة" بيننا وبين حماس واستدعاني -لا يوجد لدي وصف أخر غير ذلك- رئيس المخابرات المصرية آنذاك "عمر سليمان" وقال لي بالحرف: حماس لا تعتقد أنكم أكثر منها قوة. قلت: إذن فليس هناك جدوى من الهدنة.

أجابني: رائع أنت جهبذ وتشع بالحكمة، لم تكن كلماته نابعة من إيمانه بأنني خبيرًا ومتمرسًا أو ربما كانت كذلك، ولكنها على أية حال كانت لاذعة وساخرة.

واصلت الحديث: الاستنتاج الثاني من كلماتك هو أن حماس ستبادر بالهجوم وستندلع مواجهة عسكرية بيننا وبينهم.

أجابني بتهكم أيضًا: الحكمة الآن تشع منك بصورة أكبر.

أضاف سليمان: حتى لا يختلط الأمر عليك لم يعد هناك مزيدا من الهدنة الأمر منتهي.

تدوم كل تهدئة أو هدنة بالضبط فقط خلال الفترة الزمنية التي يعتقدون أنهم بحاجة إليها للأخذ بالأسباب والعودة مرة أخرى لموضع القوة. ولهذا ترتبط كل هدنة بتقديرهم الشخصي، ولن

نجد في أي بند من بنودها أبدًا ما يدعو لنزع السلاح مقابل إعادة التأهيل الاقتصادية لقطاع غزة

العامل الاقتصادي مهم بالنسبة لحماس، طالما أنه يسمح لهم بالسيطرة والتحكم، أما حرصهم على سلامة سكان القطاع فيأتِ في مرتبة أقل من حيث أولوياتهم.

ولنفترض أنهم سيدعوننا للتهدئة بادئ ذي بدء يكون السؤال: من هو صاحب المقترح؟ لأن هناك جناح سياسي لحماس وجناح عسكري، ولكني لن أتطرق في الحديث عن هذا الآن.

في رأيي أن الأمر الأكثر أهمية هو أن نفهم رؤية ووجهة نظر الطرف الأخر والتي تتمثل في رفض المفاوضات المستقبلية مع إسرائيل، إيمانًا منهم بأنها يجب أن تزول، ويمكن لليهود حينها أن يعيشوا كأقلية تحت الحكم الإسلامي، أما دولة إسرائيل باعتبارها كيان سياسي فليس لها حق في الوجود.

لذلك لا يدعوهم هذا الاعتقاد الراسخ إلى الجلوس على طاولة المفاوضات ولن يهدأ لهم بال حتى تنفيذ ذلك السيناريو، يمكننا تجاهل الأمر لكنه يظل الحقيقة المؤكدة على أرض الواقع.

هناك من يقول: أن منظمة التحرير الفلسطينية اعترفت بإسرائيل هذا ليس الشيء ذاته. "فالإسلام الأصولي" لا يعترف بدولة إسرائيل وهذا الاعتقاد بمثابة الأوامر الإلهية، كما أنه الرابط الوحيد الذي يجمع بين إيران وحزب الله المنتمين للمذهب الشيعي وبين حماس أو الإخوان المسلمون المنتمين للمذهب السني خلاف ذلك هم -السنة والشيعة- أعداء في شتى القضايا المختلفة.

برغم كل ذلك كان الوضع مستقرًا لمدة ثلاث سنوات بعد العملية العسكرية في غزة عام ٢٠١٤، حتى اندلعت المظاهرات مرة أخرى بالقرب من الجدار الحدودي وبدأوا في إرسال البالونات الحارقة وما إلى ذلك فهل يمكن أن نطلق على هذا الوضع مسمى الهدنة أو التهدئة؟!

بعد عملية غزة ٢٠١٤ لم يُعلن بشكل رسمي عن تهدئة بين الجانبين، ولكن هذا ما قد حدث بالفعل خلفت الحرب ورائها دمارًا كبيرًا في غزة، كما تلقت حماس العديد من الضربات الموجعة، وكانوا في حالة يُرثى لها أتذكر التساؤل الذي كان مطروحًا على الساحة وقتها لماذا لم توقع حماس اتفاقا مع إسرائيل؟

أجبت على ذلك السؤال وقتها: لنقل أنهم عقدوا اتفاقا معنا ماذا بعد؟!

هل هذا سيغير من الأمر شيء؟!

سينصاعون للاتفاق طالما أنهم يرونك قويًا وسينكثون عهدهم في اللحظة التي يرونك فيها ضعيفًا لأنهم يمقتوننا ولا سبيل لتغيير ذلك.

لذا أعود وأكرر ما قلته في بداية حديثي: الاتفاق ليس حلاً عمليًا واحتلال غزة وفرض حكم العسكري هناك سيمثل عبئًا ثقيلاً على إسرائيل. الخيار الوحيد حاليًا هو سياسة الاحتواء والعمل على ردع حماس وفرض العزلة عليها، ولكن مع الأخذ في الاعتبار الحرص دائمًا على ألا يُمس الوضع الإنساني لسكان القطاع بسوء.

قلت سابقًا أنك تمقت منظمة أونروا هل من الممكن أن تستفيض في شرح هذا الأمر أكثر؟

تعتمد استراتيجية هذه المنظمة البغيضة على تخليد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين من خلال تطويع أدوات الدعاية لصالحها، كما أن أعضاءها يعملون على التشهير بنا والافتراء علينا بلا هوادة. ولكن وجب الذكر أنهم في النهاية ايضا يوفرون فرص عمل لعشرات الألاف من سكان القطاع من المعلمين وأصحاب المهن المختلفة، كما يساهمون في بناء المدارس والعيادات الطبية، وإصلاح البنى

التحتية بهدف التخفيف من حدة الشعور باليأس لدى المواطنين داخل غزة وبالمناسبة تساهم أونروا في توفير عشرات الألاف من فرص العمل داخل الضفة الغربية أيضاً.

لكن على الصعيد الشخصي والعاطفي كنت سعيدًا للغاية بعد تخلصي منهم أكرر مرة أخرى أن علاقتي بهم هي علاقة قائمة على الازدراء، فعندما كنت منسقًا لأعمال الحكومة في الأراضي المحتلة، لطالما استدعيت المتحدث الرسمي لهم من أجل استيضاح العديد من الأمور الغامضة، كما قدمت ضدهم الكثير والكثير من الشكاوى المتمثلة في التصريحات والاخبار الكاذبة والدعاية العدائية ضد إسرائيل.

ولكني في حالات الطوارئ، وجدت نفسي مضطرًا للعمل معهم لأنك إذا أردت التخلي عنهم فيجب أن توفر بديلاً، فبدون بديل ستصبح هناك حالة من فراغ السلطة ولن يجد سكان غزة من يتولى حل أزماتهم من انهيار شبكة الصرف الصحي وعدم وجود المياه، وعدم وجود مدارس... إلخ.

ولا تحتاج إلى أن تكون متمرسًا في تقدير الأمور لتعرف أن نتيجة ذلك الفراغ في النهاية أننا سنرى شباب غزة متكدسين في الشوارع

ومن ثم يتحولون لقنبلة موقوتة ضدنا. أي أن الأمر لا يتعلق بكونه فقط قضية إنسانية وأخلاقية، ولكنه متعلق بالجانب الأمني أيضاً فنحن لن نستطيع تغيير عقود من الإهمال والتقصير بدون أن نكون حريصين على توفير البديل المناسب للأونروا كي يمكننا التخلص منهم بعد ذلك، وإلا سيصبح الوضع شبيهًا بأن تقوم بخلع ضرسك بنفسك بدون تخدير.

الجزء الثالث

أصدقاء وأعداء إسرائيل في الشرق الأوسط

الفصل الاول

السيسي وأنا العلاقات مع مصر

في أواخر سنوات السبعينيات، وبصفتي المراسل السياسي لإذاعة صوت إسرائيل، قمت بتغطية حادثات السلام بين مصر وإسرائيل في يناير ١٩٨٠ ورافقت رئيس الوزراء مناحيم بيجين في زيارته الأولى لمصر، والتي يمكن وصفها دون أي تردد بأنها تعد زيارة تاريخية وقد خشي رجال الرئيس السادات[١] من حشد عشرات الآلاف من المصريين للوقوف على طول طريق موكب رئيس وزراء إسرائيل لتحيته، كما قام بيجين وقرينته «أليزا» بزيارة الأهرامات، وسد أسوان ومعابد، أبي سمبل بصعيد مصر. ويصعب على من حضر هذا الحدث أن يصدق أنه وقبل سبع سنوات فقط من هذا التاريخ كانت هناك حربا ضروساً بين البلدين.

---

(١) محمد أنور محمد السادات (١٩١٨-١٩٨١): هو ثالث رئيس لجمهورية مصر العربية حَكَم مصر في الفترة الممتدة ما بين (١٩٧٠-١٩٨١)، انضم إلى حركة الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد ناصر التي قامت بالثورة على حكم ملك البلاد وقتها فاروق الأول في عام ١٩٥٢، وتقلد عدة مناصب كبرى في الدولة مثل منصب وزير دولة في ١٩٥٤، ورئيسًا لمجلس الأمة (١٩٦٠-سبتمبر/ أيلول ١٩٦١)، ورئيسًا لمجلس للأمة للفترة الثانية (١٩٦٤-١٩٦٨)، كما اختاره جمال عبد الناصر نائبًا قبل وفاته.

لقد صمدت معاهدة السلام التي وقعت بين مصر وإسرائيل في حديقة البيت الأبيض بواشنطن، في ٢٦ من مارس ١٩٧٩ أمام كل العواصف التي هددت بإفشالها، وفي نهاية الأمر فإن التزام بيجين والسادات بحل الخلافات بين البلدين عبر الحوار المستمر قد صمد أمام اختبار السنوات.

لم يتسبب اغتيال السادات الذي قُتل في السادس من أكتوبر ١٩٨١ علي يد متطرفين إسلاميين في انسحاب من خلفوه بحكم مصر من معاهدة السلام. وظلت المعاهدة كما هي حتى خلال الفترة القصيرة التي حكم فيها الإخوان المسلمين[١] وهذا دليل علي أنها قد بنيت على أسس متينة.

وإني لأشهد بما سمعته أذني من رئيس الوزراء مناحيم بيجين، وأنه لا ينوي انتهاك ما وقع عليه مع السادات، على الرغم من محاولة الكثيرين حوله إقناعه بتأجيل إخلاء سيناء حتى يتضح ما

(١) الإخوان المسلمون: هي جماعة إسلامية، تصف نفسها بأنها «إصلاحية شاملة»، أسسها حسن البنا في مصر في مارس عام ١٩٢٨، تعتبر من أكبر حركات معارضة سياسية في كثير من الدول العربية، وصلت لسدة الحكم أو شاركت فيه في عدد من الدول العربية مثل الأردن، ومصر، وتونس، وفلسطين.

إذا كان مبارك[1]، خليفة السادات قادرا على تثبيت حكمه من جانبه لم ينسحب مبارك من المعاهدة حتى خلال حرب لبنان الأولى، التي سيطر خلالها جيش الاحتلال للمرة الاولى في التاريخ على عاصمة عربية بيروت ومع ذلك فان عدم وجود عملية حقيقية تهدف الى إنهاء الصراع الدموي بين إسرائيل وملايين الفلسطينيين الذين يعيشون في الضفة وقطاع غزة، يمكن أن يكون بمثابة وقود لمحاولات معارضي المعاهدة في مصر للإطاحة بالنظام الذي يحكم هذا البلد المهم.

ولا يقل أهمية اتفاق بيجين على الانسحاب من سيناء بالكامل وإعادة كل الأراضي التي احتلتها إسرائيل في حرب الأيام الستة انسحاب إلى أخر قطعة أرض، كما طلب المصريون في سابقة حتى يومنا هذا كما يمكن الافتراض بأن الفلسطينيين لن يقبلوا بأقل

(١) محمد حسني مبارك (١٩٢٨-٢٠٢٠): هو الرئيس الرابع لجمهورية مصر العربية (١٩٨١-٢٠١١)، ترقى في المناصب العسكرية حتى وصل إلى منصب رئيس أركان حرب القوات الجوية، ثم قائداً للقوات الجوية في أبريل ١٩٧٢م، وقاد القوات الجوية المصرية أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣. وفي عام ١٩٧٥ اختاره محمد أنور السادات نائباً لرئيس الجمهورية، وعقب اغتيال السادات عام ١٩٨١ على يد جماعة سلفية إسلامية مصرية تقلد رئاسة الجمهورية بعد استفتاء شعبي، وجدد فترة ولايته عبر استفتاءات في الأعوام ١٩٨٧، ١٩٩٣، و١٩٩٩.

مما حصل عليه المصريون وهذا بالتأكيد لن يُسهل التوصل إلى اتفاق معهم.

جدير بالذكر أنه وقبل استكمال الانسحاب الإسرائيلي من سيناء، قرر مجلس الوزراء السياسي الأمني نقل بعض الخطوط الحدودية في منطقة طابا لإيلات ومنحها عمقا استراتيجيا.

اتخذ القرار بسلمية كبيرة، لدرجة ان مساحي الحدود المصريين تجاوزوه دون أي صعوبة هذه التجربة المروعة، كلفت دافع الضرائب الاسرائيلي عشرات الملايين من الدولارات. بعد عملية طويلة من التحكيم الدولي انسحبت في النهاية على أثره إسرائيل الى أخر حبة رمال.

وفى العقد الاخير أصبح "عاموس جلعاد" حلقة الوصل الأكثر أهمية للقادة المصريين منذ فك الارتباط عن قطاع غزة عام ٢٠٠٥ وحتى العلاقات الخاصة بين الجيشين في الحرب، التي يشنها النظام المصري ضد داعش في سيناء.

عبد الفتاح السيسي، رئيس مصر الحالي، تعرفه منذ أن كان ضابطا كبير بالجيش، هل تتذكر كم مرة التقيتم؟

التقيت به عدة مرات من الصعب تذكر عددها، ولكنى أستطيع

أن أخبرك لماذا التقينا فقد كان مكلفا بإدارة الاتفاق "المُعقَد" لترسيم الحدود بين قطاع غزة ومصر بعد فك الارتباط عن القطاع فيما يسمى بمحور فيلادلفيا[1]. حيث يبلغ طول الحدود هناك ١٣,٨ كيلومترا وقد غضب المصريون من اسرائيل لتخليها عن جزء من الحدود المشتركة بموجب معاهدة السلام لقوات خارجة عن السيطرة وهي حماس والمنظمات الإرهابية الأخرى. كما حاولوا وضع قوات لهم كحرس للحدود وهو في الواقع جيش على طول الحدود بأكملها وهذا انتهاك للملحق العسكري لاتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل. وحينذاك بدأ تكوين اتصال خاص جدا مع المشير حسين طنطاوي[2]، الذي يعد أحد أبطال الحرب بمصر وهو في رأيي رجل نزيه للغاية لكنه ليس من المغرمين بإسرائيل فقد

(١) محور صلاح الدين أو محور فيلادلفيا (بالعبرية: ציר פילדלפי)، وهو شريط حدودي ضيق داخل أراضي قطاع غزة، يمتد المحور بطول ١٤ كم على طول الحدود بين قطاع غزة ومصر، ووفقاً لأحكام معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية لعام ١٩٧٩، تسيطر القوات الإسرائيلية وتحرس تلك المنطقة العازلة. وبعد معاهدة أوسلو عام ١٩٩٥، وافقت إسرائيل على الإبقاء على المحور بطول الحدود كشريط آمن.

(٢) محمدحسين طنطاوي: (١٩٣٥) هو القائد العام السابق للقوات المسلحة المصرية، تخرج في الكلية الحربية المصرية سنة ١٩٥٦، شارك في حرب ١٩٦٧م وحرب الاستنزاف وحرب أكتوبر ١٩٧٣، وحصل على رتبة المشير في ١٩٩٣م.

أخبرني بأن جسده تشوه من رصاصات جنود الاحتلال الاسرائيلي في عملية قادش أثناء العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، وفى حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ حيث كان حاضرا لكافة حروب بلاده معنا تقريبا، ومع الوقت تم خلق كيمياء غريبة بينا، حيث كنت احاوره باللغة العربية لأن لغته الإنجليزية كانت ضعيفة.

ومما وثق ارتباطنا هو موقفي الرافض لحرب لبنان الأولى عام ١٩٨٢ ولأني كنت معارضًا من حيث المبدأ للحروب غير الضرورية فقد توصلت إلى استنتاج مفاده أن لدينا فرصة تاريخية وإن كانت متأخرة لتطوير العلاقة الأمنية مع مصر وقد بدأت من خلال اتفاقية فيلادلفيا.

لم يرغب طنطاوي رؤية "زئيف بيني" رئيس الأركان، وهو يعادل جنرالاً من فئة ثلاث نجوم. بينما هو وزير الدفاع، والقائد العام للقوات المسلحة لمصر وبرتبة مشير وهي تعادل لواء خمس نجوم في الجيش الأمريكي.

كان مبارك يرى في طنطاوي بطلاً أسطورياً كما كان يعرف قدر عمر سليمان[1] رئيس مخابراته لكن طنطاوي كان أقرب إليه وينابيه

(١) عمر محمود سليمان (١٩٣٦ -٢٠١٢): هو قائد عسكري وسياسي مصري، =

باسمه محمد دون ألقاب كنوع من المودة.

فجأة وجدت نفسي أمام طنطاوي مثل كبار الشخصيات، في مكتب وزير الدفاع ليس مكتبه المعتاد، ولكن مكتب التمثيل إنها عبارة عن قاعة ضخمة داخل قصر ما. وقد حرص المصريون على دخولي أنا والضيوف الآخرين أولا حتى نقف لطنطاوي تبجيلاً له عندما يدخل.

كان السيسي في ذلك الوقت بمنصب رئيس الاستخبارات الحربية صارم جدا تجاه إسرائيل كان طنطاوي السبب في معرفتي به عندما قال: أنا مستعد لمقابلة عاموس، ولكني لست على استعداد لدعوته لتناول الغداء لم يقل هذا لي بشكل مباشر، ولكن بدا هذا واضحاً من سياق الموقف أكاد أجزم بأني لم أكن مهما لديه

تناول الغداء إذا سيكون مع السيسي فهو، قائد بالقوات المسلحة وأنا قائد مثله، كلانا في الاستخبارات العسكرية ولهذا التقينا.

النقاشات مع السيسي كانت صعبة في البداية كان حذراً ويبدو عليه عدم الانسجام خلال وجودي، وهي عادة الضباط المصريين

= تولى منصب رئيس المخابرات العامة حتى تم تعيينه نائباً لرئيس الجمهورية خلال أحداث ثورة ٢٥ يناير/ كانون الثاني ٢٠١١.

وبعضهم يحملون كراهية زائدة لنا ولأني يهودي فلابد أنه رآني على قدر كبير من الدهاء، فهو انطباعهم عن اليهود الذين من المفترض أنهم يحكمون العالم اعتقد أن السيسي شخص متوازن لا يخفى آرائه وملتزم دينيا وهو كغيره من الضباط المصريين لديهم موقف سلبي تجاه الملحق العسكري في اتفاقية السلام وكذلك الوزير عمر سليمان أيضا فالكل يرى في الملحق العسكري اعتداء على الكبرياء والسيادة المصرية.

ولعل أبرز الأمثلة على، ما حدث إثر تنازله عن جزيرتي "تيران وصنافير"، أو ما نطلق عليها "صنافير"، فعندما أعادت مصر الجزيرتين إلى السيادة السعودية، اندلعت ثورة في مصر. اعتبر المصريين هذا الأمر تخلي عن أرض الوطن مثلما كانوا يحاولون معنا في ذاك الوقت بالتفاوض على كل مليمتر مربع.

مع الوقت بدأ السيسي يتصالح معي شيئا فشيئا ومع الواقع الذي صنعه السادات وبيجين كانت المحادثات معقدة، ولكننا في النهاية توصلنا إلى اتفاق. حيث أراد المصريون نشر قوات لهم من حرس الحدود على طول حدود سيناء بأكملها لكننا لم نوافق لأنه يعد انتهاكا للاتفاقية.

وبعد المشاورات اتفقنا على ألا يزيد العدد عن ٧٥٠ عنصرا من قوات حرس الحدود المصرية، بطول الحدود مع قطاع غزة، أثار ذلك عاصفة سياسية في اسرائيل لكن مصر كانت لديها حجة مقنعة قالوا: معذرة، إذا تركتم هذه الحدود بدون أمن فمن سيديرها؟ ونحن في اتفاقية سلام معكم لسنا دولة معادية. أخيرا، وبجهد كبير توصلنا إلى اتفاق وقعت عليه بنفسي، واستمر لسنوات وهو قائم وله الاحترام ويخضع لتقدير الموقف الأمني، وهكذا نجحنا في رأب الصدع ليس مع السيسي فقط، ولكن مع الجانب المصري لأن مصر من وجهة نظرنا هي قائدة العالم العربي وكما يقولون "أم الدنيا".

ماذا تعني بـــ « أم الدنيا»؟

بمعنى "أم العالم" أي أنها دولة كبيرة ٩٧ مليون نسمة أو ١٠٠ مليون فعلا صحيح ولذلك، ولكل تلك الأسباب أدركت، بأننا بحاجة إلى بناء الثقة مع مصر كأصل استراتيجي في مواجهة جميع التهديدات؛ إيران، وجماعة الإخوان المسلمين، التي تضم حماس أيضا وما إلى ذلك الأمر كان صعبا. صعبا جدا. الإخوان المسلمون الذين حكموا مصر لفترة من الزمن.

ذكرت سابقًا أن السيسي شخص متدين جداً ومن عينه وزيرا

للدفاع هم الإخوان المسلمون، حيث كلفه الرئيس محمد مرسي وجماعته، وتم ترقيته عسكريا لملائمة ذلك، وقد أوضحت لك في وقت سابق معنى وأهمية وزير الدفاع في مصر.

وثق الإخوان المسلمون في السيسي كمسلم متدين سيسلم لهم الجيش المصري ومن الضروري أن نعرف أن الجيش المصري ليس مجرد جيش. فهو هيئة ذات أهمية استراتيجية واجتماعية واقتصادية قصوى حيث لديهم آلاف المجندين من جميع طبقات الشعب ولديهم مليون وربع جندي احتياطي. لديهم معسكرات جيش، ضخمة وأسلحة متقدمة وهي قوة هائلة ظن الإخوان المسلمون أنهم إذا تمكنوا من التغلغل الي الجيش فسيحكمون للأبد أو على الأقل لأطول فترة ممكنة.

لقد أزعجني هذا الوضع بشدة، عشت قلقا حقيقيا وبشكل عام لدى خوف كبير من حركات القومية الدينية، لأني أعتقد أنه يستحيل المساومة مع المتدينين. لا حماس، ولا الإخوان المسلمين، ولا غيرهم، أن مثل هذه الجماعات قوة مدمرة، وغير قابلة للمساومة مع إسرائيل يمكنهم فقط الحصول على هدنة ووقف إطلاق النار لكن هذا مجرد أمر تكتيكي فقط لبعض الوقت.

حاولت تحذير السيسي بعد توليه منصب وزارة الدفاع لكنه كان غير مستعد للاستماع فقد قال: أنا قائد عربي ولا أتحدث مع الإسرائيليين عن قضايا داخلية. وعلى الرغم من ذلك ومع مرور الوقت بدأت اقتنع بأنه لن يترك مصر تسقط. لم يكن لدي ما اعتمد عليه من مؤشرات لأنه قد فعل العكس تماماً عندما سلم نفسه للإخوان لكن هذا كان تقديري. ولقد تحقق ذلك في النهاية أطاح السيسي بالرئيس مرسي في انقلاب عسكري في ٣ يونية ٢٠١٣.

صحيح أنه فعلها في الدقيقة الـ ٩٠، وكما قال فعل: سأخرج مصر من أيدي أهل الشر. نعم فعل ذلك بحد السيف، وارسلهم الي السجون رغم الضغوط الأمريكية والأوروبية لإطلاق سراحهم، على الرغم من موقف إدارة أوباما الإيجابي تجاه الإخوان المسلمين كممثل حقيقي لنموذج الديمقراطية، التي سعت إلى رؤيتها في العالم العربي، وهو محض هراء وسذاجة كبيرة فالعالم العربي منطقة صعبة للغاية خليط من العنف والإرهاب والعداء والإحباط والمشاكل التي لم تحل، لذلك يجب على العالم الغربي بما في ذلك إسرائيل تفضيل الاستقرار على الديمقراطية.

كنت أقول لنفسي: كيف يمكن أن نحافظ على مسار سلمي لو استمر الإخوان بحكم مصر مائتي عام من الآن؟ هذا ما كان يشغلني

طوال الوقت ثم قام السيسي بهذه الخطوة الشجاعة والتي تعد في نظري عمل وطني نبيل أنا أعترف هنا بكل يقين أنه فعل ذلك بدوافع وطنية، كما أني فخور جدا بدعم إسرائيل لخطوة السيسي الجريئة، على الرغم من أن الولايات المتحدة اعتبرتها خطوة غير ديمقراطية.

يجب أن نعرف أنه ومنذ اللحظة التي اتخذ فيها هذا القرار وصمد أمام الضغوط الرهيبة وأعمال الشغب، فإنه قد خاطر بحياته مراراً وفي كل لحظة مرت عليه تقريبا.

فالسادات قُتل علي يد أحدهم. يجب على العالم شكر السيسي لأنه أنقذ العالم أو على الأقل يشكره الشرق الأوسط، لأنه أيضا أحبط تحالف الأتراك عبر حزب العدالة والتنمية بزعامة أردوغان وبين قادة جماعة الإخوان في مصر. ولدي قناعة أنه لو حدث هذا، لتم إنشاء محور إسلامي "متطرف" بين تركيا ومصر، وكلتا الدولتان لديهما قوة عسكرية ومكانة استراتيجية الأمر الذي من شأنه أن يهدد مصالحنا في الشرق الأوسط ناهيك عن حركة حماس باعتبارها الابن المدلل للإخوان المسلمين في مصر حيث استقبلوا اسماعيل هنيه عندهم كالملوك.

ومنذ استيلاء السيسي على السلطة بردت العلاقات داخل هذا

المحور تماماً. الإخوان المسلمون يفشلون في كل مكان، فيما عدا غزة، حيث لم يسقطوا بعد، لكنهم معزولون. أصبحت حماس وحيدة لكن تبقى إيران تدعمها.

لقد دمر السيسي محور أنقرة-القاهرة، وتقلص دور تركيا أردوغان بشكل كبير وتراجعت مكانتها وبالنسبة للشرق الأوسط، فإن ما حدث أعطى متنفس وفرصة كبيرة لتجديد المحور الاستراتيجي السني العربي المعتدل في مواجهة التهديد الإيراني الشيعي.

بشكل عام أعتقد أن إحكام السيسي السيطرة على مصر، وانقاذها من جماعة الإخوان المسلمين، يعد معجزة حقيقية فيما يمكن تسميته، من وجهة نظري بالمعجزات "العلمانية"، فأنا لست متدينا ولا يمكن تفسير ما حدث بعكس ذلك.

فبعد أن عينه الإخوان وزيرا للدفاع، وقائدا عاما للقوات المسلحة قرر إنقاذ مصر من أيديهم إنها معجزة حقيقية بكل ما تعنيه الكلمة وإن كان البعض لدينا لايزال يجد صعوبة في فهم ذلك.

جماعة الإخوان المسلمين هي حركة "شيطانية"، اجتماعية سياسية ذات توجه عسكري تأسست عام ١٩٢٨، قبل أكثر من ٩٠ عاما ولديهم جذور عميقة ودعم شعبي واسع، هدفهم الوصول

إلى السلطة في كافة دول الشرق الأوسط، وأن تختفي إسرائيل من الخريطة فمصر الدولة التي وقعت معنا اتفاقية سلام وهي ذات قوة استراتيجية وعسكرية كانت ستتحول لعدو لنا في ظل حكم الإخوان إضافة إلى عداوة تركيا وحماس. من أكبر كوابيسي أن يثور العالم العربي أو الإسلامي علينا مرة، أخرى هذا لن يتحقق بوجود السيسي لذا فهو معجزة بالنسبة لي.

إن لمصر جيش كبير جدًا وقوى كان هكذا دائما. فخلال حربنا في ١٩٤٨، وصل جيشها حتى تل أبيب تقريبا وحرب الاستنزاف كانت حرباً دموية. وحرب عيد الغفران أكتوبر ١٩٧٣ والآن حدثت ثورة تاريخية بتوقيع اتفاقية سلام معها، ربما سلام بارد لكنه سلام.

لقد رأيت ميزة كبرى في خدمة فكرة السلام، وبشكل عام أنا أؤمن بأي خيار بإمكانه منع الحرب، سواءً كان من خلال الردع أو الارتباط السياسي كما في حالة مصر هذه نظرية كاملة، وهي ليست بسيطة فالشارع المصري اليوم معاد لإسرائيل حيث لديهم مشاكل اقتصادية صعبة للغاية، وسرعان ما سيواجهون مشاكل مائية شديدة ومع ذلك فقد تمكنت من الحفاظ على اتفاقية السلام لمدة ٤٠ عاما.

بصفتك شخصا قابل السيسي عدة مرات. ما الذي يمكنك أن ترويه عنه على المستوى الشخصي؟ وما هو شعورك تجاهه؟

السيسي مواطن مصري بمعنى الكلمة رجل لديه عزيمة شديدة، لا يرفع صوته لكنه حازم وقوي هو من أشد المؤمنين بمصر وبعظمتها ومستقبلها لكنه يدرك مشاكلها الصعبة وهو مؤيد بشكل كبير لعملية السلام بين إسرائيل والفلسطينيين، ويرى باستمرار نصب عينيه المصالح المشتركة لمصر وإسرائيل.

قلت إنه نشأ على كراهية إسرائيل كيف تفسر هذا التغيير؟

هذا صحيح فهو تربى مثل جميع المصريين على معاداة إسرائيل و ارتبط هذا الأمر بقوة في عقله ولكن بسبب المناصب المهمة التي شغلها كرئيس استخبارات، ثم وزيرًا للدفاع فإنه مثل الضباط المصريين الآخرين، قد تعلم الاعتراف بالقيمة الأمنية المفرطة لإسرائيل في مواجهة التهديدات المشتركة المتمثلة في الإرهاب الإسلامي وإيران فالمصريون يعلمون أنهم يتعاملون مع عدو قاس، ويعرفون أن لإسرائيل قدرات مذهلة حيث تسمح نوعية المصالح بالتنسيق الأمني وهو أمر غاية في الأهمية لم يكن الأمر سهلا، وقد تم تحقيقه في عملية صعبة للغاية لبناء الثقة، وعلينا أن نتذكر ذلك. يُعد هذا أحد الأسباب لتغيير موقف السيسي تجاه إسرائيل. لقد تجاوز حواجز الحوار والتعاون المعتاد، ولكن دون اعلانه التطبيع إنه ينتمي إلى مدرسة أولئك الذين يعتقدون أن عملية سلام شاملة

بين إسرائيل والدول العربية والفلسطينيين، يمكن أن تضع العلاقة بين إسرائيل ومصر على طريق التطبيع، والذي بدون عملية سياسية سيثير القوي المتطرفة وهو ما يهددهم أيضا.

بالنسبة لي، التطبيع هام للغاية، وإلا فالعلاقة ستكون كشجرة ذات منظر جميل، ولكن بحذر، واحد قد يكون عرضة لأعاصير السياسة العاتية فبعد الصدمات التي مررنا بها مع إيران، والتي كانت أعظم الأصدقاء وأصبحت أسوأ الأعداء وهو الحال مع تركيا أيضا كانت صديق عظيم تحول إلى غريم، على الأقل من وجهة نظر أردوغان.

السيسي يتحدث مع نتنياهو كثيرا فقد التقيا مرة أو مرتين في الأمم المتحدة.

أعتقد أنهما قد التقيا مرات كثيرة. استغرق الأمر وقتا، ولكن في النهاية تم الاتصال وبسبب الجانب الأمني فإن لدى إسرائيل فرصة هائلة من هذا التواصل الإيجابي ولابد من التركيز على ذلك، حتى لو اضطررت إلى التذكير بأهمية هذه الخطوة ٥٠ مرة.

تعديل الملحق العسكري لاتفاقية السلام بشأن سيناء، هل مازال قائما في هذه المرحلة؟ وهل يحاول السيسي تجاوز حدود

المنصوص عليه بالاتفاق عبر التفاهمات المشتركة والتراضي بين الطرفين؟

لا، لا في البداية لم يكن بالتراضي ففي عام ٢٠٠٨ كشف ملاحظة الاستخبارات العسكرية عن أنه قد أدخلت قوات إلى سيناء دون سبب سوى إلغاء الملحق العسكري لاتفاقية السلام أما اليوم فإن دخول القوات المصرية إلى سيناء يجرى بالتنسيق على أساس بند في الاتفاق ينص على أنه بالتراضي يجوز إدخال القوات إلى ما وراء المسموح به لفترة محددة بسبب الحرب على "الإرهاب" وإصدار جميع التصاريح الاستثنائية، يتم بناء على هذا البند وبناء على الموافقة.

هل كنت مسئولا عن ذلك؟

أنا بطبعي غير راغب في تمجيد نفسي في أي شيء ولا في ذلك أيضا، ولكن نعم كنت منخرطا في ذلك للغاية.

هل حان الوقت لتكتب عن ذلك؟

لا، لا يوجد احتمال ربما عندما أموت.

دعنا نتحدث عن قصة الغواصات من ألمانيا لمصر لكن قبل ذلك هل يمكنك أن تقول شيئا من حيث المبدأ عن موضوع الغواصات هذه للدفاع عن دولة إسرائيل؟

الغواصة ليست سلاحًا جديدًا في مفهوم الحرب لقد كانت أداة مهمة للغاية في الحرب العالمية الثانية، ولاحقًا في الحرب الباردة، هذا على المستوي العالمي، ومن وجهة نظر إسرائيلية، تعد الغواصة إجراءً استراتيجيا استإسرائيل،في أهميته لأنها أداة سرية في البعد البحري وغنية بالقدرات القتالية والقدرات الاستخباراتية، فيكمن استخدامها في أي مهمة استخباراتية أو تنفيذية، هذا هو ذراعنا الطويل في وجه أعدائنا البعيدين اليوم، كلما زادت المسافة زاد العداء كثيرًا واشتد خطره فإيران دولة ذات مساحة شاسعة، ونظامها إجرامي يهدف إلى تدمير إسرائيل حتى لو استغرق الأمر عقوداً، لذلك فإن القرار الإسرائيلي بتجهيز نفسها بغواصات جديدة هو قرار صائب للغاية.

إذن ما هو الموقف المنسوب لقيادة الجيش الإسرائيلي من أننا بحاجة إلى الكثير من الغواصات؟

النقاش ليس حول الحاجة ذاتها للغواصات ليس هناك جدال أن هناك حاجة للغواصات.

السؤال هو ما إذا كنت بحاجة إلى كمية من zyx؟ وأنا أقول لك ما هو أبعد من ذلك من الجيد أن الغواصات من ألمانيا لماذا؟ هم

قد ساعدوا صدام حسين في وقته هذا ليس سرا والان فزنا بحليف يتمثل في شخصية أنجيلا ميركل"[1] فهي قائدة من راسها حتى قدميها لديها قيم سامية وهو أمر لا يمتلكه معظم القادة اليوم على الرغم من أنها قد ولدت في ألمانيا الشرقية وعاشت صباها هناك، إلا أنها تشعر بأنها ملتزمة تجاه الشعب اليهودي صحيح لديها الكثير من الانتقادات بسبب المستوطنات وتعتقد أنه من الضروري -مرة أخرى لصالح الشعب اليهودي- أن يكون هناك حل سياسي يقوم على أساس دولتين لشعبين، وهي تدين احتلال الضفة الغربية وقد غضبت منا بسبب أمور أخرى، لكنها مصممة ألا تقع إسرائيل والشعب اليهودي ضحايا لمحرقة ثانية. ومساهمتها استراتيجية، فقد اعطتنا غواصات بعضها مجاني وبعضها بخصم كبير، مشكلة الغواصة هي أن صيانة معداتها مكلفة للغاية، فإذا كنت تريد غواصة تشغيلية واحدة، حيث يتم في إسرائيل تنفيذ عمليات لا نهاية لها، يحب أن يكون لديك ثلاث غواصات واحدة في التدريبات وواحدة في الصيانة والأخرى في العمل لا يمكن الحصول على أقل من ذلك.

---

(١) أنغيلا دوروتيا ميركل (١٩٥٤): هي سياسية ألمانية تشغل حاليا منصب المستشارة الألمانية، كانت عالمة أبحاث سابقة تحمل شهادة دكتوراه في الكيمياء الفيزيائية قبل دخولها عالم السياسة.

الآن من خلال متابعتي لرئيس الوزراء أنا مقتنع بأن الاعتبارات في هذا الشأن صائبة وتصب في مصلحة الدولة فالحاجة مختلفة حتى في الفترات ما بين الوضع الأمني الجيد والإرهاب المنخفض، والحدود الهادئة -سواء كانت حدود سلام أو حدود تحذير- فإن الهدوء قليل حيث تلوح في الأفق غيوم قاتمة تعكس لنا تهديدات خاصة من جانب إيران فهي مصممة على بناء تهديد صاروخي على حدودنا ودمجها مع صواريخ بعيدة المدى بالإضافة إلى قدراتها النووية كل ذلك على أساس أيديولوجية تسعى إلى تدمير إسرائيل.

لهذا السبب نحتاج الى ذراع استراتيجي لكن إن كان هناك هجوم فرضا لحزب الله من لبنان فهل يمكن للقوات البحرية شن الحرب؟ لا فالقوات البحرية يمكن أن تساعد في النصر بطريقة مهمة، كما يمكن استخدامها في جميع أنواع السيناريوهات الصعبة حيث يلزم وجود ذراع استراتيجي ذكي وسري ورادع، أي الغواصات.

ولتفوز بحرب فأنت تحتاج لقوات جوية قوية، واستخبارات قوية، وقوات برية قوية أيضا، وهم في نظري رأس الحربة، وهناك مسألة تغطية الميزانية العسكرية لكل هذه المتطلبات وهي قليلة ولا يمكن أن تغطي كل شيء. لهذا إذا أردت أن تقتني غواصة إضافية، فعليك التخلي في المقابل عن احتياجات أخرى، والجدال

هنا هو ما إذا كنت بحاجة إلى عدد × غواصات، أم إلي× ناقص غواصة واحدة.

في نهاية الصيغة وجدت أنه حتى إذا تم الوصول إلى تسع غواصات، فسيكون ذلك على حساب الغواصات التي تركت الخدمة لأن الغواصات أيضا قد أصبحت بالية، أي أن غواصة واحدة جديدة ستحل محل غواصة قديمة ستصل في نهاية المطاف ست غواصات، بحيث يكون هناك في أي وقت ما يكفي من الغواصات ذات القدرة التشغيلية.

هناك شيء آخر يجب أخذه في الاعتبار هذه صفقات طويلة الأجل جدا، حيث يستغرق بناء غواصة عدة سنوات، ربما هنا يكمن خوف من اليوم التالي لرحيل "ميركل" فهي لن تظل مستشارة إلى الأبد، ولا أحد يعرف من سيأتي خلفا لها وما إذا كان ملتزما مثلها تجاه استمرار وجود الشعب اليهودي ودولة إسرائيل، كل هذا الحديث لا يأتي من فراغ أذا أخذنا في الاعتبار سباق التسلح الهائل الذي يجري في الدول العربية، حتى لو افترضنا عدم وجود نيات شريرة تجاهنا من ورائه.

لقد تحدثنا بالفعل عن ثلاث مكونات للتهديد العسكري:

الأول: قدرات الخصم

الثاني: نواياه.

الثالث: الأيديولوجيا التي توجهه

وهذا هو الذي يجعل العلاقة السلمية قابلة للتحول الذي لا رجعة فيه، فإذا كان العدو مدفوعًا بفكر ديني كما في إيران أو حماس، فلا يمكنك مساومته يمكنك ردعه لكن لا تساومه

لماذا؟

لأنه لا يرغب في التقارب معك بأي شكل من الأشكال، يمكنه أن يتوقف عن مهاجمتك لكن سيعاود المحاولة مرة أخرى دون أن يواجه مشكلة مع ما لديك من قدرة على الردع، وللردع مستويين:

ردع ضد استخدام القوة.

ردع ضد بناء القوة.

في حالة حزب الله وإيران نجحت إسرائيل في استخدام القوة، وذلك لخوفهما من ردة فعلها بهذه المرحلة، لكن ذلك لم يثنيهما عن بناء القوة التي ستعزز قدراتهما المستقبلية إلى الحد الذي لن يكون فيه ردعنا فعالاً.

يجب أن ننظر إلى الواقع اليوم في لبنان، المنطقة بأكملها من بيروت إلى الحدود الإسرائيلية تحت سيطرة حزب الله، وبشكل غير مباشر تحت السيطرة الإيرانية، فـ"نصر الله"[1] هو الزعيم الحقيقي للبنان كدولة على الأقل في الفضاء الخاص بنا وهي تشبه أشجار النخيل التي تهاجمها آفة تأكلها من الداخل. يريدون تطبيق الشيء نفسه في هضبة الجولان، بناءً على تقديرهم بأن الأسد ممتن لهم لأنه نجا بفضلهم.

أنت تشير إلى نقطة مثيرة للاهتمام للغاية. نحن نمنعهم من استخدام القوة، ولكن ليس عن بنائها أليس كذلك؟

بالضبط نحن في وضع رائع حيث يعمل ردعنا على استخدام كامل ما نمتلكه من القوة. لكننا لا نمنعهم من محاولة بناء قوتهم. هذا على خلفية ما يتردد بالمنشورات الأجنبية التي تفيد بأن القوات الجوية الإسرائيلية تواصل الهجوم وبشكل متكرر على قواعد الصواريخ السورية ومرافق انتاجها، والتي أصبحت اليوم مصنعًا رسميا للصواريخ الإيرانية المعادية لإسرائيل، إنهم لا يخفون

(١) حسن نصر الله (١٩٦٠): هو الأمين العام الثالث لحزب الله ذات التوجه الشيعي، وقد تولّى قيادة الحزب خلفًا للسيد عباس الموسوي الذي اغتاله جيش الدفاع الإسرائيلي في ٦ فبراير ١٩٩٢.

نواياهم في إقامة بؤرة استيطانية للشيعة في سوريا على حدودنا، وبالتالي يحيطون بنا من جهة لبنان ومن جهة مرتفعات الجولان.

يقولها حسن نصر الله بصراحة وهذا هو الاتجاه الذي يسعون إليه فهم يمتلكون صواريخ دقيقة يصل مداها إلى ٧٠٠ كيلومتر بمعنى قدرتها على الوصول لأي نقطة في العمق الإسرائيلي تقريبًا. هذا جزء من التهديد الذي أتحدث عنه.

كما أن الدول العربية الأخرى تزداد قوة طوال الوقت، فالقوات الجوية السعودية على سبيل المثال من المتوقع أن تتلقى ١٥٠ طائرة من الأمريكيين. ومن المتوقع أن تستقبل قطر ٧٢ طائرة لديهم طائرات مقاتلة متقدمة جدا. السعوديون يريدون الآن طائرات F-٣٥. آمل ألا يسمح لهم الأمريكيون كما يريدون طائرات هجومية بدون طيار، ومجهزة بأفضل الأسلحة أي تحالف محتمل للقدرات يتشكل هنا.

يحتوي القانون الأمريكي على مادة تزعم الحفاظ على التفوق العسكري النوعي لإسرائيل، أي أن الولايات المتحدة ملتزمة بذلك، لكن هذا لم يمنعهم من بيع الأسلحة لدول عربية على نطاق واسع، طالما أنه لا يوجد عداوة بيننا وبين تلك الدول، فيبدو الأمر وكأنه

هراء، لكن في حقيقته ليس كذلك لأننا ندرك بالفعل أن العلاقة بين إسرائيل والعرب تقوم على المصالح الأمنية المشتركة وليس الحب.

لحسن الحظ، لا يوجد حاليا أي تهديد لإسرائيل من تلك الدول العربية السنية. والعكس صحيح بسبب المصالح الأمنية المشتركة انخفض مستوى نواياهم العدوانية إلى الصفر، لقد نجحت إيران في توحيد العرب بسبب الخوف منها، ومن هنا تأتي أهمية توسيع وتعميق القاسم المشترك بين إسرائيل والعالم العربي، هذه الأنظمة تعترف بقيمتنا كمثال ولي العهد السعودي "محمد بن سلمان" ملك المستقبل فهو يعترف بإيران كعدو، ويقاتل في اليمن ضد الحوثيين المدعومين من إيران، حيث تتعرض السعودية لهجوم من إيران بالصواريخ، وحتى مطار الرياض أصبح هدفا، إنها عملية خطيرة للغاية بالنسبة للمنطقة، لكنها أيضًا فرصة تاريخية فنتيجة لذلك أُضْعِفتْ حركة حماس أيضًا، وليس هذا السبب الوحيد فهناك أسبابًا أخرى فمن الصعب الآن أن تتخيل الأمن القومي الإسرائيلي دون ربطه بالمصالح مع بعض الدول العربية.

من ناحية أخرى فإن العلاقة الطبيعية معهم -أي ما يسمى بالتطبيع- لاتزال في مستوى منخفض للغاية، وهذه حالة تنطوي

على أخطار طويلة الأمد لا داعي للقلق بشأنها الآن، لكن عليك التفكير في المستقبل.

يقول البعض إن العرب مستعدون للتخلص من الفلسطينيين، حتى أنه تم الإبلاغ عن أن ضباط المخابرات الإسرائيلية وجهوا قادة الرأي بهذه الروح، أنا شخصيا لا أميل لذلك، حيث إنه بدون عملية سياسية، فإن فرص التوصل إلى التطبيع مع الدول العربية ضئيلة. وإذا حدث تفشي في الجانب الفلسطيني، فسيؤثر أيضًا على الرأي العام العربي، وبالتالي العلاقات مع الدول العربية. إنه وهم خطير أن تعتقد أنه يمكنك تجاهل المشكلة الفلسطينية وتحقيق السلام بدون الفلسطينيين. إذا تمكن أي شخص من القيام بذلك، فسيكون حقًا إنجازًا رائعًا، لكنني لا أعتقد أنه لا توجد فرصة لذلك. إنه يتعارض مع كل ما نعرفه عن كيفية عمل رؤوسهم. لديهم رأي عام حساس للغاية، وإسرائيل لا تحظى بشعبية في الشارع، على أقل تقدير.

لنعد إلى الموضوع الذي بدأنا به، الغواصات إلى مصر. ما هي الحقيقة هنا؟

هناك عنصران للحقيقة هناك الجانب الإجرامي الذي لا أعرف عنه سوى ما أقرأه في الجريدة، وما أسمعه في الأخبار وأقر رئيس

الوزراء، بأن الألمان تلقوا اتفاقًا من إسرائيل لتجهيز مصر بغواصات متطورة، هنا السؤال المطروح ما هو المقابل؟ منذ اللحظة التي ظهرت فيها الشرطة في الصورة، شعرت بالحرج.

بالفعل العلاقات مع مصر مهمة جدًا بالنسبة لي، لكن مع كل الاحترام من غير المعقول أن توافق إسرائيل على قيام ألمانيا ببيع غواصات لمصر. صحيح أن ألمانيا دولة ذات سيادة ولها الحق في بيع الأسلحة لمن تريد، كنها شعرت بالتزام تجاهنا وكان على إسرائيل أن تفعل كل شيء حتى لا تؤتي هذه الصفقة ثمارها.

لكن قيل: إن الغواصات الموجهة لمصر أقل كفاءة من غواصات قواتنا البحرية، لذلك يجب ألا نخاف

أنا لا أقبل هذا الادعاء ماذا يعني نسخة أقل من الغواصات؟ الألمان ليس لديهم مثل هذا الشيء أسلحة رديئة، ربما يكون أقل شأنا مقارنة بمعدات القوات البحرية وربما لا، لكن ما الذي يهم؟ هل لا يستطيعون إطلاق النار؟ هل لا يعرفون كيف يضرونا؟ بعد كل شيء، يمكن للمصريين إذا أرادوا فقط، إغلاق ممرات الشحن وقد حدث ذلك في الماضي صحيح أنه لا يتناسب مع واقع اليوم هناك اتفاقية سلام لكن يجب ألا نوافق على ذلك.

تعنى بيع الغواصات لمصر؟

نعم، انظر أعتقد أن رئيس الـوزراء يتفهم بعمق الحاجة إلى غواصات لدفاعنا الوطني، لكن إذا سئلت في الماضي عما إذا كان "نتنياهو" سيوافق أو حتى يتخيل أن دولة أجنبية ستسلح دولة عربية بأسلحة متطورة مثل الغواصات فلن أصدق إلى أن اعترف "نتنياهو" بصوته لإيران على شاشة التلفزيون أنه شخصيا عربية، قسم وزير الدفاع ورئيس الأركان سمح لألمانيا ببيع غواصات لمصر، كنت آمل في أعماق قلبي ألا يحدث هذا بالفعل على الرغم من كل المنشورات التي كانت حتى الآن حول هذا الموضوع مع العلم أن هذا يجعلني أشعر بالخيبة، لا أتحمل فكرة أن إسرائيل مستعدة للتخلي عن مبدأ أساسي في مفهومها الأمني والذي بموجبه لن يسمح بسلاح قد يضرنا في يوم من الأيام بأن يكون في أيدي دولة عربية حتى لو كانت تلك الدولة في سلام معنا الآن.

الفصل الثاني

شراكة المصير العلاقات مع المملكة الأردنية

سننتقل إلى الأردن ثاني دولة عربية وقعت اتفاقية سلام مع إسرائيل احكى لي عن لقاءاتك مع الملك عبد الله[1] في السنوات الأخيرة حاول أن تعرفنا هذا الرجل.

الحقيقة هي أنني رأيت الملك عبد الله مرات قليلة جدًا، رغم أنه كثيرًا ما يقول لي: تعال، لكنني فضلت إنها مسألة حكمة، ألا ادخل حيز رئيس الوزراء. والملك عبد الله زعيم دولة ورئيس وزراء إسرائيل أيضا زعيم دولة وهو سيلتقي بالملك لكنني نظمت بعض هذه الاجتماعات وحضرتها أيضًا. أنا بشكل شخصي كنت التقي في الغالب مع رؤساء مؤسستهم الدفاعية، حيث كنت أيضًا بداعي التسجيل كضابط شاب مسؤولًا عن الأردن في المخابرات. حتى أنني كنت ضابط مخابرات الوفد الإسرائيلي في محادثات مع الوفد الأردني الفلسطيني المشترك، كما شاركت في محادثات السلام

---

(١) عبد الله الثاني بن الحسين الهاشمي (١٩٦٢): هو ملك المملكة الأردنية الهاشمية منذ عام ١٩٩٩ م. تولى الحكم خلفًا لأبيه الملك الحسين بن طلال بعد وفاته، تولّى ولاية العهد في مدّتين مختلفتين؛ الأولى من يوم ولادته إلى ١ نيسان ١٩٦٥ م، والثانية من ٢٤ كانون الثاني ١٩٩٩ م إلى ٧ شباط ١٩٩٩.

نفسها التي أدت إلى اتفاق السلام بين إسرائيل والأردن، ثم وجدت نفسي أتعامل معهم في مجالات أمنية لا نهاية لها.

أريد أن أوضح ما الذي وجهني لأن هناك الكثير من الدروس المهمة هنا، لكن قبل أن أدخل إلى المجال الاستراتيجي. أريد أن أخبركم عن تجربة شخصية مررت بها ذات مرة استضفت جنرالًا أردنيًا متقاعدًا هنا في إسرائيل كان عمره ٩١ عامًا، لكن بدا عمره ٥٠ عامًا، كنا نجلس في مطعم في تل أبيب وأخبرني أنه كان قائد مدفعية الفيلق الأردني في القدس عام ١٩٤٨، خلال حرب الاستقلال.

لقد تحدثنا عن العلاقات الإسرائيلية الأردنية منذ العشرينيات والثلاثينيات، تحدثنا عن سقوط الحي اليهودي في حرب الاستقلال، عندما أسر الأردنيون أكثر من ٣٠٠ يهودي، تحدثنا عن معارك القدس في حرب الأيام الستة أكتوبر١٩٧٣ وتحدثنا عن كيف وصلنا إلى هذا الحد، والآن نجلس في مطعم في تل أبيب نتناول الكباب، أنا أحيط الموضوع بكثير من الطبقات الساخرة، لكن في كل مرة أتطرق فيها إلى هذا الموضوع، أشعر بالتوتر الشديد لأنني أرى كيف يتم إنقاذ الأرواح البشرية بالعقل، وكيف لا يتم إنقاذها بسبب الغباء والغطرسة كما حدث عام ١٩٨٢ في حرب لبنان الأولى. لطالما قلت لنفسي أن على إسرائيل أن تفعل كل شيء

لتجنب الحروب غير الضرورية، والاستعداد للمواجهة الرئيسية مع إيران والتي منذ عام ١٩٩٦ أنا مقتنع بأنها ستأتي وهنا لدينا فرصة تاريخية حقيقية لتطوير روابط الثقة مع الأردن، على الأقل في المجال الأمني. كان ذلك في قمة تفكيري، بعد كل شيء الأردن بلد كبير، وله حدود طويلة والدفاع عنها معقد للغاية على بعد ٥٠ كيلومترًا فقط من البحر وحدود في الضفة الغربية، والأردن بها أكثر من مليوني لاجئ فلسطيني ومليوني ونصف لاجئ من العراق وسوريا، وهي بلد يبلغ عدد سكانها أقل من عشرة ملايين نسمة.

تعد الأردن جنة لكل التنظيمات الإرهابية التي تريد العمل ضد إسرائيل. وهناك حزب الله يريد العمل من هناك، حماس والجهاد الإسلامي، وداعش والقاعدة ومن لا يريد؟ ومثلهم الإيرانيون. كانت هناك أوقات في التسعينيات عندما كان لإيران سفارة في عمان تضم حوالي ٣٥ دبلوماسيًا، معظمهم من المتطرفين من الحرس الثوري، وسيسعد الإيرانيون بالعودة إلى هناك، وهنا، انظر إلى هذا العجب الحدود هادئة، لم يخرج أي هجوم كبير من هناك ولا حتى في السنوات المضطربة لـ "الربيع العربي". وكأن يدًا مفقودة تمنع الهجمات الإرهابية، وتحول نهر الأردن إلى حدود سلام، ودعونا لا ننسى أنه في الستينيات والسبعينيات كانت نقطة الغليان، لقد

تم قصفنا ومهاجمة مستوطناتنا بوحشية في غور الأردن وكانت المملكة الهاشمية على وشك الانهيار بسبب عرفات.

إذا أخذت طائرة خفيفة وقد فعلت ذلك عدة مرات وأقلعت، تحوم فوق الضفة الغربية، تعبر نهر الأردن، تصعد باتجاه عمان، سترى في الأسفل منطقة ضخمة، قاحلة جزئيًا، كلاسيكية للهجمات الإرهابية في السنوات اللاحقة، كانت أيضًا نقطة انطلاق لجيوش تحالف عربي معاد يهدف إلى تدمير دولة إسرائيل، الجبهة الشرقية المزعومة.

ذكرت في محادثة أخرى الفكرة التي ظهرت في إسرائيل حينها عن الوطن البديل، الأردن هو فلسطين، إذا أراد الفلسطينيون دولة فلنمنحهم الأردن كبديل، لماذا يحتاجون الضفة الغربية؟ فليأخذوا الأردن.

هذا هراء من الدرجة الأولى لأنه لا يوجد فلسطيني واحد يوافق على التنازل عن فلسطين كوطن له، لكن هذه الفكرة كانت سائدة للغاية في الخطاب العام. وتلقى الأردنيون الأمر ببالغ الشدة واعتقدوا أن هناك دوائر قوية في إسرائيل تريد إسقاط المملكة الهاشمية، ولكن بفضل العمل الهام جدا في وزارة الدفاع وحتى

قبل ذلك في القوات المسلحة وفي نظام الدفاع بشكل عام تم تأسيس علاقة ثقة استثنائية.

بالمناسبة، نسيت أن أذكر جسر اللبني أو جسر الملك حسين، الذي يعبره مليوني شخص في السنة لماذا مليوني؟ لأنه غير قادر على المزيد إذا قاموا بتوسيعه فسوف يعبره أربعة ملايين كل عام، أي أن هناك نوعًا من الواحة المزدهرة ويبدو أنها خيالية.

لكن الملك حسين كان تحت ضغط من فكرة وطن بديل وشعر بالعزلة، ولذلك انضم إلى صدام حسين في حرب الخليج الأولى، وكانت جميع الدول العربية في التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة -مصر والسعودية وحتى سوريا -ولم يرافق صدام سوى ملك الأردن بالنسبة لي كانت صدمة مدى الحياة. فجأة رأيت الأردنيين أصبحوا أعداء لنا كانت هناك طائرات عراقية على أراضيها مطلية بألوان سلاح الجو الأردني حتى أنهم صوروا المفاعل في ديمونا فجأة أصبح الأردن حدود العراق.

بعد التعاون مع صدام، كانت هناك مناقشات في إسرائيل حول كيفية الرد على سلوك الملك، لطالما كنت أنتمي إلى أولئك الذين اعتقدوا أنه لا يوجد بديل للوضع الراهن في الأردن، لحسن الحظ

رئيس الوزراء آنذاك "إسحاق شامير" الذي فهم الوضع التاريخي الاستراتيجي عكس صورته فقد قرر ترك الوضع على حاله، رغم أن تعاون الملك حسين مع صدام حسين كان استفزازًا في إسرائيل، لكن هذه هي حكمة رجال الدولة حدد أولويات المصالح وانظر أين توجد المصلحة الأمنية والتي تعادل إنقاذ الأرواح البشرية، حين يمكنني إنقاذ الأرواح البشرية في اتصالات سرية وخفية وبعلاقات ثقة واسعة وعميقة هناك اتواجد. لأنه في النهاية أهمية الأردن الاستراتيجية بالنسبة لإسرائيل لا تقدر بثمن، حيث يمكننا ضمان السلام على هذه الحدود المعقدة، ومنع فتح جبهة شرقية وإحباط الإرهاب من خلال العلاقات الأمنية الواسعة التي نحافظ عليها مع المملكة، وهكذا على سبيل المثال فقد أفادت الصحافة الأجنبية أنهم تلقوا منا مروحيات كوبرا.

يجب تقليل مساحات الاحتكاك مع لاعبين آخرين في الشرق الأوسط بمثابة ضوء لخطواتنا، يجب ألا نذهب إلى حروب غير ضرورية حروب اختيارية، كما حدث لنا في عام ١٩٨٢ -تحدثنا عنها مطولاً- ونحتاج إلى معرفة التهديد الرئيسي، والآن خاصة في ظل ما يحدث في سوريا لدينا فرصة تاريخية لتطوير نوع من الأخوة والتعاون مع جيراننا، على الأقل في المجال الأمني، بناءً على

التهديدات المشتركة وقدراتنا التكنولوجية والاستخباراتية. في هذا الصدد، يمكن للأردن أن يكون نموذجًا لكل العالم العربي المعتدل.

طبعا هذا لا يمكن أن يكون بدون مصر زعيمة العالم العربي، هناك زعماء دينيون شيخ الأزهـر على سبيل المثال إذا بدأوا بالتحريض ضدنا فسيكون ذلك كارثة مصر، هي عمود النار، لكن الأردن أيضًا ركيزة أساسية في حماية مصالح إسرائيل الأمنية، والسياسية في المنطقة، بقدر ما نبحر في أهمية الأردن فإنها ستكون فقط قمة جبل الجليد.

ما هي بالضبط العلاقة اليومية بين إسرائيل والأردن من ناحية نظام الأمن؟

في بادئ الأمر يمكنك إجراء محادثة معهم حول القضايا المهمة والحساسة، وأنا لا أتحدث عن السياسة، فهم لم يتعاملوا قط مع مستوى الأجهزة الأمنية في قضايا مثل "جبل الهيكل"، ووضع القدس، لكنهم تعاملوا مع الالتزامات اليومية لاتفاقية السلام والتعامل مع حوادث تبدو صغيرة يمكن أن تتدهور. ذات مرة كان كل شيء مصدر توتر أتذكر على سبيل المثال أن حريقًا ضخمًا اندلع في إسرائيل بالقرب من الحدود وانتقل إلى الجانب الأردني.

وسرعان ما بدأت الاتهامات بأن ذلك تم عن قصد للإضرار بالأجزاء الأردنية، وحرق حقولهم كان هناك عداء رهيب لقد ولت كل هذه الأشياء اليوم، كنت رئيس لجنة الحدود الإسرائيلية الأردنية الهيئة التي تعاملت مع كل مشكلة على الحدود صغيرة وكبيرة من التأخير في عبور الجسر البشري إلى الذئاب التي تفترس الماشية، كنا نجلس لدينا مرة ومرة لديهم.

في البداية كان هناك الكثير من التوترات وتبادل الاتهامات، لكن بمرور الوقت وصلنا إلى النقطة التي تم فيها حل جميع المشكلات بسلاسة، لدرجة أنني كنت أقول لهم مازحا بالطبع: دعونا نخترع المشاكل حتى نتمكن من إقرار حل، لقد أثلج هذا صدري، والأهم من ذلك أنه ساعد كثيرًا على استقرار الحدود.

ومع ذلك لا يزال هناك مستوى سياسي، وهناك نظام سياسي، بالنسبة للسياسيين فإن الاعتبار الأساسي ليس دائمًا تهدئة المنطقة.

لقد توصلت إلى استنتاج مفاده أنه من المستحيل خلق تكامل بين النظام السياسي والأمني هنا، وأن هذين النظامين بحاجة إلى الفصل. من الواضح أن رئيس الوزراء له أعلى سلطة ويمكنه تغيير الأمور، لكن طالما أنهما يعملان بشكل جيد على المستوى المهني،

أي مؤسسة الأمن والجيش الإسرائيلي أمام المستفيدين من الطرف الآخر فلا داعي للتدخل السياسي. وبالفعل لم يتدخلوا فقد أدرك القادة على الأقل في وقتي أهمية العلاقات الأمنية كبديل للمواجهات والإرهاب والجبهة الشرقية، كل ذلك بدافع حسن النية والاستعداد للتعاون وخاصة المصالح المشتركة، كل جانب يفوز بشكل عام، أنا أؤمن دائمًا بالمصلحة المشتركة، وليس بالنعمة، نحن لا نقدم لهم أي معروف ولا هم يقدمون لنا أي معروف، عندها فقط يمكن أن تعمل حقًا.

جبل الهيكل ما هو الوضع هناك وكيف يتم التعامل معه؟

الحرم القدسي هو موضوع طالما نبذته مؤسسة الأمن لأنه في الحقيقة تابع للسلطة الوحيدة للنظام السياسي، ومشاركتك كقيادة مهنية يمكن أن تضر، هذا الرأي الذي أعبر عنه، وبالطبع قابل للنقاش، لأنك إذا سألت في وزارة الخارجية فمن المحتمل أن يقولوا لك: نحن نظام واحد. ولديهم ادعاءات قاسية ضد مؤسسة الأمن على الأقل كان لديهم في الماضي مزاعم تبدو مبررة في تحليل موضوعي على ما يبدو.

مثل ماذا؟

على سبيل المثال أن تعمل مؤسسة الأمن كأنها مستقلة، لا تتبع وزارة الخارجية وما في حكمها، هذا صحيح من الناحية النظرية، لكنني توصلت إلى استنتاج مفاده أن مؤسسة الأمن يمكن أن تجلب الأمن ليس فقط بسبب قوتها وردعها وقدرات جهاز الأمن العام والاستخبارات العسكرية، هذا رصيد هائل، ولكن أيضًا بسبب هوية المصالح مع القوى العربية المعتدلة في المنطقة. حيث يمكن لنظام الأمان أن يحفظ لنا الدماء سواء من حيث الدم أو من حيث الموارد، وعندما أرى الهدوء الذي تم الحفاظ عليه لسنوات عديدة على الحدود مع الأردن فإنني أعزو ذلك الفضل بشكل أساسي الى مؤسسة الأمن، أنا لا أتحدث عن نفسي، لكن أولاً وقبل كل شيء عن كبار قادة الجيش الإسرائيلي؛ رئيس الأركان الحالي، ورؤساء السندات الذين أصبحوا فيما بعد قادة القوات الجوية. بشكل عام لطالما أعجبت بأولئك الذين أقاموا هذه العلاقة الرائعة مع الأردن، لحسن الحظ، كان لدي امتياز وربما حتى الحظ لكوني جزءًا منه.

كيف تفسر أننا تمكنا من الوصول إلى مثل هذه العلاقة المميزة مع الأردن؟ وبعد كل شيء ظلت دولة معادية لعقود.

إن الأردن نتيجة غير عادية للجودة البريطانية المذهلة، انظر إلى الملك عبد الله حقًا أسعد في كل اتصالاتي معهم هم رمز الجودة

والتفكير التحليلي والمنطقي، وقد تلاشى عداءهم لإسرائيل إلى حد كبير بسبب التهديدات المشتركة، وهناك أيضا موضوع الاستقرار الأردن بلد مستقر للغاية رغم كل النبوءات السوداء في أوائل الخمسينيات، عندما توج الملك حسين اعتقدوا أنها مسألة وقت فقط قبل اغتياله وسقوط المملكة، تم التنبؤ له بألف طريقة وفاة مختلفة ومتغيرة، في الواقع مات في النهاية لكن متى؟ بعد ٥٠ عاما، حكم هذا الرجل لما يقرب من نصف قرن بالصعود والهبوط والحروب، ورثها ابنه وهو أيضًا يجلس على الكرسي منذ ٢٠ عامًا والآن يعد ابنه الذي سمي على اسم الملك حسين لمواصلة الحكم.

ليس من قبيل المصادفة أن جميع البيوت الملكية العربية نجت من الربيع العربي، الأردن، والمملكة العربية السعودية، والمغرب لماذا؟

لأنهم يعتمدون على تقليد ديني، فهم يرون أنفسهم من نسل النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] ويستمدون قوتهم من القبائل والعشائر الكبيرة، التقاليد في الشرق الأوسط هي مصدر قوة ولذا أنا شخصياً قد يبدو الأمر لي صادمًا ومعارضًا لإرساء الديمقراطية في الدول العربية، هذه دراسة رائعة لكنني أعتقد أن توماس جيفرسون[1]أحد

(١) وماس جفرسون (١٧٤٣ -١٨٢٦): هو أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة، والكاتب الرئيسي إعلان الاستقلال عام ١٧٧٦، وثالث رئيس =

آباء الديمقراطية الغربية لم ينجح أن يُنتخب لتاج أصغر قرية.

هذا الاستقرار رصيد كبير لإسرائيل وعلى إسرائيل تشجيعه لأن الاستقرار ينقذ الدم والمال. وهذا يرتبط بالفكرة السخيفة القائلة: الأردن هي فلسطين. والتي ما زال بعض الإسرائيليين يعتقدون أنها الحل، أنا أتحدث عن "جاي بيكور" وآخرين، إنها ليست مجرد حماقة، بل هي أيضًا خطر على الأرواح، ولها القدرة على إراقة دماء مروعة، وإرهاب، وعنف، هذا من أفظع الأشياء التي يمكن أن تحدث لنا. لأنه إذا سقط الأردن فسوف نغرق هنا بالإرهاب الشديد والهجمات الإرهابية التي لم نكن نعلم بوجودها، لكنه ليس مجرد إرهاب، الأردنيون أفشلوا إمكانية إقامة جبهة شرقية على حدودنا، أذكرك أنه في زمن صدام حسين عندما تعاون الأردنيون معه كان لدينا جبهة بأسلحة نووية على الطريق، وبأسلحة بيولوجية وكيماوية، وجيش ضخم، هذه احتمالية خطيرة لا يفهمها الجمهور ولا يريد أن يفهمها.

اليوم أنتم ننظر شرقاً ولدينا تنسيق أمني مع السلطة الفلسطينية، لدينا الجيش الأردني لقد تغير الواقع على حدودنا الأمنية الشرقية

= للولايات المتحدة (١٨٠١-١٨٠٩)، نادى بمبادئ الجمهورية وحقوق الإنسان، وكان له تأثير عالمي. في مطلع الثورة الأمريكية.

بشكل كبير. فالجيش الأردني الذي أصاب رئيس وزرائنا السابق "أرييل شارون" في "اللطرون" وهو في طريقه إلى القدس، اليوم لا يقوم بأي برنامج ضدنا، إنها دولة معقدة للغاية، ولكن حتى في ذروة الربيع العربي، وفي ذروة الإرهاب الداعشي، وفي ذروة العمليات الرهيبة والأشياء الفظيعة التي حدثت في الشرق الأوسط، وخلافًا لتقدير العديد من الخبراء حافظ الأردن على الاستقرار.

لا نقدر بما فيه الكفاية الأشياء الجيدة التي حدثت لنا بسبب علاقة الثقة مع الأردن، وبسبب مصالحنا المشتركة من السهل جدًا فقدان الثقة، ويجب القيام بكل شيء لإبقائها على أهبة الاستعداد. حدث ذلك في حادث الحارس الأمني بالسفارة عام ٢٠١٧، كان هناك ضرر بالغ للثقة بين إسرائيل والأردن.

كانت حادثة السفارة إثم ليس لدي كلمة أخرى، هذه الأزمة لا ينبغي أن تحدث، أنا لا أتطرق إلى قضية حارس الأمن سواء كان على ما يرام أم لا، لأنني لا أعرف، وهي أيضًا غير مهمة في هذا الشأن لكن عندما حرص مكتب رئيس الوزراء على نشر صور لقاء "نتنياهو" مع المجزرة، وتقديمه كبطل أضر ذلك بالأردنيين، لا ينبغي أن يكون هناك مثل هذه الإهانة لهم لم تكن هناك حاجة للوصول إلى تصادم غير ضروري معهم، يجب دائمًا اتباع سياسة

متماسكة لها هدف استراتيجي، والهدف الاستراتيجي في الأردن هو الأمن، الثقة تستحق الكثير سأذهب نحو الأردنيين في كل شيء طالما استمر التعاون الأمني لحماية الحدود.

في النهاية تعتبر العلاقات مع الأردن قصة نجاح تلهم المزيد من الدول العربية أي الدول العربية السنية، حتى تلك التي ليس لنا معها علاقات دبلوماسية أو اتفاقية سلام مثل التي لدينا مع الأردن ومصر لا يعتبروننا أعداء، يروننا كجزء من الجدار العظيم أمام طهران.

يستحيل الحديث عن الأردن دون ذكر اتفاقية لندن أين كنت حينذاك؟ ماذا كان دورك؟

كنت حينها في مكتب رئيس الـوزراء مساعد استخبارات السكرتير العسكري لرئيس الوزراء، لن أنسى هذا الحدث بادئ الأمر من ناحية الجانب الملتهب وصل "بيريز" الى مكتب "شامير" مع "يوسي بيلين"[1] لعرض الاتفاق على رئيس الوزراء، ولم تكن الاتفاقية سارية المفعول بعد، لأن الحكومة كان عليها الموافقة عليها، وأظهروا الاحتفاظ بمسودة الاتفاقية لكنهم لم يكونوا

(١) يوسف (يوسي) بيلن (١٩٤٨): بالعبرية: יוסף (יוסי) בייליין هو أحد كبار رجال الدولة في إسرائيل، شغل عدة مناصب وزارية وقيادية في الحكومة الإسرائيلية وفي الكنيست. وكان جزءاً كبيراً من حياته السياسية في حزب العمل الإسرائيلي

مستعدين لترك نسخة من الوثيقة نفسها بزعم أنها سرية، لقد شاهدت ذلك بنفسي حتى بالنسبة لي أظهروا الاتفاق لكن ليس لرئيس الوزراء، لقد وثقوا بي لعدة أسباب قلت لهم: أعطوه لرئيس الوزراء لكنهم رفضوا.

الآن بالإضافة إلى حقيقة أن "شامير" كان رئيسًا للوزراء فقد كان أيضًا أحد أكثر الأشخاص الذين قابلتهم تكتمًا، هذا شخص لا يفكر حتى في اسمه الكامل على الهاتف حتى يتم الكشف عنه، وكأنه لا يزال من رجال مقاتلي الحرية الإسرائيليين أو رجل الموساد، كان يستخدم ألقاب تخفي هويته لن يفتح فمه أبدًا في حياته يمكنك أن تثق به تمامًا.

أخطأ "بيريس" و"بيلين" في عقد السلام مع شامير، لم يفهموا الفرق بين الشخص السلبي والشخص الضعيف، يمكنك أن تكون رئيس وزراء سلبيًا شخصًا لا يشرع في برامج السياسة طوال اليوم، لكن هذا لا يعني أنك ضعيف، "شامير" لم يكن ضعيفا، من كان رئيسا لمقاتلي الحرية الإسرائيليين لا يمكن أن يكون ضعيفًا، كان يؤمن بإسرائيل القوية التي تصمد وتقاوم هذا، إلى جانب أنه كان رئيسًا للوزراء مطّلعًا على كل أسرار الدولة، إذاً ألا تظهر له الصفقة بزعم أنها حساسة؟ لن يمر مرور الكرام لقد أهانوا "شامير"،

والأسوأ من ذلك كله ما سمعته حينها فقد وعدوا الملك حسين أنه إذا لم يمرر "شامير" الاتفاق في الحكومة فإن "بيريز" سيستقيل.

هل قالوا لحسين أن بيريز سيستقيل إذا لم يمرر هذا؟

نعم. كانت حكومة تكافؤ كان بإمكان "شامير" منع التصديق على الاتفاقية، وقال بيريز للأردنيين إنه إذا حدث ذلك فسوف يستقيل، إنها إهانة بالفعل "لشامير" ولا يمكنك الاستغناء عن "شامير" فهو رئيس الوزراء، إذا كنت تعتقد أنه لا يمكنك نقل الاتفاقية معه فلا تعقد هذه الاتفاقية مسبقًا.

أدت هذه القصة في رأيي إلى أزمة ثقة حادة مع الأردن رغم أنني لا أستطيع إثبات الصلة، في ٣١ يوليو ١٩٨٨ أعلن الملك علناً عن فك ارتباط إداري وقانوني عن الضفة الغربية منهيًا بذلك احتمال أن تحكم المملكة الهاشمية الضفة الغربية، لأننا نسير في طريق لا يؤدي إلى حل الدولتين، بل إلى واقع ثنائي القومية هذا في نظري كابوس.

لنعد للحظة للقاء بين شامير وبين بيريز وبيلين ماذا فعل شامير بعد مغادرتهم الاجتماع؟

كلمته، أعلم أنه كان غاضبًا للغاية وفي الواقع قال: لا للاتفاق لم يتحدث كثيرا، قال: لا، وهذا كل شيء، وتهديد "بيريز" لم

يتحقق حيث بقي في الحكومة. وبالمناسبة فقد أراد "بيريز" أيضًا تجنيد وزير الخارجية الأمريكي "جورج شولتز" لبيع الاتفاقية إلى "شامير"، لكن "شولتز" كان محترما رفض بالطبع، أنا أعلم ذلك، أنا أعرف وأود أن أؤكد مرة أخرى لأنه راسخ في أذهاننا أن الأردن حيوي للغاية لأمننا القومي، صحيح أن هناك دائما شكاوى من أنه لا يوجد ثمار اقتصادية للسلام مع الأردن، وهذا يحزنني، ولكن يجب عمل كل شيء للحفاظ على استقرار هذه المملكة وازدهارها وضمان استمرار وجودها، وإن كنا سبّبنا لهم الإهانة كما كان بعد حادثة حارس الأمن لنتحمل الغرامة ونحلها.

أعلم أن هذا ليس بالأمر السهل في الواقع الحالي، وأخشى أن يؤثر تدهور العلاقات مع الفلسطينيين، وتدهور العنف على علاقاتنا مع الأردن، هذا شيء يجب أخذه في الاعتبار.

ونقطة مهمة أخرى أشرت إليها في سياقات أخرى، وهي أيضا وثيقة الصلة بالعلاقات مع الأردن؛ هي المسألة الثقافية عندما تعمل مع العرب عليك أن تبدأ من فرضية أن لديهم ثقافة لا تقل جودة عن ثقافتك، عليك أن تحترمها، أنت بحاجة إلى تقديرها، عليك أن تصلي من أجل سلامتها كل يوم حتى يتم الحفاظ على سلامتك، مثل هذا تمامًا.

الفصل الثالث

إيران أكبر التهديدات على إسرائيل

متى كانت المرة الأولى التي تعرضت فيها للقضية الإيرانية؟ أرغب سماع قصتك الشخصية في هده المسألة.

انظر، قبل عام من اندلاع الثورة....

هل تقصد عام ١٩٧٨؟

شيء من هذا القبيل نعم، كنا مازلنا في ظل فترة حكم "الشاه" النازية، طرأ على بالي وقتها أن أخلق علاقة وطيدة بهم، أن أتواجد هناك وأن اشتغل في جميع المهام المختلفة، تلك المهام التي لا أستطيع حتى اليوم التحدث عنها، والافصاح بها لكنني في نهاية الأمر تعلمت كيف أتعرف عليهم.

ماذا تقصد بقولك «كنت هناك»؟ كيف وصلت إلى إيران؟

أُرسِلتُ لإيران ضمن إطار العمل الأمني الذي كنت تابعا له.

ماذا كنت وقتها؟ وأي رتبة عسكرية كنت تحمل؟

كنت برتبة رائد. ولكن لحسن حظي دائمًا وأبدًا لم تكن الرتب العسكرية التي تدرجتها لها علاقة بما أُتِيح لي فعله في إيران.

صحيح، لماذا أُرسلت لإيران؟

لا يُمكنني التحدث عن هذا الأمر.

حتى اليوم لا يُمكنك التحدث؟ حتى بعد مرور أربعون عاما؟

نعم.

حقا؟

حقا، ولكن هذا لا يُحدث فارقا كبيرا، إذا تطلب الأمر وتحدثت، فالأمر الأهم في ذلك هو أن الفرصة سنحت لي وتعرفت فيها عليهم، ووجدت شخصيات همجية لا مثيل لها، كانت تنتابني السعادة في تلك الأوقات كونهم أصدقاء لنا وليسوا أعداءنا، إنهم أُناس ماكرون محنكون، لديهم القدرة على إنكار حقيقة أن الشمس تشرق صباح كل يوم، وأنت سوف تقتنع بذلك، إنهم يعلمون ما يريدون فعله بالضبط، إنهم أشرار، وفاسدون جدا، هكذا كانوا، وكذلك هم الآن، لكن الفارق اليوم أنهم يقفون في الجانب غير الصحيح، كان لدي شعور بأن شيء ما مريب سوف يحدث هناك، لكن لم تكن لدي معلومات كافية لأفهم ما هو هذا الشيء المريب، حينما سقطوا في الثورة فهمت أشياء كثيرة حدثت في الماضي لم أجد وقتها تفسيرًا لها، بعد ذلك رأيت كيف بدأوا الدخول إلى لبنان،

بعد حرب ١٩٨٢ صدرت وثيقة، أتذكر حينما كتبتها حول بروز الوزن السياسي للشيعة في لبنان.

من المهم التوضيح أن الشيعة كانوا أكثر طائفة دينية في إيران مضطهدة ومحتقرة، فقراء معدمون كان "عماد مغنية"[١] المعروف الذي كان يشغل آنذاك قائد الذراع العسكري لحزب الله كان في بداية طريقه، مجرد حارس يعمل فيما كانت تمثل أكبر قوة في لبنان آنذاك، كان "مغنية" يقود نظاما عسكريا هناك، كما رأيت كيف تغير ذلك؟ كيف استطاع الإيرانيون شيئا فشيئا تحويل الطائفة الشيعية إلى قوة سياسية جوهرية تعمل تحت إمرتهم.

لاحقا ظَهَرتُ للإيرانيينَ أكثر وأكثر عن طريق عملي، وبدوا لي كقوة مخيفة جدا، أيامها حينما عُيّنت رئيس لواء البحث بشعبة الاستخبارات الإسرائيلية، طُلب مني عرض خلال ثلاثة أيام تقدير الاستخبارات الإسرائيلية السنوي، كما قال لي العميد "يعقوب عميدور"[٢] الذي تسلمت بعده المنصب أن فترة التدريب المقرر

(١) عماد مغنية (١٩٦٢ -٢٠٠٨): هو أحد أهم القيادات العسكريين لحزب الله، أنضم لحركة فتح في بداية حياته، اغتيل في دمشق عام ٢٠٠٨.

(٢) يعقوب عميدرور: هو مستشار الأمن القومي الإسرائيلي من ١٠ مارس ٢٠١١ في حكومة بنيامين نتانياهو.

اجراؤها بينهما للتسليم والتسلم قد تقلصت من ثلاثة أشهر إلى ثلاثة أيام، وأعطاني كتابا كان قد أعدّهُ يشمل مسودة تقدير الاستخبارات الإسرائيلية للموقف.

كان ذلك في عام ١٩٩٦؟

صحيح.

كان رئيس الحكومة وقتها بنيامين نتنياهو؟

نعم وقلت لنفسي رئيس الحكومة هذا ماذا سأعرض هنا؟ كنت في وضع مُحرج، ولم أستطع الاستعداد كلية، لم يكن لدي الوقت الكافي لذلك. رد قائلا: قلت لك ليس أمامك سوى ثلاثة أيام فقط لكي تُعد تقريرًا استخباراتيا سنويا، هذا عمل شاق يتم الإعداد له وتجهيزه على مدار عدة أشهر، قرأت بتدقيق ما كتبه "عميدور" بالاستناد إلى عمل التقرير التابع لشعبة الاستخبارات الإسرائيلية. لقد كتب تقريرا استخباراتيا عظيما لكن منذ لحظة تسلمي منصب رئيس لواء الأبحاث، وكنت مضطرا أن اتحمل مسؤولية كل كلمة تخرج من هنا، كما يتوجب على أن أُضفي بصمة مثلما يفعل من يرأس مثل هذا المنصب، حتى وإن لم يكن أمامي وقتا سوى ثلاثة أيام وهذا ما فعلت.

وما أن جاء دور حديثي أثناء حضوري أمام المجلس الوزاري المصغر، قمت بعرض إيران كونها تمثل تهديدًا رئيسيًا يصل إلى حد كونه تأثيرًا يهدد بقاء إسرائيل، قمت بذلك بشكل مكثف استنادا على جميع المواقف الحياتية التي تعرضت لها، وبناءً على تدقيق في كل ما يتعلق بالإيرانيين على مدار السنوات الطويلة الماضية لم تكن إيران تمتلك في تلك الفترة صواريخ يصل مداها إلى عمق إسرائيل، ولم يكن لها مشروع نووي لم يكن لإيران أيا مما تمتلكه اليوم، كان هناك فقط التشدد الديني المخيف حيث قلت: يجب أن يتم تعريف إيران كونها تهديدًا رئيسيًا يهدد إسرائيل.

بعد ذلك اتضحت الصورة أكثر فأكثر واستمرينا في عرض التهديد الإيراني بكامل قوته، ولكن تطرقنا وقتها إلى عدة أمور أخرى منها "يهودا جيل" الذي خُصص له جزءا منفصلا للحديث عنه، والهجمات الاستشهادية من عرفات وإلى أين وصل السلام إلى أين لقد تغير كل شيء، لقد كانت فترة صعبة، يزعم كل واحد أن الفترة التي تقلد فيها مقاليد المنصب كانت من أصعب الفترات التي عاصروها.

لكنني أُفرق بين التهديدات التي تُعتبر حقيقية لأمن إسرائيل ووقتها يكون احساس قيادات المستوى الأمني عال وبين

التهديدات المستقبلية، أو تطورات الأحداث طويلة المدى وقتها تبدأ بكتابة التقارير وتُعطي تحليلها لكن ذلك لا يُهم الإسرائيليون الذين يعيشون هنا في هدوء، وبعد مرور عدة أشهر أُتيح لي صدفة أن ألتقي برئيس الوزراء في الولايات المتحدة، حيث كان يجري وقتها زيارة للولايات المتحدة الأمريكية، وكنت أنا في طريقي للحديث عن القضية الإيرانية مع جماعة الاستخبارات الأمريكي، ووقتها أرسل "نتنياهو" في طلبي.

بالطبع استجبت لطلبه وقال لي: اسمع، لقد اقتنعت أن إيران هي التهديد الرئيسي الذي تواجهه إسرائيل تقديرك لهذا الأمر كان في محله، من الآن فصاعدا كلما استطعت أن استغل وقتي وقوتي حتى أحبط هذا التهديد الإيراني. وحقا منذ تلك اللحظة وهو يضع القضية الإيرانية على رأس أولويات جدول أعماله، حيث يتم الحديث عن إيران في كل جلسة للمجلس الوزاري المصغر، لذلك فإن قناعاتي أيضا اليوم أن أي تعامل يقوم به "نتنياهو" ضد التهديد الإيراني هو حقيقي وصريح.

يجب الإشارة هنا إلى أن المحاولة الأولى لإطلاق صاروخ شهاب قد أجريت فقط في منتصف عام ١٩٩٨، ومرت منذ ذلك الحين عدة سنوات حتى أصبح الصاروخ عملياتي، لكن في السنوات

١٩٩٦ و١٩٩٧ كان من الواضح لنا أن الإيرانيين سوف يُقيمون سلاح صواريخ، إنهم يعلمون بقوة كبيرة ودائما ما يُفاجئونك إنهم يعلمون جيدا كيف يمكن سرقة المعلومات، إنهم يعلمون كيف يمكنهم استخدام الهندسة العكسية، كما أن النظام الإيراني يأججون ذلك ويُخصصون له كل المصادر الممكنة، ذلك نابع من نفس الأيدولوجية المتطرفة التي تحدثنا عليها سابقا.

نحن هنا أمام درس مهم؛ وهو حينما تكشف عن تهديد، أو قدرة، يجب عليك معالجتها حينما يكون الأمر في بدايته، ولكن حينما تكون التهديدات أو القدرة كبيرة هذا يكون قد تأخر الوقت لمواجهتها. لو قررننا الحديث عما فعلناه على طول السنين لمواجهة التهديد الإيراني لن ينتهي الحديث وسنحتاج إلى المزيد من الوقت، ولكن في مجمل الأمر لقد كنا نحن الإسرائيليون مصممون على عرض خطر التهديد، وأُجريت عددا لا نهائيا من النقاشات حول تلك القضية بين كل من المجلس الـوزاري المصغر والجيش وشعبة الاستخبارات الإسرائيلية، وظلت الحقيقة أن رئيس الوزراء "نتنياهو" قد اقتنع سريعا جدا بأن إيران هي التهديد الرئيسي على إسرائيل.

قام رئيس شعبة الاستخبارات الإسرائيلية بتولي القضية في مراحلها الأولى، حيث لم تكن تحظى القضية بموافقة جماعة الاستخبارات الإسرائيلية، كما وجدت جماعة الاستخبارات الأمريكية صعوبة في تقبل التقدير الإسرائيلي بأن إيران تمثل التهديد الرئيسي على إسرائيل، ظل الأمر كذلك حتى وصل "مائير داغان" وأوجد نقطة تحول عظيمة منذ أن تولى "داغان" منصب رئيس الموساد الإسرائيلي، في عام ٢٠٠٢، ووضع هو ورئيس الوزراء "شارون" القضية الإيرانية على رأس أولويات الموساد. إن جهاز الموساد الإسرائيلي بمثابة كتلة قوية وهامة، لذلك أصبح الأمر دلالة كبيرة ليس على المستوى الاستخباراتي والعملياتي فقط، بل على مستوى الوعي الفكري أيضا.

وما أن عُيّن "داغان" رئيسا لجهاز الموساد وسمعت هذا الكلام يتردد من "داغان" ورئيس الوزراء "شارون" أنه من الآن فصاعدا سيتم التعامل مع التهديد الإيراني كونه قضية محورية، يجب الانشغال بها.

إيران وحزب الله، إنني لا أرغب في معرفة ما الذي سوف يحدث في إيطاليا بعد انتهاء فترة ولاية "برلوسكوني"، إنني أرغب في معرفة ما الذي يحدث بشأن القضية الإيرانية. وفي أعقاب ذلك،

تسبب "داغان" في إقالة مائتي باحث يرى من وجهة نظره أنهم كانوا يعملون على موضوعات غير وثيقة الصلة، كما عرّف القضية الإيرانية برمز أخبار حيوية.

ليس فقط لجهاز الموساد إنما أيضا لكم جهاز الاستخبارات أليس كذلك؟

بشكل لا يقبل التأويل، ولكن كما أشرت سابقا فإن شعبة الاستخبارات العسكرية كانت منشغلة بذلك منذ عدة أشهر ماضية، كانت نقطة التحول الكبيرة والهامة هي تعامل جهاز الموساد مع التهديد الإيراني. كان لذلك الأمر جوانب إيجابية وسلبية كان "مائير داغان" الذي لم أكن موضوعيا تجاهه، لأنني أكن له تقديرا وحبا كبيرا، شخصا فريدًا من نوعه، ولكنه كان أيضا يؤدي مهامه بصورة متطرفة، على ذكر ذلك لقد تنصل "داغان" من الترتيب الوظيفي الذي يجب وفقا له أن تكون شعبة الاستخبارات العسكرية هي المسئولة عن الأخبار الحيوية القومية. إذ يرى من وجهة نظره أن التهديد الوحيد أمامه هو فقط التهديد الإيراني، لم يكن ذلك يُعني أنهم لم ينشغلوا بأمور أخرى، لكن القضية الإيرانية كانت تمثل أكثر الموضوعات التي تشغل بالهم، وما حدث حقا أن "داغان" استمات من أجل تلك القضية، وقام بأفعال عظيمة، لكنه أيضا كان

على استعداد أن يُهمل موضوعات أخرى في سبيل القضية الإيرانية، ولكن لا يُمكنك إهمال مجالات كاملة، فدائما ما تجد أمامك مفاجآت، ودائما ما تأتي المفاجآت من الأماكن التي تهملها.

دار في عام ٢٠١٠ نقاش حول شن هجوم على إيران وكان ذلك في بداية الأمر يدور في الغرف المغلقة، وبعد ذلك أصبح نقاش شعبي ماذا يمكنك قوله لنا في هذا الأمر؟

قبل الخوض في ذلك، يستلزم الأمر القول أنه كانت هناك ثمة أزمة في القيادة، إنني لا أقول ذلك الآن كوني أتحدث مع صحفي، ولكنني أقول ذلك بصفتي من عمل طوال حياته لخدمة إسرائيل والأجهزة الأمنية، ليس من الممكن أن يتحول موضوع حساس جدا وسري إلى رأي عام على أساس تسريبات خطيرة وغير مسؤولة، ليس من الممكن أن القدرات الإسرائيلية كانت ومازالت، أو عدم القدرة الإسرائيلية كانت ولازالت تتحول لموضوع يتم تناوله والحديث عنه بين أزقة أماكن العمل، التصور الرادع هو أحد العناصر الهامة جدا التي تُشكل الأمن القومي لإسرائيل، بعبارات بسيطة أنه بفضل تصور إسرائيل كونها قوة عسكرية وأمنية كبيرة هو تصور عظيم، نحن نستطيع أن نحيا في هدوء أما إذا ما تقوضت هذه الصورة فسوف يتم مهاجمتنا.

إنني لا أرغب التطرق بالحديث عن قدراتنا، لكن إذا قال رئيس هيئة الأركان الإسرائيلية في النقاشات أننا غير قادرون على مهاجمة إيران، كيف يتم نشر أمر كهذا؟ هل من الطبيعي أن أموار كهذه تخرج للعلن دون رقابة؟ ما المفترض أن يفهمه الإيرانيون من ذلك؟ إذا ما كانت لديك القدرة ولم تهاجم إيران لأنك خائف منهم، فإن النتيجة واحدة أنه سيتم النظر إليك كضعيف، وهذا سيضر بأسلوب الردع الذي تعلنه أمام الإيرانيين، وإذا كانت الصورة الرادعة لإسرائيل ضعيفة في أعين الإيرانيين إذا أننا في وضع سيء جدًا، لأن ما يفصل بيننا وبين العنف الإيراني تجاهنا هو الردع فقط، أي أنهم يفهمون إذا ما هاجمونا فأنهم سيدفعون ثمنا غاليا. لكن الضرر لن يلحق فقط بصورة إسرائيل الرادعة إذا ما اتضح أن إسرائيل لديها القدرة على الهجوم، بينما يفهم الطرف الثاني ماهي القدرة التي تمتلكها، هذا من شأنه أن يشكل ضربة مدمرة، أذكرك حينما اتخذت الولايات المتحدة الامريكية إجراء جنائي ضد نائب رئيس هيئة أركان الجيش الأمريكي الجنرال "جيمس كارترايت" بتهمة الاشتباه في تسريب معلومات لصحيفة "نيويورك تايمز" حول عملية ادخال دودة الحاسوب "ستوكسنت" إلى المنشآت النووية في إيران.

تلك العملية التي نسبها وفقا لمصادرة أجنبية على إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

صحيح، هذا ما زعمته وسائل الإعلام الأجنبية عندما تكشف عن قدرتك في التعامل مع عدو أو إلحاق الضرر بمنشأة كهربائية تابعة له، وقتها يفهم العدو أن لك قدرة ويفهم ماهيتها، وبذلك يستطيع أن يسوى أوضاعه اتساقا بما لديه من معلومات، وتكون النتيجة أن هذه القدرة لم يعد لها تأثير. بخلاف قضية التسريبات هناك نقطة أخرى مهمة يجب الحديث عنها، وهي أن جميع أعضاء المنظومة العسكرية الأمنية كانوا ضد قيادات المستوى السياسي في أي دولة ديموقراطية، كما هو الحال في إسرائيل قيادات المستوى العسكري والمهني يخضع لقرارات قيادات المستوى السياسي، إذا قررت قيادات المستوى السياسي بالأخص المجلس الوزاري المصغر شن هجوم فما على الجيش إلا الهجوم. تبدو لي أن جميع سيناريوهات الرعب هذه من أن الجيش سيتمرد وضباطه ستتمرد أو أن جهاز الشباك الأمن الداخلي الإسرائيلي، وجهاز الموساد سيتمردون، تبدو عارية من الصحة وغير معقولة وغير محتملة، إن قيادات المستوى السياسي ملزم بسماع المستوى المهني-العسكري وبالتأكيد السماع لرئيس هيئة أركان الجيش، ولكن مسموح له

إعداد تقدير موقف واتخاذ سياسات مختلفة عن السياسات التي ينتهجها الجيش أو أي سياسات تتبناها منظومة أمنية وتوصي بها.

هذا هو حقه الطبيعي وأحيانا يُثبت ذلك بنفسه، انظر على حالة رئيس الوزراء "مناحيم بيجين" الذي شن هجوما على المفاعل في العراق ضاربا بتوصيات المخابرات الإسرائيلية عرض الحائط، في حالة إيران كانت هناك العديد من الاعتبارات حول لما لا نهاجمها لكن هذا لا يعني ألا يستلزم البحث عن خيار كهذا.

كانت هناك عدم ثقة بين قيادات المستوى السياسي وبين المنظومتين الأمنية والعسكرية ما رأيك حول ذلك؟

إنني أعتقد أن هذا فشل ذريع للقيادة السياسية التي شهّرت بقيادات قيادات المستوى العسكري علنا، بينما كانت قيادات هذا المستوى مطيعة لها ولم ترد. لكن هذا فقط جزء من الموضوع مثلما قلت سابقا من حق قيادات المستوى السياسي صياغة سياسات بديلة، وعدم الأخذ بتوصيات المستويات المهنية. ولكن إذا رغبت قيادات المستوى السياسي تنفيذ عملية عسكرية مهمة جدا مثل الهجوم على المنشآت النووية في إيران فإن جميع المنظومات العسكرية والأمنية تتوحد دون استثناء ضد ذلك، رئيس هيئة أركان

الجيش ورئيس الموساد ورئيس الشاباك إذ يُعد هذا قبل كل شيء بمثابة فشل للقيادات.

كيف يُمكن أن يكون ذلك؟ ألم يكن «إيهود باراك» رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي ووزير الدفاع ورئيس الوزراء، هو الخبير الأمني الكبير كيف يُمكن أن يكون ذلك أنه لم ينجح في الاقناع؟ وبشكل عام هل هو ذات نفسه كان على اقتناع؟

غير متأكد من ذلك حينما تكون على مسار درامي كهذا فإنه يتوجب عليك أن تكون على قناعة بأن قدراتك كاملة، وأيضا يجب أن تكون على قناعة بأن الأمريكيون إلى جانبك لأنه من المحتمل أن تُصادف نقصا في الوسائل، وأن تُصادف تهديدات من جانب دول عظمى مثل ذلك الوضع أو تهديدات من دول غيرها، كما يُمكن أن تُصادف أيضا صعوبات داخلية لذلك يجب أن يكون بجانبك دولة عظمى، تجد أن كل هذه الأمور منطقية ومفهومة، لكن ذلك ما لم يحدث وبدلا من ذلك صادفنا الدخول في نقاشات حادة جدا، ولأزمة ثقة كبيرة جدا، مع تشهير بالنفس بشكل صعب كل شيء مفتوح وظاهر كل ذلك والإيرانيون يرون ويسمعون كل شيء.

كيف وصلنا إلى هذا الوضع؟

كان يجب على القيادة السياسية إرساء حوار صادق مع المستوى المهني، فليس هناك بديلا لأواصر الثقة، يجب أن يكون الحب هو الذي يربط بين قيادات المستوى التنفيذي الكبيرة وقيادات المستوى الاستخباراتي الكبير وبين قيادات المستوى السياسي الكبير، بل كان يجب أن تكون الثقة بينهم جميعا.

لم أُوجه انتقادي فقط لقيادات المستوى السياسي، إلا إنني وجهت انتقادي أيضا لقيادات المستوى المهني، يجب على قيادات المستويات المهنية العالية، التي كنت جزءا منها على مدار سنين، الحفاظ حقا على الوطن بمعنى ألا نقوم بتسريب ما يرونه أو يسمعونه خلال خدمتهم تحت المستوى السياسي، كما يستلزم عليهم إخبار قيادات المستوى السياسي كل ما هم يفكرون فيه ويعتقدونه، ولكن كل هذا يجب أن يحدث خلال النقاشات الداخلية التي تدور داخل الغرف المغلقة، لأن أي نقاش إشكالي بخصوص الموضوعات ذات الحساسية العالية مثل هذه القضية يُمكن فقط مناقشته سريا، وإذا ما تم تسريب الأمور خارج الغرف المغلقة، لن يضر ذلك فقط صورة الردع لإسرائيل مثلما أوضحت سابقا إلا أن ذلك يضر أيضا بموضوعية النقاش، وفي اللحظة التي يصبح فيها النقاش علنيا تظهر اعتبارات غير وثيقة الصلة.

ومن يدفع الثمن في نهاية الأمر؟

الإنسان، الجنود فيما يخص القضية الإيرانية لم تكن فقط المشكلة أن كل شيء تم علنا، إلا أن المشكلة أيضا في تنفيذ مسارات قد أهانت من الولايات المتحدة الأمريكية أي أنها حقرت من شأن الرئيس "أوباما" وهو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

أي مسارات هذه حقرت من الرئيس أوباما؟

الزيارة التي أُجريت للولايات المتحدة الأمريكية.

هل تقصد تلك الزيارة التي أجراها رئيس الوزراء «نتنياهو»؟

نعم، لم يُنسق "نتنياهو" مع البيت الأبيض بخصوص هذه الزيارة، لقد فُرضت الزيارة عليهم، حيث تحدث "نتنياهو" مباشرة مع الكونغرس من وراء ظهر الرئيس "أوباما"، حدث ذلك أكثر من مرة، بشكل عام كان هناك تحامل كبير على نظام حكم "أوباما" الانتقاد الموجه للولايات المتحدة الأمريكية هذا أمر شرعي، إذ كنت أرى أن السياسات الأمريكية التي تتبناها تجاه إيران كانت مخيفة، لكن حينما نُعادي الولايات المتحدة الأمريكية التي تظل رغم كل شيء أكبر الدول العظمى وأقواها، هذا أمر يضر بصورة إسرائيل وبالردع الإسرائيلي في عيون الإيرانيين.

إذا هاجمت الأمريكان طوال الوقت، وتفعل ذلك في العلن، كيف يمكن بعد ذلك أن تتطلب منهم مساعدتك؟

تمتلك إسرائيل قدرات استقلالية غير عادية، لكن التأييد الأمريكي على الصعيد السياسي والأمني والاقتصادي مازال حيويا جدا. لذلك مثلما يجب أن تظل النقاشات التي تدور بين قيادات المستوى السياسي في الغرف المغلقة، يجب أيضا أن تظل النقاشات التي تُجرى مع النظام الأمريكي في الغرف المغلقة.

أمر آخر لا يُمكنك فرضه على الولايات المتحدة الأمريكية الخيار العسكر، أي أن تعمل وحدها ضد إيران لأن جموع الشعب الأمريكي سوف تتهمك بالتورط في ذلك، يعد سجل الأمريكان فيما يتعلق بالتدخل العسكري الأمريكي خلال السنوات العشر الأخيرة بدءا من التدخل في فيتنام وصولا إلى العراق، سجل سيء جدا.

حاول أن ترسم كخطط كيف ستبدو الخريطة الاستراتيجية التي تعمل فيها إسرائيل حينما تكون إيران في الوسط.

نحن نعاصر وضع نادر، نادر حقا، لم يكن وضعنا أبدا جيد في كل ما يتعلق بشعور المواطنين الإسرائيليين بالأمن، كما لم يكن الوضع الأمني جيد فيما يخص التحالفات مع الدول التي كانت

تمثل لنا أسوء الأعداء، مثل مصر، وكأننا نعاصر الربيع العربي ونقول: هناك سحب ملبدة بالغيوم قادمة، رغم أن توقعات الأخبار الجوية صعبة عكس حالة الطقس الجوي، الذي لا ناقة لنا فيه ولا جمل، نحن هنا تحديدا يُمكننا محاربة هذا.

تقصد بهذه السحب الملبدة بالغيوم التي تحدثت عنها أنها قادمة من الاتجاه الإيراني؟

نعم، بالتأكيد.

وكيف يجب مواجهة هذه التوقعات بتغيير الطقس؟

يوجد بالطبع أساليب مختلفة لمواجهة، أوصي بانتهاج الاسلوب الآتي حينما نجد أنفسنا أمام نظام حكم أيديولوجي ديني بالتحديد، أو أيديولوجي كالديني مثل النازيون رغم أنني على علم بأن الكثيرون يتأففون من هذه المقارنة وهذا النظام يردد بشكل عميق وحقيقي من وجهة نظره أنه يجب تدمير إسرائيل، ساعتها يجب أن يؤخذ الأمر بجدية وألا يتم البحث عن مبررات غربية منطقية، على ضوء ذلك أرى أن هذه المبررات واهية وليس لها سند تاريخي تستند عليه. أي أنه حينما يقول الإيرانيون أنهم يرغبون في تدمير إسرائيل يجب أن تصدق ما يقولونه، وأن تتعامل معه بجدية كبيرة، إني

أقول هذا الكلام بصفتي متعرض للقضية الإيرانية لسنوات عديدة، وأيضا بصفتي من يعرض تقديره للأمور منذ أكثر من ٢٠ عامًا مضى كما ذكرت سابقا.

حظي هذا الاسلوب بانتقاد كبير يقول الناس لا تنجر وراء الحرب لا يجب فعل ذلك، لقد جاء شخص ما إلى وقال لما لا نتحدث مع إيران؟ أجبته قائلا حتى تتزوج يجب أن يكون في المعادلة زوج ما يمكن أن يكون زوج من نفس النوع أو من النوع الآخر، لكن يجب أن يكون هناك زوج، الإيرانيون غير مستعدون للاعتراف بنا كزوج لأي شيء لا الإيرانيون مستعدون ولا حماس، ربما لديهم الاستعداد للاعتراف، ربما لديهم الاستعداد للاعتراف بنا كأقلية دينية يُمكن أن تعيش داخل دولة فلسطينية مسلمة، تمتد حدود هذه الدولة من البحر إلى الأردن، لكنهم يروا من وجهة نظرهم ليس لدولة إسرائيل حق الوجود ولا وفقا لحدود ٦٧ ولا وفقا لأي حدود أخرى، كما أشرت سابقا نحن نتحدث عن أيدولوجية دينية لا يُمكن تقويضها.

كما إن الإيرانيين لا يخفون هذه الأيدولوجية، بل يعبرون عنها على رؤوس الأشهاد، وهم يقصدون ذلك، لذلك حتى يتم مواجهة

هذا التهديد وكبحه يجب قبل أي شيء الاعتراف بأنه قائم وموجود. يتكون هذا التهديد من عدة طبقات؛

أولها: الإصرار الإيراني للوصول إلى امتلاك القدرة النووية العسكرية الاستراتيجية، أو على الأقل امتلاك الخيار النووي الذي يقرروا من خلاله متى يستخدمونه، لقد أوشك الإيرانيون بلوغه، لكن الرئيس "أوباما" قرر وقفهم واعتراضهم ودفع من أجل تحقيق ذلك ثمنا لا يتحمله أحد، لقد ضيّق "أوباما" الخناق عليهم بسبب العقوبات التي فُرضت على إيران، وأصبحت تقريبا دولة مصابة بالجذام لكن "أوباما" في اللحظة الأخيرة فك عنهم حبل المشنقة، حقا هذا ما حدث حيث طلب "أوباما" من الإيرانيين أن يلتزموا خلال العشر سنوات بألّا يُطوروا سلاحا نوويا، كان يأمل الأمريكيون أنه خلال العشر سنوات هذه -وفقا للتفسير الإيراني للاتفاق- لربما تحدث في إيران معجزة، نعم المعجزات يُمكن أن تحدث لكن أن يتم الاعتماد على معجزة هذه ليست بخطة عمل.

إن هذا الفصل الزمني المُعطى لإيران يسمح لها حقا بالليونة في الحركة والاستعداد للمواجهة. حقا، إن عشر سنوات في التاريخ لا يُعتبروا شيء، لكن أيضا عشر سنوات وقت طويل أمام المنظومة الأمنية مثل إسرائيل تقوم فيه بتطوير جميع أنواع القدرات. من

جانب آخر ممنوع أن ننسى أن عشر سنوات لها طبيعة ما أنها تقل خلال عشر سنوات إلى صفر. وُقع الاتفاق في عام ٢٠١٥ ونحن اليوم في عام ٢٠١٩، نحن الآن نجلس ونتحدث ويفصلنا عن الموعد النهائي ست سنوات أي أن ذلك يعنى عشر سنوات مر منها أربع، وبعد عام آخر سيكون عشر سنوات مر منها خمس سنوات وهكذا. إن الإيرانيين لديهم إصرار أن يمتلكوا سلاحا نوويا، حتى لو انصاعوا للاتفاق على الرغم من أن "ترامب" انسحب من هذا الاتفاق، إلا أن الإيرانيين يجب أن ينتظروا عدة سنوات وماذا يمثل لهم أن ينتظروا بصبر خمس سنوات أخرى؟ إنهم ينظرون على التاريخ من منظور آلاف السنين ليس من ٢٠٠ أو ٣٠٠ عام مثل الأمريكان، لدى الإيرانيين خبرة واستخفاف وصبر كما يريدون أن يأهلوا أنفسهم اقتصاديا.

لقد خلق الرئيس الإيراني "روحاني" لنفسه صورة شخص معتدل لكن هذا غير صحيح، "روحاني" غير معتدل إنه ببساطة المسؤول عن الاعتبارات الاقتصادية، كما يجب الأخذ بالحسبان الانعكاسات الاقتصادية الصعبة على إيران جراء فرض العقوبات عليها هذا أمر.

الأمر الثاني: أن الاتفاق لا يُتيح الرد، وهذه هي النظرية الإقليمية لإيران التي تحاول في العقدين الماضيين أن تتوسع على ضوء الظروف الإقليمية الجارية من سقوط العراق واندلاع الحرب الأهلية في سوريا، وهكذا من الأمور الأخرى قبل أي شيء لقد أقامت إيران في سوريا "حزب الله" وهذا يُعد بالنسبة لإيران انجازا كبيرا، وهو حقيقة كيان متعدد القوة ذو قدرة على الحاق الضرر بالسكان بمعدلات كبيرة، بمعدل افتراضي ٢٠٠٠ صاروخ يوميا يتم إطلاقه طوال الوقت، بالإضافة إلى ذلك فإن إيران تملك سيادة على لبنان خاصة بيروت والمنطقة الحدودية مع إسرائيل. ويا الأسف فرجال حزب الله لديهم الفطنة الكافية التي تمنعهم من التدخل في حياة الطوائف الدينية الأخرى، يوجد بالفعل للدروز في لبنان استقلالية، بينما يتمتع أتباع السنة بحكم ذاتي كبير، والمسيحيون يقعون في وضع ما بين الحكم الذاتي وبين الاستقلالية الحقيقية، ولكن بشكل غير رسمي لقد سيطر حزب الله من الداخل على نظام الحكم، أي أن رئيس لبنان -الذي يُعتبر وفقا للدستور مسيحي يتم اختياره من قبل حزب الله، والجيش اللبناني الذي يمتلك عتاد أمريكي وتدريب بريطاني هو القوة المساعدة لحزب الله في الحرب ضد داعش. لقد حدث أمر أخر عظيم من وجهة نظر الايرانيين وهو أن داعش بصفتها

خلافة وفقا لما أطلقوه على أنفسهم "الدولة الإسلامية" بمثابة إرث من الهزيمة الساحقة.

هل سيكون هناك أحداث إرهابية؟

نعم سيكون هناك أحداث إرهابية.

هل سنشهد هجمات إرهابية في لندن وباريس؟

نعم سيحدث.

هل ستستمر الأيدولوجية الخطرة هذه؟

نعم، ولكن هناك فارقا بين داعش كخلافة ومعه إقليم وحقول نفط وأمور كهذه وبين داعش بصفته تنظيما إرهابيا، ليس له خلافة ولا إقليم، لقد تم هزيمة داعش على الأقل في العراق وسوريا، أما داعش في سيناء فهذه قصة أخرى، ومن يستغل كل هذا هم الإيرانيون الذين يرغبون في نشر تأثير إيراني من حدود افغانستان وباكستان حتى البحر المتوسط، ما يسمى بالهلال الشيعي الذي وصفه الملك الأردني "عبد الله".

ولذلك يحاول الإيرانيون إرساء قواعد لهم في هضبة الجولان السورية ذلك بالتنسيق مع حلفاؤهم؛ حزب الله، والمليشيات الشيعية، ويتضمن ذلك إنشاء قواعد عسكرية على الأراضي

السورية من خلال استغلال حقيقة أن "بشار الأسد" مدين لهم بحياته وسلطته، وسيمنحهم كل ما يرغبون فيه، هنا بالضبط تدخلت روسيا وظهرت في المشهد رغم تعارض المصالح الكبير والخلافات القوية في الرأي بين روسيا وإيران، إلا أن الأولى قررت توفير الرعاية لهذا التكتل الشيعي.

لماذا؟

أولا: لأنه لا يوجد إرهاب شيعي داخل روسيا على سبيل المثال لا أذكر حقا أي هجوم إرهابي نفذته عناصر شيعية في روسيا.

ثانيا: لأن روسيا وإيران يرون في السعودية عدوا مشتركا لأنها حليفة للولايات المتحدة الأمريكية، وأيضا تقدم المساعدات للمتمردين في سوريا ضد "بشار الأسد".

بينما ترى إيران في السعودية عدوا لها بسبب محركات دينية فقط، ولدى إيران اهتماما كبيرا لتقويض أركان المملكة السعودية والدخول إلى الأماكن المقدسة، إيران ترى من وجهة نظرها أنه يجب تدمير السعودية وألا يكون لها حق الوجود، بالضبط كما يرون في إسرائيل أن ليس لديها حق الوجود، الآن تُدير إيران حربا ضد السعودية خاصة في اليمن، حيث استطاعت إيران من خلال

هذه الحرب إرساء حزب الله الصغير ثمنه الدمار الكبير. الحوثيون الذين يُعتبرون حقا تابعين لإيران داخل اليمن يُطلقون الصواريخ إلى داخل الأراضي السعودية. حتى أنهم أطلقوا صاروخ على مطار الرياض الجوي الدولي[١].

لكن الأخبار السارة أن إيران منهمكة بشكل كبير في منشأة الطاقة ولا تتجرأ على مهاجمتنا، لذلك ترى الحدود هادئة ولا تجد سوى الهجوم الصاروخي الذي شنته إيران على مواقع عسكرية في هضبة الجولان عام (٢٠١٨)[٢].

إن إيران ترغب قدر الإمكان في تعظيم قدرة إضرارها بإسرائيل، وأن تصل إلى وضع يُمكنها من خلاله أن تلحق ضررا كبيرًا بإسرائيل،

(١) في الرابع من نوفمبر ٢٠١٧ تم إطلاق صاروخ باليستي من اليمن في اتجاه مطار = = رياض الدولي، عاصمة السعودية، لكن لم تنتج عنه إصابات أو أضرار. وفي الرابع عشر من يونيو ٢٠١٩ ضرب صاروخ ملاحي أطلقه الحوثيون من اليمن صالة المسافرين التابعة لمطار «أبهة» جنوب السعودية، وأُصيب جراءه عشرات الأشخاص.

(٢) في العاشر من مايو ٢٠١٨ أطلقت القوات الإيرانية في سوريا ٢٠ صاروخ اتجاه خط مناطق عسكرية إسرائيلية في هضبة الجولان دون وقوع مصابين أو جرحى. وردا على ذلك قام الجيش الإسرائيلي بتنفيذ هجمة واسعة النطاق ضد أهداف إيرانية في سوريا.

وفي المقابل ترغب في إحكام قبضتها على سوريا ولذلك ترى إيران أن من العادل أن تنتظر قليلا لتحقيق ذلك، وفي ذلك تتمتع إسرائيل بهدوء لأن إيران لا تُوجه هجماتها إلينا مباشرة، لكنني أرى أن ذلك هدوء ما قبل العاصفة في اللحظة التي تمتلك فيها إيران القوة الكافية سوف تقوم بمهاجمتنا على الفور، أقول ذلك لأن جميع وجهات النظر المختلفة ترى أن إيران هي العدو الأول لإسرائيل.

ما الذي يتوجب على إسرائيل فعله حتى تواجه هذا التهديد؟

قبل كل شيء محظور بأي شكل من الأشكال أن تمتلك إيران سلاحا نوويا انتهى الكلام.

أولا: حينما يمتلك نظام حكم ديني متطرف سلاح نووي لا يُمكنك أن تعرف متى سوف يستخدمه، كل ما تستطيع فعله هو أن تُقدر الأمور لكنك لا تستطيع حقا معرفة متى سوف يحدث ذلك. إن السلاح النووي باعتباره الأداة التي يمكنها تحقيق تطلعات دينية متطرفة هو تهديد وجودي حقيقي على دولة إسرائيل.

ثانيا: إذا ما أصبحت إيران دولة نووية ستقوم جميع الدول العربية الكبيرة بمجاراتها، لن يتحمل العرب وضع الذي تكون فيه إيران دولة نووية وهم لا، أود أن أذكرك بنظام حكم القذافي في ليبيا

الذي قامت فيه بتصنيع النووي، قامت بعدها سوريا بتصنيع النووي حتى قامت إسرائيل بتدمير المفاعل النووي السوري.

لماذا لا تفكر مصر والسعودية في تصنيع النووي؟

إذا نظرنا للأمور من جهة اقتصادية وعلمية سنجد أن مصر والسعودية لن تواجهها مشكلة في تطوير السلاح النووي، وسيعلنون أن هذا هو مشروع وطني قومي يأخذ أولوية أولى لهم.

ماذا يجب أن تفعل إسرائيل في ظل ذلك؟

قبل كل شيء من المهم أن نعلم أننا لسنا قليلي الحيلة، على سبيل المثال. **أولا**: إذا أطلق حزب الله على إسرائيل صواريخ بالمعدلات التي تحدثت عنها، فيجب أن يتلقى حزب الله ضربة ناجحة لا تقم لهم من بعدها قائمة.

ثانيا: محظور أن نسمح لإيران أن ترسي لها قواعد في هضبة الجولان، كما أن بشار الأسد لدية الفطنة الكافية ليعلم أنه إذا ما كان الرد الإسرائيلي سيضعه في خطر، فإنه لن يسمح لإيران أن تتمدد بحرية في سوريا.

على الرغم من أن الأسد مدين لهم إلا أنه يضع حدودا لذلك، نحن نعرف "الأسد" جيدا.

الثالث: لا يُسمح بالمبالغة في أهميته، يجب على إسرائيل أن تُعمق علاقاتها مع الدول العربية، وإذا لم يكن ذلك في الإمكان فالأفضل أن نُعلي من شأنهم، دون التطرق إلى الموضوعات الحساسة وهي القضية الفلسطينية.

صحيح أن الدول العربية لا تهتم حقا بالفلسطينيين لكنها لا تستطيع العيش بدونهم، أي أنه إذا لم يتم تحقيق مسار سياسي وسيتم استبعاد السلطة الفلسطينية واهمالها، ويسري اليأس في الشارع العربي كل ذلك سوف يؤدي إلى المناداة بالقومية العربية، وسيكون المنتصر الوحيد وقتها هي حركة حماس، سيكون نجاحا للراديكالية وهزيمة لمشوار أبو مازن الذي يقول دائما أنه ضد الإرهاب الذي تقوم به حركة حماس، كما أن أبو مازن هو من يسمح بالتنسيق الأمني بينه وبين إسرائيل، وهو من يقدم المساعدة لإسرائيل من أجل القضاء على إرهاب السكاكين الذي بدأ يظهر في إسرائيل عام ٢٠١٥ - ٢٠١٦، وكان من الصعب مواجهته، لأنه إذا ما قام شخص ما في الصباح واستل سكينه من مطبخ والدته وقرر من تلقاء نفسه قتل اليهود بها، كيف يُمكن منع حدوث ذلك ؟ الإفادة من ذلك أنه يجب على إسرائيل تطبيع العلاقات مع الدول العربية على أساس المصلحة المشتركة وهي التهديد الإيراني والشيعي.

وهنا أريد الحديث عن موضوع الاستعداد العسكري لأنه بالطبع موضوع هام جدا، إن التكنولوجيا التي تمتلكها إسرائيل هي تكنولوجيا رائعة حتى أن إسرائيل جيدة في حرب الانترنت، هذا يعنى أن إسرائيل لديها العديدة من القدرات، ومع كل ذلك يُفضل ألا نصل إلى مواجهة عسكرية ومن أجل ذلك يجب أن تُتخذ قرارات تصدر عن قائد واحد، دائما ما كنت أقول إن هذا هو عصر القيادات، لأن القرارات التي تُعرض أمامهم هي قرارات صعبة جدا وتُقرر مصائر، ويجب حشد جميع القوى الداخلية والخارجية حتى يتم مواجهة هذا التهديد.

حينما تتحدث عن القوى الخارجية فأنت تتحدث في الأساس عن الولايات المتحدة الأمريكية.

بالطبع إن الصداقة التي تربط إسرائيل بالولايات المتحدة الأمريكية هي صداقة عميقة لكنها تحتاج إلى مزيد من العمق، أقول: ليس هناك بديلا للولايات المتحدة الأمريكية، لا روسيا ولا الصين، ولا أي أحد آخر. نعم، روسيا والصين تتعامل مع إسرائيل بشكل جيد لإنهم يحبون اليهودي والإسرائيلي، لكن روسيا شريك استراتيجي لإيران، بينما تُقيم إسرائيل وروسيا خطة الدفاع المشترك في الجبهة السورية هذا يعني أن هناك تنسيقا قويا يمنع اصطدام

الطائرات الإسرائيلية والروسية، وهذا انجاز دبلوماسي مؤثر الذي يجب أن نقف ل "نتنياهو" احتراما على تحقيقه لهذا، لكن ذلك لم يجعل العلاقات بين إسرائيل وروسيا ترتقي إلى درجة شراكة.

لأنه في اللحظة التي يتحدث فيها رئيس الوزراء مع روسيا حول التهديد الإيراني، وقتها سيقول وزير الخارجية الروسي "سيرجي لافروف": لقد فحصنا الأمر وكل شيء على ما يرام، إن الايرانيين لا ينتهكون الاتفاق. أو يقول: إن الطلب الإسرائيلي بانسحاب إيران من سوريا هو طلب غير واقعي. روسيا تُدير سياسات استخفاف لذا يجب على أن نصدر أمرا مستديما بمنع وقوع حرب من جانب واحد، والعمل على بناء القدرات بالدخول في حرب من الجانب الآخر، والتحديد بأن إيران هي تهديد رئيسي على إسرائيل مثلما فعل "نتنياهو" في فترة ولايته الأولى لرئاسة الحكومة، من الهام جدا أن نُحدد ما هو التهديد الرئيسي حتى لا يُوصف أي تهديد تتعرض له إسرائيل على أنه التهديد الرئيسي، نحن في إسرائيل يجب أن نستعد للمواجهة الصعبة مع الإيرانيين، ولذلك يجب تخفيف المقاومة في جبهات أخرى لا يُمكن المقاومة في جميع الجبهات في آن واحد. في فبراير عام ٢٠١٩ يكون قد مضى على الثورة الإسلامية في إيران

٤٠ عاما، نحن نرى كل عدة سنوات يخرج الشباب إلى الشوارع يتظاهروا ويحتجوا لكن ذلك لا يؤدي إلى جديد.

أي تغيير تراه في الأفق؟ هل من المحتمل أن يسقط نظام حكم «أية الله» في المستقبل الذي يُرى بالعين المجردة؟

إيران بخلاف مصر على سبيل المثال فهي دولة تتكون من شعوب مختلفة، نصف الشعب الإيراني فقط هم من السكان الأصليين، بينما ربع السكان هم مواطنون، أي حوالي ٢٠ مليون نسمة ويوجد بينهم أيضا أكراد و"بلوش" وعشرات الجماعات العرقية.

نظام حكم "أية الله" مكروه من الشعب قل على الأقل مكروه من الطبقة المتوسطة، نلمس ذلك من خلال ما نراه على وسائل التواصل الاجتماعي.

إذا كان هناك دائما عقل مثقف فإنهم يقوضونه من الداخل بواسطة تغليط العقوبات، ولكن ما يحدث في الوقت الراهن وعلى الرغم من الواقع الاقتصادي الصعب الذي نراه متمثلا في العقوبات، إنني لا أرى في تقديري أن نظام حكم "أية الله" سوف يسقط قريبا.

رغم كل هذا هل هناك أي فرصة للتفاؤل؟

وفقا لما نراه في الوقت الراهن فإن الأخبار الجيدة هي أن إيران لا تمتلك سلاح نووي، وهذا يُمكّن إسرائيل من التركيز على الاستعداد للانتصار على حزب الله في لبنان، وإفشال المحاولة الإيرانية لإقامة بنية تحتية عسكرية لها في سوريا، يتم استخدامها ضد إسرائيل، لكن من الهام أن نذكر أن إيران لن تتنازل على تشكيل الصواريخ المتقدم الذي تستحوذ عليه الاتفاق النووي الذي وقّع عليه "أوباما"، يسمح لإيران الاستمرار في تطوير هذه الصواريخ، وهذا يُعد إحدى أضعف بنود الاتفاق الأساسية. كما أن "ترامب" أبعد نفسه عن تنفيذ الاتفاق وجدّد العقوبات بإيعاز مباشر من "نتنياهو"[1]. ولكن يُحتمل بحركة قاتلة أن يتراجع عن رأيه الصعب أمام إيران مثلما فعل مع زعيم كوريا الشمالية "كيم جونغ أون"[2]، الذي أصبح مرة واحدة من عدو إلى حبيب. إنني غير مقتنع أن "ترامب" سوف يتمسك بسياسات متماسكة مع إيران. ليس لدي شك أن الإيرانيين سوف يستمرون في الحفاظ على خيار تطوير سلاحا نوويا، كما أن

(١) في الثامن من مايو ٢٠١٨ أعلن الرئيس «ترامب» أن الولايات المتحدة الأمريكية تنسحب من الاتفاق النووي مع إيران وتجديد العقوبات ضدها

(٢) كم جونغ أون (١٩٨٣): هو الابن الثالث والأصغر لزعيم كوريا الشمالية السابق كم جونغ إل من زوجته كو يونغ هي. وهو الآن الزعيم الحالي لدولة كوريا الشمالية.

السلطات الإيرانية تنتظر إلى انتخابات الولايات المتحدة الأمريكية في نوفمبر ٢٠٢٠ أملا بألا يتم انتخاب "ترامب" رئيسا، وأن يُجدد الرئيس الجديد للولايات المتحدة الأمريكية مع إيران الاتفاق النووي، ملثما قلت سابقا، أن إيران لديها صبر كبير على ذلك.

في الرابع من نوفمبر ٢٠١٧ تم إطلاق صاروخ باليستي من اليمن في اتجاه مطار رياض الدولي عاصمة السعودية، لكن لم تنتج عنه إصابات أو أضرار.

وفي الرابع عشر من يونيو ٢٠١٩ ضرب صاروخ ملاحي أطلقه الحوثيون من اليمن صالة المسافرين التابعة لمطار "أبها" جنوب السعودية وأُصيب جراءه عشرات الأشخاص.

في العاشر من مايو ٢٠١٨ أطلقت القوات الإيرانية في سوريا ٢٠ صاروخا تجاه خط مناطق عسكرية إسرائيلية في هضبة الجولان دون وقوع مصابين أو جرحى، وردا على ذلك قام الجيش الإسرائيلي بتنفيذ هجمة واسعة النطاق ضد أهداف إيرانية في سورية، وفي الثامن من مايو ٢٠١٨ أعلن الرئيس "ترامب" انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من الاتفاق النووي مع إيران وتجديد العقوبات ضدها.

في الدقيقة ٩٠ تفجير المفاعل السوري

دمرت إسرائيل في السادس من سبتمبر٢٠٠٧ المفاعل النووي السوري في مدينة "دير الزور" وأوقفت مشروعا نوويا عسكريا الذي بدأه "الأسد". كما كشف "عاميت سيجيل" مؤخرا للقناة الثانية للتليفزيون الإسرائيلي عن خطاب سري جدا قد أرسلته لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست الإسرائيلي، إلى رئيس الحكومة "أرئيل شارون" في عام ٢٠٠٤ وذلك بفترة كبيرة قبل أن يحصل جهازي الموساد وشعبة الاستخبارات العسكرية على المعلومات المادية عن المفاعل النووي السوري، ومن بين ما جاء في الخطاب من تحليل شامل للمعلومات الاستخباراتية يتضح احتمالية وجود مشروع نووي عسكري في سوريا كبير، ولأن هذا الموضوع يمثل أهمية استراتيجية وجودية لإسرائيل من الوهلة الأولى، يطالب رئيس الحكومة فورا بإجراء نقاش شامل للموضوع"[١] قصّ رئيس اللجنة "يوفال شتاينتز"[٢]

(١) عاميت سيجيل في نشرة أخبار القناة الثانية الإسرائيلية.

(٢) يوفال شتاينتز (١٩٥٨): (بالعبرية: יובל שטייניץ) هو سياسي إسرائيلي يشغل حاليا منصب عضو في الكنيست عن حزب الليكود ومنصب وزير البنية التحتية الوطنية للطاقة والموارد المائية وقد شغل عدة مناصب وزارية أخرى مثل وزير المالية، وزير الاستخبارات، وزير العلاقات الدولية ووزير الشؤون الاستراتيجية.

و"حاييم رامون" [1] أحد أعضاء اللجنة في المقال التليفزيوني عن لقاء أجري مع رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية "أهارون زئيفي فركاش[2]" الذي رفض باستخفاف هذا التقرير المعلوماتي، وقال وفقا للنسخة التي رواها كل من "شطاينتس" و"رامون"، لـ "شطاينتس" الحاصل على دكتوراة في الفلسفة: سيدي الفيلسوف إنني أُعلمك بصفتي رجل متخصص أن ما تقوله ليس من المحتمل حدوثه، هل تتوقع ان نستثمر موارد استخباراتية بشيء ما، هل أنت على مقتنع أنه صحيح، نحن نقول لك أن هذا الشيء سيكون إسرافا.

أجاب "شطاينتس" قائلا: سيدي رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أنت متخصص في الاستخبارات، وأنا مجرد رقيب أول سابق في كتيبة جولاني، لكن يجب أن تكون متخصص في الفلسفة حتى تعلم كيف يمكن أن تُشكك في شيء ما، وأنا بصفتي فيلسوف تُساورني شكوك كبيرة في الأمن الشخصي لك خاصة في موضوع

(١) حاييم رامون (١٩٥٠): (العبرية: חיים רמון) هو سياسي إسرائيلي من أصل أوكراني، اشغل منصب وزير القضاء ووزارة الداخلية في ٤ مايو ٢٠٠٦، تم تعيينه في يوليو ٢٠٠٧ كنائب رئيس الحكومة الإسرائيلية.

(٢) أهارون زئيفي فركش (١٩٤٨): (العبرية: אהרן זאבי-פרקש) هو عسكري الإسرائيلي، تولي رئيس الإسرائيلية المخابرات العسكرية (أمان) من ٢٠٠٢ إلى ٢٠٠٦.

سوريا. زعم "فركاش" نفسه ردا على المقال الصحفي التلفزيوني أنه لا يتذكر هذا الحديث الذي ورد في المقال الصحفي.

هل كنت على علم بكل هذا وقت ما حدث؟

لم أكن في هذه الفترة في شعبة الاستخبارات العسكرية، ولكن كنت أعمل في وزارة الدفاع رئيسا للشعبة الأمنية السياسية، لكن يُمكنني أن أقول لك بحذر كافي أنه بفضل علاقة ما تربطني بشخص ما، وردت إليَّ معلومات حول إمكانية القيام بأنشطة نووية مشتبه بها في سوريا، يجب أن نذكر هنا أن الافتراض الأساسي كان؛ أن سوريا ليس لديها بنية تحتية لتطوير سلاح نووي. والذي أدار موضوع النووي في سوريا كانت لجنة الطاقة الذرية السورية والتي أقرت أن لدى سوريا مفاعل أبحاث صغير ليس له قدرة ولا أية احتمالية عسكرية وكان تحت الرقابة الدولية.

سوريا لديها سلاح نووي؟

هذا شيء لم يكن في مقدورنا تحديده إلا أن "الاسد" كان حقا سيكوباتي[1] ويريد أن يحقق توازنا استراتيجيا مع إسرائيل، لقد كان

(١) سيكوباتي: يعني الاعتلال النفسي (بالإنجليزية: Psychopathy)، الذي يُعتبر أحيانًا مرادفًا للاعتلال الاجتماعي، اضطرابًا في الشخصية يتسم بالاستمرار

يتحدث عن ذلك طوال الوقت في المقابلات التليفزيونية ولوسائل الإعلام، وهذا ما أثار لدي الدهشة، عن أي توازن استراتيجي يتحدث بينما سوريا هي دولة اقتصادها ركيك؟ على أية حال، أتذكر أن هذه المعلومات وصلت إلينا.

المعلومات حول الأنشطة السورية أمر يساوره الشكوك.

نعم، بالطبع نقلتُ هذه المعلومات إلى قياداتي، لكن لم تكن تلك معلومات واقعية عن المفاعل النووي السوري، على أية حال أعتقد أن شعبة الاستخبارات العسكرية قد وقعت في خطأ كبير، وأن السوريون قاموا هنا بمسار ذكي، وأصل الفكرة يعود إلى كوريا الشمالية.

ماذا فعلوا؟

لقد أقاموا مفاعلهم في الصحراء وهذه الصحراء لا تسير فيها نفس حية فقط بعض البدو والجمال والماعز، هذا كل شيء كما لم يُسمح لأي وحدة عسكرية سورية أن تُجري استعدادات تدريبية هناك لم يعلم أحد عن ذلك شيئا، من كان يُسمح له بدخول هذه

في السلوك المعادي للمجتمع وضعف التعاطف والندم، والسمات الجريئة، وغير المقيدة، والأنانية. تم استخدام مفاهيم مختلفة من الاعتلال النفسي عبر التاريخ وهي متداخلة جزئيًا فقط وقد تكون متناقضة في بعض الأحيان.

الصحراء هم فقط العلماء والمهندسون القادمون من كوريا الشمالية. لقد أقاموا المفاعل كما لو أنه منشاة ليست لها أهمية. بالمناسبة هذه منطقة سقطت لعدة أيام في أيدي "داعش-الدولة الإسلامية"، تخيل ماذا كان سيحدث عندما يقف "أبو بكر البغدادي" زعيم "داعش" فوق سقف المفاعل النووي ويُعلن: "إنني أنوي تفجير ذلك فوق نهر الفرات؟". وهو بالفعل لديه القدرة على فعل ذلك هؤلاء أناس غيورين مجانين. كان من المفترض أن يجعل هذا المفاعل من سوريا التي كانت دولة ضعيفة جدا حتى قبل اندلاع الحرب الأهلية الفظيعة يجعل منها دولة عظمى نوويا، ما يُمكنها على الأقل من وجهة نظرها تحقيق توازنا استراتيجيا مع إسرائيل، هذا يُعني أن سوريا كانت ستبني مع إيران وحزب الله جبهة أمام إسرائيل، وذلك نابع من الشعور بالتميز والقوة بخلاف الشعور بالتدني الذي كان يلازم سوريا حتى تطوير هذه القدرة النووية، ولحسن الحظ أصبح الأمر الذي كان سيُصنف بأكبر فشل في تاريخ الاستخبارات الإسرائيلية أصبح نجاحا مبهرا.

أريد أن أثمن رأي رئيس الموساد "مائير داغان" بهذا الخصوص إذ كان لديه إصرار على القضية، وأيضا أدرك المغزى العميق من وراء القدرة النووية حينما تقع في أيدي سوريا.

نتحدث طوال الوقت عن الدروس المستفادة من وجهة نظرك، ما هو الدرس الكبير الذي يمكن أن نستخلصه من قضية المفاعل النووي السوري في عام ٢٠٠٧؟

الدرس الأول المستفاد من ذلك كان واضحا منذ البداية واليوم أصبح أكثر وضوحا، يُمكن أن نعرّفه بكلمتين هما "عقيدة بيجين"، بمعنى منع أي دولة تعادي إسرائيل من امتلاك سلاح نووي، وبالخصوص الدولة التي تسعى لتدمير إسرائيل.

كان "صدام حسين" هكذا، ولكن قرار "مناحيم بيجين" تدمير المفاعل النووي العراقي، هو قرار تاريخي لمصلحة الأمن القومي لإسرائيل. في الوقت الذي كانت فيه العراق تُطور سلاحها نوويا لم يكن العراق يحتاج حتى لتفعيل هذا السلاح ضد إسرائيل، بل كان يكفيه أن تفتح جبهة شرقية من شأنها أن تخلق حلقة خانقة تُضيق الخناق على إسرائيل، التي تستند على صورة القوة العظيمة لدولة معادية تمتلك سلاحا نوويا، لا تستطيع إسرائيل أن تُسلم بحقيقة أن نظام حكم كهذا يمتلك سلاحا نوويا بالأخص لو كان هذا النظام هو النظام الإيراني، الذي يؤمن بالبعد الديني وهو الأمر الذي لا نجده في العراق تحت نظام حكم "صدام".

أما عن الدرس الثاني؛ هو أنه يجب على الاستخبارات أن تُشك دائما، ولما طرحت لجنة الخارجية والأمن هذا الموضوع في عام ٢٠٠٤، وفقا لما ورد في المقال الصحفي كان يجب عليها التعامل مع هذا الموضوع بجدية، وفحص إذا ما كانت هذه المعلومات تستند إلى أساس من عدمه، في أي دولة أخرى عادية كان سيُفتح حول ذلك تحقيقا جادا.

يجب أن نذكر أن سوريا كانت دائما في بؤرة التغطية المعلوماتية وتقدير الوضع من قبل إسرائيل، وتحت رمز الأخبار الحيوية المركزية التابعة للاستخبارات الإسرائيلية، وهنا نجحت سوريا تقريبا في بناء قدرة نووية عسكرية تحت سمع وبصر إسرائيل.

والحقيقة يجب مدح "الأسد" بشكل متخصص لأنه أفلح في إخفاء المعلومات عن كل البيئة المحيطة به عن روسيا وإيران، والهيئة العسكرية العليا السورية ذات نفسها، كما نجح في انتهاج نهج جميع أجهزة المخابرات المختلفة في إسرائيل.

إنني أحاول أن أتصور حالة الذهول التي سيطرت على الإيرانيين والروس حينما اكتشفوا أن من تحت رعايتهم أو حليفتهم كانت على وشك أن تصبح دولة نووية من وراء ظهرهم دون تنسيق أو تعاون معهم.

أما عن الدرس الثالث الذي استفدته من هذا؛ أنه يجب أن تكون متأهبا ومتواضعا ومستعدا لأي مفاجآت، خاصة حينما تتعامل مع نظام شرير، وإذا ما كان الأمر غير واضح وقتها، فإنه اليوم واضح جدا أن "الأسد" هو نوع من الشخصيات السيكوباتيه لكنه بعيد كل البعد من أن يكون ذلك الولد غريب الأطوار، الذي يلعب كل يوم بالبلاي ستشن، وليس مثلما يتم وصفه في وسائل الإعلام.

إننا نتحدث عن شخص قاسي ويعلم من أين تؤكل الكتف ومتحازق، لذلك إذا ما يُساروك الشعور بأنك تعلم كل ما يحدث لدى العدو يجب في وقتها على جهاز الاستخبارات دائما أن يفكر خارج الصندوق، وكيف يُمكن الطرف الآخر أن يفكر، وأي نهج سينتهج.

علاوة على ذلك هناك درس آخر مستفاد؛ وهو يمس كوريا الشمالية التي بنت لصالح إيران المفاعل النووي خاصتها، نحن اعتقدنا بأن كوريا الشمالية هي دولة بعيدة وتقع وراء جبال الظلام التي تُهدد جيرانها من الدول، ولن تمسنا حقا. لكن قضية المفاعل النووي السوري أثبتت أن الأمر ليس كذلك.

منذ عام ١٩٩٤، أي تقريبا منذ ثلاثة عقود، أثبتت كوريا الشمالية

أن لديها إصرارا لتطوير سلاح نووي لاستخدامه في أهداف داخلية، وفي استراتيجيات أخرى، لكن أيضا ليس لديها خطوط حمراء في كل ما يمس تصدير قدرات عسكرية، وها هي الولايات المتحدة الأمريكية قد وقعت مع كوريا الشمالية على عدة اتفاقيات[1]. كما أعلنت كوريا الشمالية بالأهازيج والرقص عن إغلاق مفاعل عسكري نووي على أراضيها، وأقامت في سرية كبيرة مفاعلا عسكريا مماثلا في سوريا.

هذا يدل على الطابع الشرير والماكر لكوريا الشمالية وهذا يُظهر إلى أي حد كان الأمريكان الذين وقعوا معهم على اتفاقيات سذج، لم يدركوا إلى مدى يوجد لدى كوريا الشمالية الإصرار على تطوير سلاح نووي لصالحها، وأيضا من أجل تصنيعه لأنظمة حكم شريرة جدا.

(١) في عام ١٩٩٤ في ظل فترة ولاية «بيل كلينتون»، وقعت كل من كوريا الشمالية والولايات المتحدة الأمريكية على اتفاق تلتزم في إطاره الولايات المتحدة الأمريكية بنقل مبلغ ٤ مليار دولار إلى «بيونج يانج» كمقابل لتجميد المشروع النووي. وفي إطار هذا الاتفاق تلتزم كوريا الشمالية بوقف عمل المفاعلات النووية الخاصة بها التي تعمل بالأساس على الجرافيت والبلوتونيوم في مقابل مفاعلين إثنين يعملون بالأساس بالمياه. على الرغم من توقيع الاتفاق استمرت كوريا الشمالية سرا في العمل على المشروع النووي الخاص بها وتوصلت إلى قدرات نووية عسكرية.

كما لم يدرك الأمريكان إلى أي مدى هذه الدولة تمثل خطر، نحن أمام جيل ثالث من سلسلة الأجيال الذين انتهجوا نفس النهج من حيث تطوير بإصرار للقدرات النووية العسكرية، وفي كل مرة يتم فيها فرض عقوبات غليظة يرتدون قناع السلام، وأنهم يوفون بنزع السلاح الذي لديهم، وتجدهم يفعلون الشيء ونقيضه بنفس السرعة لأنهم يحتاجون إلى مساعدات خارجية من أجل تثبيت أركان حكمهم، بينما اليوم أصبحوا يمتلكون الخيار النووي. وها هو الرئيس "ترامب" الذي انسحب من الاتفاق النووي مع إيران تجده يتقرب بذات نفسه إلى كوريا الشمالية، حيث أجرى لقاء مع "كيم جونغ أون".

ووفقا لما وصفته صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية أن هذا القرار الذي اتخذه الرئيس "ترامب" بلقاء "أون" كان قرارا وليد اللحظة، لقد خدعت كوريا الشمالية الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من مرة وليس لديها أية مشكلة لخداعها مرات أخر، لذلك يجب على الرئيس التيقن بواسطة الأجهزة المعنية وأجهزة الاستخبارات ذات القوة الكبيرة والعناصر التي تُصيغ الاستراتيجية التي تسير عليها الولايات المتحدة الأمريكية من أن العلاقات مع كوريا الشمالية سوف تؤدي حقا إلى نزع القدرات النووية

التي تمتلكها، بخلاف ذلك فإن ثقل وصورة الولايات المتحدة الأمريكية كونها دولة عظمى وزعيمة العالم الحر سوف تتضرر بشكل كبير وسيتضرر معها ميزان القوى الذي ترأسه في المحيط الهادي، فمع كل الاحترام للشرق الأوسط إلا أن هذه المنطقة هي الأكثر أهمية والأكثر قابلية للانفجار في العالم.

هل يوجد لذلك الأمر انعكاسات من جهة إيران؟

نعم لأنه إذا ما أخذت إيران مبدأ الحُجة بالحجة من حيث عدم نجاح الولايات المتحدة الأمريكية في فرض زعامتها وصلاحيتها وقوتها العظيمة على كوريا الشمالية، حتى يصل الأمر أن تُهدد هذه الدولة المتمردة باستخدام السلاح النووي والصواريخ طويلة المدى على الشاطئ الغربي وعلى هاواي، أي أنها سوف تستخدمها على أراضي الولايات المتحدة الأمريكية ولن تستخدمها فقط على أراض حليفتها في الشرق البعيد، سيكون لذلك انعكاسات سلبية كبيرة على الشرق الأوسط، وبالطبع يؤثر بدوره على إسرائيل. وهذا الأمر سوف يُحث إيران أكثر للمضي قدما في مشروعها النووي، لأنه إذا لم تنجح أمريكا العظمى في وقف كوريا الشمالية.

ما الذي سيجعلها تنجح في وقف إيران؟

نحن الآن كأننا نقف في مفترق طرق ولدينا فرصة للتعلم من دروس الماضي، كانت سوريا قريبة جدا من تطوير قدرة عسكرية نووية بواسطة مسار بارع من حيث الإعلان عن حق الامتياز لكوريا الشمالية ببناء هذه القدرة. كوريا الشمالية ليس لها سقف وحدود بمقابل الأموال، أو تأثير أو شيء مساو للأموال، فإن كوريا الشمالية على استعداد إلى أن يصل الأمر حتى تصدير السلاح النووي، وإذا ما فعلت كوريا الشمالية ذلك ما الذي يمنع باكستان من فعل ذلك؟ ولماذا لا تُحاول السعودية التي تُهددها إيران من الاستحواذ على سلاح نووي؟

أو ما الذي يمنع مصر؟ بالمناسبة إنني أؤمن أنه إذا سنحت الفرصة مرة أخرى أمام "الأسد" فإنه سوف يعيد الكرّة.

تقصد سوف يُطور سلاح نووي مرة أخرى؟

بالتأكيد الأسد شخصية لا تكل أبدا إنه حتى اليوم يُنكر بشكل عام أنه حاول تطوير سلاح نووي، وفقا لنسخته التي يرويها أن إسرائيل فجرت مجرد مبنى مهمل في وسط الصحراء إنه شخص خطر وكاذب.

يوجد لهذا الأمر جانبان:

الأول: أن هذا التهديد قد تم ازالته وكل شخص كان مشتركا في العملية يُمكنه الجلوس وكتابة مذكراته.

الثاني: ممنوع أن ننسى إلى أي مدى كنا قريبين من فشل استخباراتي كبير.

هل كنت عضو في الفريق الصغير جدا الذي انشغل بقضية المفاعل السوري قبل الهجوم عليه؟ ما الدور الذي كان منوط بكم؟

كانت هناك عدة محاور:

الأول: قبل أي شيء يجب أداء التحية العسكرية للأجهزة الاستخباراتية المختلفة على القدرة الاستخباراتية التي أظهروها، أيضاً أداء التحية لسلاح الجو الإسرائيلي الذي قام بتنفيذ العملية بشكل حذر. إنه حقا أمر تقشعر منه الأبدان من الصعب أن أصف إلى أي مدى يُعد هذا الانجاز عظيما وهاما، إذ أنه لم يُلاحظ أي جهاز استخباراتي آخر في العالم هذا الأمر حتى الأمريكان أنفسهم لم يلاحظوا ذلك.

فإيمان قيادات المستوى السياسي بقدرات سلاح الجو بإزالة التهديد ساعد رئيس الحكومة "إيهود أولمرت[1]" والمجلس

(١) يهود أولمرت (١٩٤٥): (بالعبرية: אהוד אולמרט) هو رئيس الوزراء

الوزاري المصغر على اتخاذ القرار الصحيح، على الرغم من حالة التردد التي كانوا عليها. قال قائد سلاح الجو الإسرائيلي الرائد "أليعازار شيكدي"[1]: إن سلاح الجو الإسرائيلي لديه القدرة على إزالة هذا التهديد من فوق مدن إسرائيل، وإذا ما تلقينا أوامر من المجلس الوزاري المصغر سوف نزيله. لقد كان الأمر هكذا حقا، لقد تم إزالة أحد أكبر التهديدات التي كانت تواجه دولة إسرائيل في غضون دقائق.

الثاني: والذي أُطلق عليه محور الفهم، ومرة أخرى أقول: إن الأجراء العسكري الإسرائيلي كان حذرا، وكذلك كان الانجاز الاستخباراتي، إن العمل الذي أسند لرئيس جهاز الموساد يستحق الثناء، لكنك أيضا تحتاج إلى محور الفهم، على سبيل المثال يجب عليك أن تُقرر ما إذا كنت تتحمل المسئولية عن الهجوم، أو أنك سوف تقوم بالتعتيم على قيادات المستوى السياسي التي تُخاطر في

الإسرائيلي الأسبق، تولى أولمرت بلدية القدس منذ عام ١٩٩٣ وحتى ٢٠٠٣، وقد تولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية بالوكالة، بعد إصابة أرئيل شارون بجلطة دماغية. عُين عام ٢٠٠٦ رئيساً لحزب كاديما، واستمر حتى عام ٢٠٠٠.

(١) اليعازر شكيدي (١٩٥٧): (اللغة العبرية: אליעזר שקדי) هو عسكري وسياسي إسرائيلي متقاعد، تولى منصب قائد سلاح الجو الإسرائيلي (٢٠٠٤- ٢٠٠٨).

أمور كهذه، وقيادات المستوى التنفيذي جميعهم يرغبون في نسب هذا الانجاز لهم، بالفعل إنهم يستحقون ذلك، هنا يجب أن يكون الفهم مانعا من تحمل المسئولية بشكل رسمي فهل ذلك كان سوف يُحبط نفسية السوريين، ومن شأنه أن يتبعه رد فعل بالغ الصعوبة من جانبهم. لذلك من الجيد لإسرائيل ألا تتحمل المسئولية لفترة تزيد عن عشر سنوات.

الدرس المستفاد هنا أنه أحيانا، بخلاف طبيعة الإنسان، يجب عليك أن تصمت. كيفما قال "إيلي ولخ" في فيلم "الطيب والشرير والذميم" حينما يتوجب عليك أن تطلق النيران أطلقها على الفور ولا تتحدث. هذا جزء من نجاح العملية، ألا تتحدث قبل تنفيذها، ولكن النجاح أن تتحدث بعد تنفيذها. وبالمناسبة أنني أعتقد أنه لم يتوجب على إسرائيل بشكل عام أن تتحمل مسئولية الهجوم حتى بعد مرور عشر سنوات، هذا هو رأيي الشخصي.

ومحور الفهم يتضمن أيضا ضرورة إطلاع الدول القريبة من إسرائيل عن الهجوم، ليس فقط الدول الصديقة، بل والدول التي يربطها بإسرائيل حوار، وهذا يشمل أيضا الدول التي ليست بالضرورة تحب إسرائيل أو تلك الدول التي يُحتمل ألا تكون مستحبة، كان من الضروري إلى جانب الحفاظ على سرية الموضوع،

حشد العالم. ومن أجل ذلك أُديرت هنا منظومة سياسية متطورة جدا أرى من وجهة نظري أن من برز في هذه الأنشطة هو "شالوم تورجمان"، المستشار السياسي لرئيس الحكومة كان "تورجمان" وقتها شابا صغير السن وتغلب على ذلك بمساعدة "أولمرت"، حيث جمع برضا كبير وفهم لمعالجة الموضوع، يتوجب على أن أثني على الفهم الكبير والبساطة والتواضع والعملية الذي أدار من خلالها "تورجمان" هذه المنظومة.

بالطبع مثلما يحدث دائما كانت الولايات المتحدة الأمريكية أكبر الحلفاء لإسرائيل، والتي كان يجب أن تكون في الصورة وعلى إطلاع بالأمر، وحقا تم إطلاع نظام حكم "جورج بوش[1]" على جميع القنوات المحتملة.

في نهاية الأمر تُعد هذه العملية العسكرية بمثابة قصة نجاح ستُدرس للأجيال في مدارس الاستخبارات، ومدارس العمليات

(١) جورج (دبليو) بوش (١٩٤٦): هو سياسي أمريكي شغل منصب الرئيس الثالث والأربعين للولايات المتحدة (٢٠٠١ -٢٠٠٩)، قاد الحرب على الإرهاب بعد أحداث ١١من سبتمبر ٢٠٠١، وغزت أمريكا في ولايته أفغانستان (٢٠٠١-٢٠٠٢) والعراق عام ٢٠٠٣.

ومدارس الفهم الاستراتيجي السياسي إذا ما كانت هناك مدارس من هذا النوع.

كل شيء جيد وجميل لكن "إيهود باراك" وزير الدفاع الذي خدمت معه كرئيس الشعبة الأمنية السياسية قد عارض الهجوم، وورد ذلك أيضا في كتاب "إيهود أولمرت"[1].

قبل أي شيء، وفقا لوجهة نظري إنني لم أخدم أي شخص، جميع الضباط الكبار الجادين الذين أعرفهم كرئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي وقادة سلاح البحرية الإسرائيلية ومن على شاكلتهم لا يخدمون شخص كهذا، أو آخر، إنهم يخدمون الدولة والفارق بين ذاك وتلك كبير، حينما يخرج ضابط كبير أو صاحب منصب رفيع آخر من الافتراض أنه يخدم الدولة فمن الواجب عليه التعبير عن رأيه المهني أيضا، حتى إذا كان مخالفا لرأي قادته. هكذا كنت انتهج دائما بالطبع من يقرر بشكل ديموقراطي إذا ما يجب الخروج في عملية معينة هم قادة المستوى السياسي، لكن من الهام لكل الذين يجلسون على طاولة النقاشات أن يُعبروا عن آرائهم دون رهبة.

(١) إيهود اولمرت، كتاب في الهيئة الأولى، انتاج دار نشر «أخبار كتب»، ٢٠١٨.

وأيضا إذا ما يعتقد الجميع أنه يجب الخروج في عملية عسكرية، بينما يعتقد شخص ما أن المخاطر من جراء هذه العملية ستكون أكبر من الفرص التي يمكن تحقيقها، أو أن الفائدة من هذه العملية العسكرية لا تستحق المخاطرة فيجب عليه الافصاح بذلك.

بشكل عام حينما يُتخذ قرار كهذا مثل الهجوم على المفاعل النووي في سوريا يجب تكرار مناقشة جميع الجوانب، وتحليل جميع السيناريوهات المحتملة. هذا وفقا على صعيد المستوى المبدئي لاتخاذ القرار، لكن نظريا فيما يخص الهجوم على المفاعل النووي السوري كان رأيي لا يقبل التأويل؛ وهو أن إسرائيل لن تستطيع السماح لشخص مثل بشار الأسد أن يمتلك سلاحا نوويا.

لذلك كل من اعتقد بضرورة تأجيل الهجوم، أو منح فرصة للعمل دبلوماسيا لربما تكون مثمرة أو العكس، وفقا لجدول الأعمال القصير المتبقي قبل أن يتحول هذا المشروع المُرعب على نهر الفرات إلى مفاعل طاقة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، كل من اعتقد ذلك عليه أن يعيد حساباته مرة أخرى لأن رأييه كان يجد له صدى داخله، لو كنا سمعنا لذلك لكانت إسرائيل اليوم في ضائقة كبيرة.

يجب أن نأخذ في الحسبان أنه في الطريقة الإسرائيلية لم يتخذ وزير الدفاع الإسرائيلي القرار؟

صحيح هناك أهمية كبيرة لرأيه المهني خاصة حينما نتحدث عن وزير دفاع، شغل أيضا منصب رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي ورئيسا للحكومة، وهو شخص لديه قوة كبيرة ويتمتع بمكانة مركزية ، لكن يتم تعيين رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي بواسطة الحكومة وهو أمر منوط بالمجلس الـوزاري المصغر تحديدا، لجنة الوزراء التي تمنحها الحكومة صلاحيات اتخاذ القرارات فيما يخص الموضوعات الأمنية والسياسية، المجلس الوزاري المصغر هو بالفعل قائد للجيش ورئيس الحكومة الذي يرأس المجلس الوزاري المصغر مسموح له التوجه مباشرة لرئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي وقتما شاء.

ثمة أمرا آخر لا يقل أهمية وهو أنه قادر على إلزام رئيس هيئة أركان الجيش بالإدلاء برأيه المهني، حتى ولو كان يعارض رأي وزير الدفاع، بالضبط مثلما يوجد لرئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، والحق أن نقول هذا واجب عليه أن يفصح عن تقديره المهني حتى ولو كان ذلك معارض لتقدير رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي أو وزير الدفاع. وهذا هو الحال لرئيس جهاز الموساد، والشاباك

الذين لا يتبعون شخصا في الحكومة غير رئيس الحكومة، مسموح لهم، بل وملزمون بالإدلاء برأيهم المهني هذا هو نظام التعددية في اتخاذ القرارات الموجود في إسرائيل.

بالمناسبة من الهام أن نذكر أن الصلاحية العليا في موضوعات الأمن هي ليست لرئيس الحكومة، إنما للمجلس الوزاري إن رئيس الحكومة مسؤولًا عن جدول أعمال المجلس الوزاري المصغر، ويترأسه من جهة أن جميع الرؤوس متساوية، لكن يتوجب عليه الحصول على موافقة المجلس الوزاري المصغر حتى يخرج إلى حرب أو لتنفيذ عملية عسكرية مهمة. من جانب آخر إذا أصر رئيس الحكومة الخروج في عملية عسكرية معينة، فإن أي معارضة خاصة غير المنطقية تُعد غير ذات قيمة أمام إصراره، وكان "أولمرت" مُصرًا على إزالة هذا التهديد المخيف من أمام دولة إسرائيل، وحقا صادق المجلس الوزاري المصغر على الخروج بقرار هجوم ضد المفاعل وأصبح أمر واجب النفاذ، وبرع سلاح الجو الإسرائيلي في تنفيذ هذا التوجيه السياسي، لقد نُشر بعد اتخاذ القرار بالهجوم على المفاعل السوري الذي أيدته بالطبع.

أين دار في المجلس الوزاري المصغر؟ وهل وجه "إيهود باراك" لك دعوة وقال إنك شخص متهور؟

لا، في النقاش الذي دار لديه في المكتب. المجلس الوزاري المصغر لم يكن يريدني.

ماذا قال لك «باراك» في النقاش الذي دار في مكتبه؟

إنني لا أتذكر بالضبط لقد تحفظ من وجهة نظري إن هذا لا يؤخذ على محمل شخصي، لقد كانت لديه القدرة دائما على تبرير وجهة نظره أنه يجب توخي الحذر وهكذا. هو يمكن أن يقول: إن الصلاحية العليا في وزارة الدفاع، كل شيء شرعي ولكن في نهاية الأمر كانت معارضته بإزالة هذا التهديد غير معقولة، ولحسن الحظ لم يُتخذ القرار بعدم الهجوم، لقد أثبتت الطريقة الإسرائيلية هنا نفسها، كما قلت سابقا أن وزير الدفاع هو شخص مهم ولديه تأثير كبير، لكن بؤرة اتخاذ القرارات في الأمور التاريخية المصيرية والوجودية هي المجلس الوزاري المصغر، ومن الجيد أن الأمر هكذا لأن إسرائيل لا يُمكنها العيش بأي شكل من الأشكال تحت تهديد نووي، يمكنها أن تُعاني من تهديدات عديدة لكن لا يُمكن أن يكون ذلك تهديد نووي، الإيرانيون يُوضحون ذلك مرارا وتكرارا أنهم إذا تملكوا سلاحا نوويا سوف يُهددونا بمئات الضربات، إذا ما جرؤنا أن نرد على أي ضرر يلحق بهم من خلالنا هذه كانت عقيدة الردع الإيرانية، لدينا الحق بإلحاق الضرر بكم بواسطة إرهاب أو

صواريخ وليس لكم حق الرد علينا وإلحاق الضرر بنا، لدينا أرض ضخمة ولدينا عمق استراتيجي، لدينا لبنان ولدينا سوريا ونرغب في تنفيذ هجمات ضد الكيان الصهيوني المكروه، وفي اللحظة التي نتملك فيها سلاحا نوويا سوف نستطيع تهديدكم بتدميركم إذا ما عملتم ضدنا، بمعنى آخر من المفترض من السلاح النووي أن يمنحهم حرية العمل ضد إسرائيل، على سبيل المثال بواسطة حزب الله من لبنان دون خوف أن يكون لإسرائيل رد فعل، سوف تفقد إسرائيل سلاح الردع وتصبح لا حول لها ولا قوة، أي دولة ليس لها قوة وعضلات، ستعود إسرائيل لتصبح كما ظهرت على الكرة الأرضية عبارة عن قطاع صغير يمتد على طول الشاطئ مع تصورات ذاتية ضعيفة، ومع إعلانات عنيفة وتتصدر عناوين الصحف، التي تصدر كل عشر دقائق، أي تصريح معاد أو مُهدد من جهة إيران سيؤدي إلى رعب بين الجمهور، نحن سوف نعيش بشعور خانق وفي خوف دائم.

وهناك من يقولون إن النظام الإيراني لن يجرؤ أبدا على مهاجمة إسرائيل بسلاح نووي، ذلك لأن هذه التهديدات ليس لها غطاء، وهذا أمر مقنع، لكنني لا أوافق على هذا التقدير لأن الإيرانيين، أقصد هنا إيران بصفتها دولة إسلامية ملزمة بتطبيق جميع أنواع

القيم الدينية غير مفهومة لدى المنطق الغربي أو إسرائيل. هناك طريقة واحدة يُمكن من خلالها التأكد من أن إيران لن تهاجمك وهي ألا تمتلك إيران سلاحا نوويا.

دعنا نعود للحديث مرة أخرى عن "الأسد" هذا الرجل الظالم الذي يُعد موضوع الساعة الآن يجب أن نذكر أن هذا الرجل لم يتردد في استخدام السلاح الكيميائي ضد شعبه، حتى بعدما نزع منه منابع السلاح الكيميائي تبقى لديه ما يكفيه ليُسمم شعبه، من يستطيع أن يؤكد لنا أنه إذا ما امتلك سلاحا نوويا أنه لن يستخدمه من أجل التخويف والردع؟ من يضمن أنه لن يوفر غطاء للإرهاب الذي يعمل ضد إسرائيل، ذلك نابع من افتراض أن إسرائيل ستتخوف من الرد على هذا الإرهاب؟ إنه لا يريد أن يطلق صاروخا نوويا على إسرائيل، لا هو ولا إيران، يكفي أن يمتلك فقط هذا السلاح، لذلك ممنوع أن يحدث هذا.

وهذا يقودني للحديث عن درس مستفاد آخر وهو ما يخص عقيدة التعتيم النووي، وهي وفقا لرأيي إحدى الأمور الكبيرة جدا التي تمت بواسطة مؤسسي الدولة، لقد أعلنت إسرائيل في الستينات أنه لن تكون الأولى التي تُدخل السلاح لنووي في الشرق الأوسط، وهذا هو لب التعتيم إذا ما تُغير إسرائيل لا قدر الله سياساتها مرة

أخرى إنني لا أتطرق لقضية هل يوجد لدينا أم لا ستأتي دول المنطقة وتقول كيف يُمكن لدولة إسرائيل الصغيرة والتي ليس لها قيمة ان تستحوذ على قدرات ليست متوفرة لنا؟ فقط ولهذا السبب ستقوم هذه الدول بأنفسها تطوير سلاح نووي، إنني غير قادر على تصور الشرق الأوسط مع دولة واحدة تعترف بأنها دولة نووية، وكل شيء يكون في العلن، بينما باقي الدول لن تنضم لها. إذا لم تعترف بشيء ما، بين ما إذا كان موجودا أم لا يُمكن أن نأتي إليك بمختلف الأسئلة لكن ليس من الممكن أن نوجه إليك الانتقاد.

هذه نقطة، النقطة الثانية هي إسرائيل بخلاف ما يعتقده جزء كبير من المواطنين، هناك صورة ردع مذهلة تتمتع بها إسرائيل، وهي صورة مبنية على نظرية تراها دول المنطقة مفادها أن إسرائيل قادرة على هزيمة أي عدو، أو تكتل أعداء، ومواجهة أي تهديد على أساس قدراتها العسكرية الاستراتيجية المنسوبة لها وفقا لعدد من المنشورات الأجنبية، أي أن لها ترسانة منظومات مدمرة نووية وغيرها من الوهلة الأولى وبكيمات هائلة، هذه بالطبع دون الخوض فيما إذا كانت هذه المنشورات صحيحة أم غير ذلك. وهذه هي إحدى الأسباب أننا قادرون على العيش هنا في هدوء. هناك مختلف الأوصاف حول القدرات التي تتمتع بها إسرائيل، ولكن حينما يتم الحديث عن الردع، الأمر الهام هو ليس ما تمتلكه، ولكن ما يؤمن

به العدو أنك تمتلكه، لذلك أعتقد أن سياسة التعتيم هذه ابتكار عبقري، هذا الابتكار وعقيدة "بيجين" قد تحدثنا عنهما سابقا.

هناك من يعترض على هذه العقيدة من سياسة التعتيم ويزعمون أن كل شيء يجب أن يكون ظاهرا، إنني أعرف هذا المذهب وأعتقد أنهم أناس لا يتحملون مسؤولية على الإطلاق، لأنه إذا ما قوبلت آرائهم بالقبول مرة أخرى أقول دون أدنى علاقة إذا ما كنا نمتلك أم لا، فإن دول المنطقة لن تصمت لأن هذه الدول تتهمنا طوال الوقت، لكن طالما ليس لهذه الدول دلائل تستند عليها فإن ما يقولونه ليس له قيمة. حتى "مردخاي فانونو[1]" ليس دليلا على أي شيء، الدليل الذي يُعد دليلا حينما تُعلن إسرائيل بشكل رسمي عن شيء ما. بشكل عام من الجدير الصمت على معظم الأمور التي نفعلها وإنني لا أتحدث فقط عن وسائل استراتيجية من هذا النوع وغيرها التي يعتقد العدو أننا نمتلكها، إلا إنني أتحدث أيضا عن العمليات العسكرية الناجحة مثل تفجير المفاعل النووي السوري.

(١) مردخاي فانونو (١٩٥٤): (بالعبرية: **מרדכי ואנונו**) هو خبير نووي إسرائيلي من أصل مغربي، عمل في مفاعل ديمونة وبعث لصحافيين صورا من داخل المفاعل ومعلومات عن القدرات النووية الإسرائيلية، معلومات سمحت لمختصين نوويين أن يقروا بوجود قوة هائلة من الأسلحة النووية لدى إسرائيل.

الفصل الرابع

مأساة الأخطاء الولايات المتحدة في الشرق الأوسط

على مدار السنين كنت متداخلا ليس فقط في علاقات إسرائيل مع جيرانها، بل أيضا في العلاقات الاستراتيجية مع الولايات المتحدة. نحن نعلم اسهام الولايات المتحدة في الأمن الإسرائيلي لكن بماذا أسهمت إسرائيل فيما يخص أمن الولايات المتحدة القومي؟ هل هناك مبرر لمقولة إن إسرائيل هي كحاملة طائرات أمريكية في الشرق الأوسط؟ وما إسهامنا للأمريكان من ناحية الاستخبارات والأصعدة الأخرى على وجه الخصوص بعد الهجوم الإرهابي في ١١ سبتمبر؟

هل يمكنك إعطاؤنا استعراض للجوانب التي كنت مشاركاً فيها على الأقل؟

بالطبع لا أستطيع الحديث عن جزء من ذلك. وما الذي تستطيع قوله؟

حسنا، قبل أي شيء يجب أن نبدأ مع المقولة الحمقاء، لكن صحيح بأنه لا يوجد لإسرائيل شريك مثل الولايات المتحدة هذه شراكة حقيقية، وكما وصفها علي مسامعي سيناتور أمريكي

هي شراكة تغطي كل شيء، صداقة حقيقية من الكونغرس ومن الشعب الأمريكي ومن البيت الأبيض ووزارة الدفاع الأمريكية والجهات المخابراتية، بالطبع يوجد علوا وانخفاضا مثلما يوجد في أي صداقة لكن الأساس متين، هذه صداقة مبنية من ناحية على المصالح، لكن من ناحية أخرى مبنية على رباط حقيقي من الممكن حتى أن نسمي ذلك رباطا نفسيًا، هذه صداقة تنبع من قيم مشتركة صداقة بين الديمقراطية الأكبر والأقوى في العالم وبين الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، الالتزام هنا عميق ويشمل مجالات كثيرة ومتنوعة إجمالا، يمكننا القول إن الصداقة مع الولايات المتحدة هي العمود الفقري الأساسي للأمن القومي الإسرائيلي.

العلاقات الخاصة مع الولايات المتحدة هي شهادة تأمين فعلية لسيناريوهات متطرفة. علي سبيل المثال حرب "عيد الغفران"١٩٧٣، المساعدات الأمريكية كانت حيوية مثل الهواء بالنسبة لنا تماما، أساس المعرفة بأن دولة عظمى كهذه تدعمك هو شيء يردع الأعداء ويقوي مكانتك، الولايات المتحدة وقفت بجانبنا في الأزمة الاقتصادية عام ١٩٨٥ . فقد منحتنا المعونة عندما استوعبنا مليون مهاجر في بداية التسعينيات، وذلك رغم أزمة

الضمانات التي ألقت بظلالها على ذلك[1].

سأعود لسؤالي الأساسي ما الذي تحصل عليه الولايات المتحدة في إطار هذه المنظومة من العلاقات؟

الكثير جدا. إسرائيل قادرة أن تعوض الولايات المتحدة عن صداقتها بثروات طائلة وعلى رأسها الاستخبارات، وصلت المخابرات الإسرائيلية بكل أفرعها وتنوعها لمستوي عال جدا فيما يتعلق بالموضوعات التي في صميم التهديد، ويستمتع الأمريكان بثمار ذلك. التعاون معنا يجعلهم في راحة كبيرة ويوفر عليهم أدوات وينقذهم من مختلف الشرور السيئة، ورغم كوننا صغار الحجم إلا أننا ذو قيمة كبيرة في هذه المجالات.

والتعاون ليس فقط في مجال المخابرات، فلتأخذ مثالا سلاح الجو، من ينظر للأمر يخيل له أن العلاقات من جانب واحد، بمعني نحن نتلقى طائرات متقدمة على حساب دافع الضرائب

(١) في عام ١٩٩١ وبعد حرب الخليج رفضت الولايات المتحدة ان تنقل لإسرائيل أموال الضمانات التي تصل لمليارات الدولارات من اجل استيعاب الهجرة الأكبر من الاتحاد السوفيتي سابقاً. الأمريكان اشترطوا نقل الأموال بتعهد صريح ألا تستخدم لبناء المستوطنات لكن رئيس الحكومة شامير رفض على الفور هذا الطلب.

الأمريكي. لكن الطرفان يربحان من ذلك وأنا لا أتحدث الآن عن أن المساعدات الأمنية توفر العمل للمصانع في الولايات المتحدة، وهذا يعد جانبا اقتصاديا مهما، بل على الجانب الأمني، بمعنى أن العلاقات بين أسلحة الجو في إسرائيل والولايات المتحدة ، وبين الأذرع الأخرى في الجيش والمنظومة الأمنية تخلق تقاربا كبيرا جدا يسمح لنا بمنحهم أمورا ذات قيمة، بالضبط مثلما يمنحوننا أمورا ذات قيمة، على سبيل المثال لإسرائيل اسهام جوهري مع الولايات المتحدة في مجال تطوير طائرات بلا طيار ، وفي مجال الالكترونيات، الطائرة في حد ذاتها هي شيء مهم جدا لكنه لا يكفي ، والعاطفة لا تقل أهمية قادة سلاح الجو على سبيل المثال هم أشخاص يحظون بقبول كبير في الولايات المتحدة والأمريكان يقدرون مستواهم جدا.

إنني اقر بشكل حازم وبدون أدني تردد انه ليس هناك بديلا للولايات المتحدة كصديقة وشريكة فريدة من نوعها لإسرائيل، هذه الشراكة هي بمثابة المعجزة فالولايات المتحدة كبيرة وقوية للغاية ويمكنها ببساطة أن تتجاهلك، على مدار كل هذه السنين سحرت من عمق الصداقة وعمق الحوار، بل حتى من القدرة على التخاصم معهم بشكل شديد، ودون كسر لقواعد العلاقات فعندما

تكون الصداقة عميقة للغاية وتقوم على قيم مشتركة يمكنك أن تجتاز أزمات شديدة.

قضية الجاسوس "بولارد" على سبيل المثال؟ كنت في المنظومة عندما حدث ذلك أليس كذلك؟

نعم كنت مساعد السكرتير العسكري لرئيس الحكومة.

وهل علمت بتجنيد بولارد في حينه؟

لا.

وماذا تذكر؟ ما الدروس من هذه القصة؟

لحسن الحظ "بولارد" لم يتم تجنيده بواسطة أي شخص من جهاز المخابرات المعروفين، أي من الموساد أو جهاز الأمن العام أو شعبة الاستخبارات[1]. هذا الأمر وفر علينا أزمة ثقة أكبر بكثير وبشكل موضوعي، عندما تحصل على معونة كبيرة جدا من دولة مثل الولايات المتحدة لا يمكنك أن تقوم بخطوة كهذه، بمعنى

(١) الجاسوس الإسرائيلي «يوناتان بولارد» تم تجنيده بواسطة مكتب العلاقات العلمية في وزاره الدفاع وهي جهة سرية تعمل على التوصل للتكنولوجيا الحساسة في المخابرات وتم إغلاق مكتب العلاقات العلمية في ١٩٨٠ عقب افتضاح أمره واعتقال بولارد..

أن تقوم بتشغيل جاسوس داخل هيئة المخابرات الأمريكية، حتى وان كان لذلك تفسيرا مقنعا بأن الأمريكان منعوا عنا المعلومات، الأمريكان ربما يتجسسون علينا لكن لا يمكننا أن نقوم بعملية كهذه في الولايات المتحدة ببساطة لا يمكننا، حتى من الناحية الأخلاقية، ولا حتى بمفهوم التكلفة والفائدة، هذا ببساطة أمر خطير محظور التصديق على أمر كهذا. في نهاية الأمر اجتزنا هذه الأزمة أيضا بسلام. حسنا لكن بعد كل ما قلته عن الصداقة الحقيقية مع الولايات المتحدة وعن انه لا بديل لها.

يجب أن نذكر أمرا مهما إضافيا هذه ليست صداقة مطلقة بمعني إننا في نهاية الأمر بصدد دولتين لكل واحدة منهن مصالحها، ولكل واحدة رؤية عالمية خاصة بها وأحيانا يتصادمان.

ناهيك الحديث عن إننا بصدد دولتين ديمقراطيتين، يوجد فيهما تداول للسلطة بين الحين والأخر، ولا توجد كيمياء دائمة بين رئيس الحكومة والرئيس الأمريكي، إذ أنه في فترة "أوباما" كان "نتانياهو" تقريبا شخصية غير مرغوب فيها في البيت الأبيض، وهذا اختلف من النقيض للنقيض في اللحظة التي أصبح فيها "ترامب" رئيسا.

معك الحق لكن يجب علينا أن نذكر شيئا آخر أن الرئيس "أوباما"

على النقيض مما قيل عنه كان ملتزما جدا بالأمن القومي لإسرائيل. وبفضله نجح جيش إسرائيل، ووزارة الدفاع في بلورة خطة لسنوات عديدة بسبب أن الولايات المتحدة منحتنا دعما للميزانية.

من ناحية أخري وجهة نظره في مجالات معينة كانت تتعارض مع مبادئ الأمن القومي لدينا. قبل أي شيء، الولايات المتحدة مخلصة لقيمها الديمقراطية وهذا أمر أنا بشكل شخصي أتضامن معه، السؤال هل يمكن إقامة ديمقراطية في الشرق الأوسط بمعني في العالم العربي والإسلامي، وهو ما كان في الأساس حلم "أوباما" وليس فقط لديه، بل يوجد إسرائيليون يعتقدون أن الديمقراطية في الشرق الأوسط هي شرط لأي علاقة معنا، إنني أذكر حالات جدل حول ذلك وقد توصلت في المقابل على مدار السنين إلى استنتاج، يمكن وصفه بأنه متحفظ جدا وفقا له الاستقرار في الشرق الأوسط أهم من الديمقراطية، فالديمقراطية ليست فقط التصويت في الانتخابات، الديمقراطية هي رؤية كاملة توازنات وعقبات وحقوق للفرد وما شابه ذلك هذه ثقافة كاملة، والعرب لا يرغبون في ذلك في اللحظة التي تفرض عليهم الديمقراطية تتسبب في علو قوى سوداء، وفي أحيان متقاربة قوى دينية مثل حماس والإخوان المسلمين، الذين يعادون إسرائيل لدرجة التهديد الوجودي، فهم

يرفضون وجودنا ويرغبون في القضاء علي دولة إسرائيل وبشكل قاطع هم غير مستعدين لأي نقاش.

في فترة "أوباما" وبقدر كبير أيضا بتشجيع منه نمت أنظمة حكم ضد الديمقراطية داخليا ومعادية لإسرائيل خارجيا، تحديدا عن طريق مسيرات ديمقراطية. على سبيل المثال حزب العدالة والتنمية الخاص ب "أردوغان" في تركيا والذي كان فعليا في الحكم قبل "أوباما"، لكنه اشتد جدا في فترته أو حزب الإخوان المسلمين الخاص بمرسي في مصر أكبر الدول العربية، والذي هو في الأساس حزب شقيق لحماس.

جماعة الإخـــوان المسلمين هي تهديد لا يـدرك اغلب الإسرائيليين معناه، هذه الحركة التي تأسست في ١٩٢٨ ترغب في الاستيلاء على الشرق الأوسط بالكامل، وتحويله لخلافة إسلامية، الشرق الأوسط الذي يتطلعون إليه لا مكان فيه لإسرائيل، بمعني إنهم يرفضون حق وجود إسرائيل لأسباب دينيه وهذا ليس محل نقاش أو حلول وسط.

الرئيس "أوباما" في لقاء مع الصحفي "جفري جولدبرج" قال الكلمات الآتية: إنني أبغض كل الحكام العرب بكافة أشكالهم

هؤلاء الديناصورات المخيفة إنني أفضل القوى الديمقراطية لدى حماس والتي صعدت بطريقة ديموقراطية.

الولايات المتحدة مع "أوباما"، رأت في هذا بشرى جديدة وفرصه لحلف تاريخي مع القوى الديمقراطية في الشرق الأوسط، مع الممثلين الحقيقيين للشارع العربي. لكن هؤلاء ليسوا بقوى ديمقراطية، حتى لو صعدوا للسلطة في انتخابات ديمقراطية، إنهم قوى الظلام الإخوان المسلمين على سبيل المثال يرفضون الحقوق الأساسية للنساء وهم مستعدون للديمقراطية التي تكون فيها الانتخابات لمرة واحدة فقط، وبعد ذلك لا لمزيد من الديمقراطية، هذا هو محور الشر السني برعاية تركيا الراغبة في تزعم العالم الإسلامي.

إدارة "أوباما" بغضت أنظمة الحكم الديناصورية الاستبدادية حتى المستقرة من الدول العربية كالسعودية ومصر، ولذلك منحت دعمها للإخوان المسلمين. الأمريكان أرادوا بشدة الإخوان المسلمين، ولم يكونوا مستعدين لسماع أن هذه خطوة خطيرة ستجلب ضررا شديدا على الاستقرار في الشرق الأوسط، هم قرروا أن هذا الأمر حيوي للديمقراطية الأمريكية ولنشر الديمقراطية في العالم. في النهاية تحقق الحلم، وتمثيل الشعب تحول لشراكة

حقيقية، الأمريكان قالوا عن الإخوان المسلمين: هي قوة حقيقية. ربما تكون قوة حقيقية لكنها معادية للغرب ومعادية لإسرائيل.

أنا شخصيا سمعت أكثر من مره الأمريكان يقولون: يجب تحرير رؤساء الإخوان المسلمين من السجون في القاهرة، وأنا أتحدث معك عن الفترة التي تلت سقوط مرسي، حينما كان جليا للجميع من هم الإخوان المسلمين والسيسي قال: لن يحدث ولن يكون.

الإخوان المسلمون هم العدو، وقد حاولوا السيطرة علي الدولة وعلي الجيش، والجيش المصري هو جهة عظيمة ليس عسكريا فقط، بل واقتصاديا أيضا، لقد ادخلوا مصر في حاله من الفوضى والسيسي أدرك ذلك، وإسرائيل أدركت ذلك لكن "أوباما" لم يدركه. كانت لدينا معه مناقشات جدلية شديدة حول ذلك، وجدنا أنفسنا في وضع غريب ندافع عن الموقف العربي بمعنى عن الدول العربية المعتدلة التي مر عليها الربيع العربي.

حقيقة أن الربيع العربي لم ينجح في إسقاط حتى نظام حكم ملكي واحد هي بمثابة المعجزة، من الممكن أن نفسر ذلك؛ بنسب جزء من هذه الأنظمة للنبي محمد ﷺ، وللنظام القبلي والعشائري هذا التراث له قيمة عظيمة في الشرق الأوسط، لكن وكأن الولايات المتحدة عميت أن ترى ذلك.

أنت تتحدث عن «أوباما»، لكن حماس صعد للحكم في انتخابات ديمقراطية ظاهريا، وبعد ذلك سيطر على قطاع غزة خلال فترة بوش وقبل عصر «أوباما».

أنا حقا لا اعلم لماذا سمحنا بإجراء انتخابات في السلطة الفلسطينية.

كان هذا خطأً جسيما، لأنه كان واضحا أن حماس يسيطر على أرض الواقع، ماذا يعني اختصار كلمة حماس؟ حركة المقاومة الإسلامية. بمعني حركة المقاومة الإسلامية لأنهم جزء لا يتجزأ من الإخوان المسلمين، أي الإخوان المسلمين ذاتهم الذين صعدوا للحكم في مصر بعد سقوط مبارك، ولا يوجد أي فارق بينهما أولئك وهؤلاء يعادون إسرائيل، وكما ذكرت هذا عداء ديني وليس قومي. لكن الأمريكان لم يتعلموا العبرة من صعود حماس للحكم، والذي حدث بالفعل قبل "أوباما" وتمسكوا بسياستهم بأنه يجب تنمية العلاقات مع القوي المستقبلية، وليس مع قوى الأمس تلك الأنظمة الحاكمة العربية التي رأى "أوباما" فيها ديناصورات خطيرة، لا تتناسب مع الوقت تقود شعوبها إلي المعاناة والفقر والضياع، ظاهريا هذا تحليل مثير للإعجاب، ويبدو منطقيا لكني توصلت بالفعل قبل ذلك بسنوات عديدة للاستنتاج أن الهيكل العشائري

القبلي وها أنا أكرر ما قلته لكنها نقطة ذات أهمية هو الشيء الأفضل، لأنه يضمن الاستقرار، صحيح لا توجد فيه ديمقراطية حقيقية، لكن لم تحن بعد الظروف لمثل هذه الديمقراطية في الدول العربية لأن البديل للأنظمة القائمة حاليا هو ليس الديمقراطية المزدهرة، مثل الولايات المتحدة بل قوى متطرفة وخطيرة وليست ديمقراطية، الإخوان المسلمين، أو مثل داعش الذي حاول أن يقيم في العراق وسوريا خلافة إسلامية، سنحتاج لسنوات حتى يكون الشرق الأوسط ناضجا للديمقراطية إن حدث ذلك في الأساس، وحتى ذلك الحين من الجدير أن نحذر من هذه التجربة وإلا سندفع الثمن غاليا جدا. تحدثنا سابقا عن المساهمة الإسرائيلية للأمن القومي الأمريكي، هيا نعود للحظة للهجوم الإرهابي في ١١ سبتمبر والذي كان في الأساس نوع من النقطة الفارقة من ناحية فهم أمريكا للعالم الإسلامي.

هل التعاون الاستخباراتي بين الولايات المتحدة وإسرائيل عقب ١١ سبتمبر تلقى أبعادا أخرى غير ما كنت تعرفه حتى ذلك الحين؟

انظر، لا يمكن القول إن دولة عظمى مثل الولايات المتحدة تتعلق بدولة مثل إسرائيل، لكنهم كما قلنا بالتأكيد يستمدون فائدة عظيمة من قدرات الاستخبارات لدينا، ليست تبعية، بل استفادة

الأمريكان مثلما أعرفهم قادرون على التغلب على كل أمر بمفردهم. لكن هذا سيكلفهم الكثير جدا من الأدوات، وان كانت إسرائيل تستطيع أن توفر عليهم ذلك فلما لا؟ إذ ان إسرائيل ذات قدرات عظيمة تحظي بالتقدير في كل العالم. وأيضا إسرائيل تربح من وراء ذلك، إنني أؤمن بهذا التحالف جدا فالذي بيننا وبين الولايات المتحدة لا يمكن أن يقوم على حب من طرف واحد، يجب أن يكون مبنيا على مصالح متبادلة وعلى الإحساس بالاستفادة والمساهمة والمعايير الأخلاقية.

هل يمكنك إعطاء مثال لذلك؟ على سبيل المثال، ما الذي ساهمت به إسرائيل خلال العقدين الأخيرين لفهم أمريكا لإيران؟

بالفعل كان في التسعينيات جزءا من المخابرات الإسرائيلية، وليست كلها خلافات في الرأي، على الأقل أقرت شعبة الاستخبارات بأن التهديد الإيراني هو التهديد الأخطر، فنحن أمام اتحاد خطير بين الأيديولوجية المتطرفة، والدينية، والعنيدة، والرافضة لحق وجود إسرائيل؛ بمعني أنها تسعى لتدميرها بشكل قاطع، وبين قدرات عالية جدا وحنكة في داخل الدولة قدرات إيران هي ببساطة أمر مذهل، وأنا أتحدث عن قدراتها في مجال الرياضيات، وفي العلوم، وهو الأمر الذي يمكن توظيفه في الازدهار الاقتصادي،

وفي التعاظم العسكري أيضا. ونحن في شعبة الاستخبارات أعطينا بالفعل في ١٩٩٦ تحذيرا لمجلس الوزراء حول التهديد الإيراني.

هل كنت رئيس قسم الاستطلاع؟

نعم، وقدمنا لمجلس الوزراء الخطر الكامن في الاتحاد بين الأيدلوجية، والإصرار على تنفيذ هذه الأيدلوجية والقدرات عن طريق الإرهاب وكذلك عن طريق حزب الله، رأينا أن الإيرانيين يقيمون بناء فيه اللبنة الأيديولوجية، ومن فوقها القدرات، وفوقها تحديد الأولوية في تخصيص الموارد وبشكل غير منطقي، انظر على سبيل المثال إلى المتظاهرين في إيران، الذين يخرجون كل فترة إلى الشوارع ماذا يقولون في الأساس؟

يقولون: لماذا تبذر إيران المال على الفلسطينيين؟ أو على حزب الله؟ كيف يساعد ذلك المواطنين الذين يعيشون في فقر؟

جزء كبير من الإيرانيين ونحن أمام شعب ذكي ببساطة لا يدركون هذا الترتيب المشوه للأولويات، لكن هذا لا يهم نظام الحكم الذي يهمهم هو تصدير الثورة ومحو إسرائيل من على الخريطة هذا هو الانجاز التاريخي الذي يطمحون إليه، ولا ينوون أن يحيدوا عن هذا الطريق ولا ينوون التوصل لتفاهم لذلك من يعتقد أنه يمكن

التوصل معهم لحل وسط هو مخطئ. الحكم الإيراني مقتنع أن العدل الإلهي بجانبه، وأن الله إلي جوارهم لذلك لا يمكنك حقا التوصل معهم لاتفاق، حتى عندما يوقعون علي اتفاق مثلما فعلوا مع "أوباما" ومع الدول الغربية، كانت خطوة تكتيكية فقط هم وجدوا أنفسهم في موقف ضعف والعقوبات ضيقت عليهم الخناق لذلك وقعوا على الاتفاق النووي كي ينجوا من هذا الوضع الصعب، لكن الأيديولوجية الدينية المتطرفة لديهم لم تتغير وطموحاتهم لم تتغير أيضا، ولذلك اتفاق كهذا لا يمكنه الصمود لوقت طويل والطريقة الوحيدة للتعامل مع الحكم الإيراني هي ردعه، فقط بهذه الطريقة يمكن التعامل مع الحكم الإيراني القائم علي الأيديولوجية الدينية المتطرفة، الردع. وبدون الردع ليس لديك أي طريقة للحوار مع الطرف الأخر. وهنا يكمن خطأ "أوباما" إيران كانت قريبه من السقوط بسبب الوضع الاقتصادي، لأنه عندما قادت الولايات المتحدة العقوبات لا يمكن الوقوف أمامها مثل البلدوزر الذي يدهس كل ما يظهر في طريقه، لقد لهث الإيرانيون حقا في مطلع الطريق من شدة العبء الذي حملوه علي عاتقهم، بسبب تلك العقوبات لكن سياسة "أوباما" كانت ألا يدخل في صدام مع إيران، ولذلك اختار اتفاق والذي بالفعل حقق الهدوء لعدة سنوات لكنه

منح الإيرانيين الحق في تطوير سلاح نووي بعد مرور عشر سنوات، أي أنهم حصلوا من الأمريكان علي تصديق بتطوير سلاح نووي في المستقبل مقابل الهدوء في الوقت الحالي، حتى في أفضل أحلامهم الوردية لم يكن يتوقع الإيرانيون أمرا كهذا.

ما لم يفهمه "أوباما" أن الإيرانيين لن يتنازلوا عن مشروعهم النووي.

لماذا؟

لأنه جزء من الإيديولوجية العنيدة الخاصة بهم، والتي لن يغيرها اتفاق كهذا أو ذاك. هم بنوا استراتيجية نووية عسكريه من خلال فكرة أن السلاح النووي سيسمح لهم بتحقيق الحلم، وإزالتنا من هنا. كي نفهم ذلك يجب أن نضع أنفسنا مكان الخصم، وهذا بالضبط دور المخابرات فدور المخابرات الإسرائيلية هو ألا نتفاعل مع المنطق الإسرائيلي، بل أن نفهم منطق العدو، بالطبع فعل ذلك شيء كبير، وأن نكون مدركين لقيود القدرة في أن نضع أنفسنا مكان شخص آخر، لكن من خلال الثقة بالنفس بالفعل تستطيع فعل ذلك، على أساس القدرات اللانهائية والتحليلية التي لدي المخابرات.

العقوبات الأمريكية التي ضيقت الخناق على الإيرانيين تم

فرضها على أساس مخابراتي هل تسال عن مساهمتنا؟ سأعطيك مثالا لذلك عن طريق ما يسمي بـ National intelligent estimate تقدير المخابرات القومية التي تقدم للرئيس الأمريكي بواسطة إدارة المخابرات القومية للولايات المتحدة، وهي المنظمة الأعلى لـ ١٦ وكالة مخابرات فدرالية في تقدير المخابرات الذي قدم للرئيس جورج بوش في ديسمبر ٢٠٠٧ كتب صراحة

We judge with high confidence that in fall2003;
Tehran halted its nuclear weapons program

«نحن نقدر بشكل كبير من الثقة أن طهران أوقفت
مشروعها النووي في خريف ٢٠٠٣.[١]»

الرئيس بوش تلقي هذا التقدير حرفيا، وهكذا اقر أن التهديد الإيراني ليس رهيبا على النقيض التام من تقدير المخابرات الإسرائيلية والصورة الاستخباراتية التي قدمناها للأمريكان. بدا ذلك وكأنه إملاءً سياسيا على المخابرات الأمريكية.

بذلنا جهودا كبيرة من أجل اقناعهم بسوء هذا القرار. ولم يكن ذلك سهلًا لكن في نهاية الأمر مخابراتنا أقنعتهم أن إيران تهديد

(١) Iran: nuclear intentions and capabilities. Office of the 2007 director of national intelligence. November

جوهري، وأنهم لم يوقفوا أبدا مشروعهم النووي، نتيجة لهذه الجهود رأينا في فبراير ٢٠٠٨ ظهر مدير المخابرات القومية في حينها "مايكل ماكونيل" أمام لجنة الأجهزة المسلحة التابعة لمجلس الشيوخ. فعليا هو لم يتراجع تماما عن التقرير، لكنه أكد أن إيران مستمرة في العمليتين الوثيقتين لإنتاج سلاح نووي، وهما تخصيب اليورانيوم والذي سيسمح بإنتاج مادة انشطارية، وصواريخ بالستية بعيدة المدى والتي تستطيع حمل رؤوس نووية. وقد أكد أن إيران على عكس ما كتب في التقرير السابق مصممه على تطوير سلاح نووي[١] أي أن الأمريكان أدركوا أن الذئب الإيراني لم يتحول فجأة لنعجة بريئة، وقد توصلوا لهذا الاستنتاج بقدر كبير بسبب مخابراتنا. إنني افترض أنك شاركت في أساليب الإقناع التي أدت إلى تغيير تقدير المخابرات الأمريكية هل حدث هذا.

يمكنني أن أقول لك إنني كنت منغمسا مع الزملاء الأمريكيين في مواجهات كثيرة، تقدير المخابرات في ٢٠٠٧ لكنهم أدركوا أنه ليس لدي أي شيء شخصي ضدهم، بل إنني أعمل من خلال ألم

(١) انظر أيضا: افرايم كيم»تآكل تقديرات المخابرات الأمريكية في الموضوع النووي الإيراني «. مجله «مباط عل» العدد ٥٠ بتاريخ ٢٥ مارس ٢٠٠٨. معهد الأبحاث الأمنية القومي. جامعه تل أبيب.

حقيقي وإنني لم احضر إليهم بسبب أحاسيس داخليه، لا تستند على شيء، بل أتيت إليهم مع معلومات مخابراتية بأسانيد وتحليلات استخباراتية.

وبالمناسبة تلقيت مرتين نياشين من الأمريكان، واحدا كان نيشانا تلقيته من رئيس DIA المخابرات العسكرية والثاني كان Legion of merit وسام الاستحقاق والذي يعد النيشان العسكري الأعلى الذي يمنح لمواطن، أو رجل عسكري أجنبي وموقع بقلم وزير الدفاع الأمريكي، بالإضافة لوسام يوضع علي الصدر في مراسم عسكريه كاملة وهو أمر يثير الفخر والاحترام. كنت حينها رئيس قسم الاستطلاع، ودعوني للمراسم في واشنطن للحصول على الوسام.

هل قصصت عليك ذلك ذات مره؟

لا.

تلقيت موافقة من رئيس هيئة الأركان العامة، وطرت إلى واشنطن وعندما هبطت قال لي "جورج تنت" الذي كان وقتها رئيس الـAIC: اعتذر لأنك لن تستطيع الحصول على الوسام. فسألته: لماذا؟ ماذا فعلت؟ حينئذ قال لي: لا تسأل فانا لا أستطيع أن احكي لك.

فيما بعد اتضح أن عناصر معادية للسامية أو معادية لإسرائيل منعتني من الحصول على الوسام، باختصار عدت إلى إسرائيل يملؤني الحرج. بعد عام بالفعل، كنت منسق العمليات في الأراضي الفلسطينية.[1] وفي أحد الأيام اتصلوا بي من السفارة الأمريكية في تل أبيب، قائلين: وصلت المصادقة على منحك الوسام.

حسنا.

بعد عدة أيام أتى إلى مكتبي اثنين من "الكولونيلات" لدرجه إنني نسيت أن أخبر زوجتي أن تأتي اعتقدت أن ذلك حدث آخر، ووقتها وفي مراسم مؤثرة جدا منحوني في مكتبي هذا الوسام، وقاموا بالتصوير من كل اتجاه.

بالمناسبة حصلت علي وسام مشابه أيضا من بولندا، قبل عشر سنوات منحني إياه وزير الدفاع البولندي بنفسه.

على أية حال تحدثت عن المساهمة الحاسمة لإسرائيل، خاصة المخابرات بكافة أفرعها في فهم الأمريكان للتهديد الإيراني.

إذا ما الذي تغير في الأساس في عصر اوباما؟ الم يدرك هذا التهديد؟

---

(١) تم تعيين جلعاد في المنصب عام ٢٠٠١.

انظر، إدارة "أوباما" دائماً ما زعمت أن كل الخيارات على الطاولة، ونشروا أنهم طوروا خيارا يفرض الرعب الشديد، حيث نشروا فيلما صغيرا في التلفزيون والشبكات الإخبارية ترى فيه تجربه لقنبلة تم إلقاؤها على دشمة، وما تبقي منها فقط دخان. أي شيئا يشبه منشأه نووية إيرانية، يسقطون عليه هذه القنبلة لن يبقي منه شيء، لكن عندما قال "أوباما": إن كل الخيارات مطروحة لم يتحدث صراحة عن الخيار العسكري، اعتقد أنه لم يؤمن حقا أن الولايات المتحدة هي دولة عظمى، ولديها قدرة عسكرية للتعامل مع إيران وهو أراد على ما يبدو منع المواجهة بأي ثمن، لكن ما العمل كي تحافظ على الاستقرار يجب أحيانا أن تستخدم القوة العسكرية.

إذا ما الذي كان مسموحا؟

في البداية فرضوا عقوبات، واختنق الإيرانيون حقا من العقوبات، ولقد تحدثنا عن ذلك وأدار الأمريكان ذلك بفاعلية فريدة، لكن بدلا من الاستمرار حتى النهاية قرر "أوباما" اتخاذ طريق لطيف ومتحذلق باتفاق مع الإيرانيين، والذي يعنى في الأساس؛ أنتم لا تستطيعون تطوير سلاح نووي الآن لكن سيمكنكم ذلك في المستقبل.

حسب رؤيتي هذا شيء خطير، إنني ازعم أنه يوجد تشابه مذهل

بين إيران وألمانيا النازية إذ أنهم يدعون على الملأ لتدميرنا، فهم يبغضون دولة إسرائيل ويلقون الخطب من أجل القضاء عليها، هذا هو الملخص في الأساس. وأتى "أوباما" وكأنه يتصالح معهم من وجهة نظره، وهو ربح من وراء ذلك الهدوء وأنه سينهي ولايته دون تهديد إيراني نووي. بمعني أن القنبلة الإيرانية لن تكون في فترته.

صحيح، وفي الحقيقة هو أنهى ولايته دون أن يتوصل الإيرانيون إلى قنبلة لكن ما الذي فعله حقا؟ لقد أجل النهاية لمدة عشر سنوات ربما تقديره أن النظام الحاكم سيسقط، في ذلك الوقت الحقيقة كانت هناك مظاهرات لكن في اللحظة التي تتجه فيها لاتفاق، وتوقف العقوبات أو تقلل منها أنت فقط توفر المزيد من الأكسجين لهذا النظام الحاكم الشرير.

في اعتقادك ماذا كان يتوجب عليه فعله؟

اعتقد أنه كان على الولايات المتحدة أن تستمر في العقوبات، بكل قوة حتى ينزل النظام الحاكم في إيران ويستسلم، كان يجب عليهم أن يضغطوهم بالعقوبات حتى يتحولوا إلي دولة بلا أنياب تهدد المنطقة، وعندئذ وفقط وقتها يتم التوصل معهم لاتفاق دائم، وليس لعشر سنوات. ماذا تعني عشر سنوات للإيرانيين؟ يجب

أن نذكر أن الفرس ينظرون إلى التاريخ كحقب زمنية، تمتد لآلاف السنين ولديهم الصبر.

فلماذا لم يتخذ «أوباما» حسب رأيك هذا الخط إذ أنك لا تتحدث عن مواجهة عسكرية ولم يرغب فيها، بل تتحدث عن عقوبات؟

اعتقد أن هذا بسبب بغض إدارة "أوباما" للدول العربية مثل السعودية التي يهددها الإيرانيون بما لا يقل عن تهديدهم لإسرائيل، وأيضا بسبب أن الأمريكان اعتقدوا أن إسرائيل عدوانيه للغاية، وهم أرادوا حلا سلميا ربما أراد "أوباما" أن يدخل التاريخ كمن وقع على اتفاق سلام مع إيران. حينها عقدوا محادثات سرية مع إيران، ولم يشركونا تقريبا أو لم يشركونا على الإطلاق، وفجأة ظهر الاتفاق هذا لا يعني أننا لم نعلم فلدينا طرق للمعرفة لكنهم بالتأكيد حاولوا إخفاء ذلك عنا، وهكذا حظوا بالهدوء في الوقت الحاضر، مقابل حق الإيرانيين في تطوير سلاح نووي في المستقبل. كما يجب أيضا أن نذكر أن الاتفاق لا يشمل تطوير وإطلاق صواريخ ولا يتضمن الإرهاب، وهما أمران من شأنهما أن يقودانا إلى مواجهات رهيبة ومخيفة وتزعزع الاستقرار.

أنت تتحدث في هذا السياق عن حزب الله.

بالتأكيد، إذ ان حزب الله هو أحد الأذرع الإيرانية تماما. الإيرانيون استولوا على لبنان بطريقة خبيثة فقط سيطروا على جزء من لبنان يتفق مع الهجوم على إسرائيل، أي من بيروت جنوبا حتى الحدود وحولوا حزب الله لمقاول رئيسي لهذا الشأن، وقد تصرفوا بحكمة كبيرة، إذ أن حزب الله هو حركة شيعية لبنانية في الأصل وهو يتدخل في شؤون الطوائف الأخرى كما فعلت بعض الجهات الحكيمة، ونحن من بينهم عندما حاولنا تغيير النظام الداخلي في لبنان وقد تحدثنا عن ذلك بإسهاب. فهو يقيم علاقات ممتازة مع المسيحيين ومع الدروز ومع السنة طالما أنهم لا يزعجونه في ان يدير فعليا لبنان، ويصيبها بالشلل كدولة ذات سيادة وكذلك يدير دوله خاصة به برعاية إيرانية من بيروت وحتى حدود إسرائيل، هذا المشروع يديره الحرس الثوري ويديره الجنرال قاسم سليماني[1].

(١) قاسم سليماني (١٩٥٧ -٢٠٢٠) هو عسكرياً إيرانياً وقائداً لفيلق القدس (١٩٩٨-٢٠٢٠)، وهو من قدامى المحاربين في الحرب العراقية الإيرانية في الثمانينيات، خلال الحرب العراقية الإيرانية، قاد فيلق ٤١ ثار الله (وهو فيلق محافظة كرمان)، كان كذلك سليماني نشطا في العديد من الصراعات في بقية أنحاء الشرق الأوسط، وخاصة في العراق والشام، قتل ليلة الجمعة الموافق ٣ يناير/ كانون الثاني ٢٠٢٠ باستهداف القوات الامريكية لمطار بغداد بطائرات مسيرة.

حسنا، انتهينا مع عصر «أوباما» ولدينا الآن «دونالد ترامب» وهو على النقيض تماما من سابقه في كل ما يتعلق بالشرق الأوسط، بشكل عام وإسرائيل بشكل خاص وفي الواقع تتبني الإدارة الأمريكية الرواية الإسرائيلية.

الناس تأتي اليوم وتقول: لم يكن وضعنا السياسي أبدا أفضل من ذلك. الولايات المتحدة و"ترامب" معنا حسنا، لكن في بداية فقليل جدا من الديمقراطيين في إدارة ترامب معنا، فنحن نعتمد على الإنجيليين وعلى عناصر قوية تمنحنا في الحقيقة الدعم. لكن ماذا سيحدث إذا خسر "ترامب" في انتخابات نوفمبر ٢٠٢٠ وصعد الديمقراطيون؟ علينا أن نتذكر أننا نبتعد عن أوروبا ومستمرون في فقدان شرعيتنا بإيقاع سريع جدا في أوروبا. فمن الناحية النفسية أن الولايات المتحدة الأمريكية دولة عظمى، وتعترف بالقدس كعاصمة أبدية لدولة إسرائيل، وهذه رسالة للعالم بأنها تقف إلى جوارك يرفع روحنا المعنوية، لن يكون لدى إيران سلاحا نوويا، سوف نمنعهم من ذلك. والسؤال هنا وهو سؤال مهم هل لديهم استراتيجية فعليه؟ فقد خرجت أمريكا من الاتفاق لكن ماذا تفعل الآن؟ علي مدار السنين تعلمت أن أقدر وأحب حقا السياسية العملية والتي تحبط التهديدات ضد مواطني إسرائيل. هذا ما أثار

اهتمامي دائماً وهذا من وجهة نظري أهم شيء، هذا مجال يجب أن تحقق فيه انجازات حقيقية ويمكنك الوصول لإنجازات والعمود الفقري في هذا الأمر هو القوة الإسرائيلية، وهذا أمر صحيح لكن إذا قال على سبيل المثال رئيس الولايات المتحدة: سأحارب التهديد الإيراني، وفي الوقت ذاته يتمركز الإيرانيون في قواعد في العراق وسوريا بشار الأسد، وإذا قالت الولايات المتحدة أن بشار لن يكون رئيسا وفي النهاية ظل رئيسا، وإذا أصر الإيرانيون علي بناء قاعدة في هضبة الجولان و "ترامب" لم يقل كيف ينوي منع ذلك إذن فقد قام بنصف ما عليه عمله.

والسؤال هو هل الأمريكيين مصرون على إخراج الإيرانيين والمليشيات الشيعية من سوريا؟

أنا لا أتحدث عن نية، بل عن إصرار، هذان أمران مختلفان عن بعضهما، تصريح "ترامب" بخصوص سوريا أخافني بشكل عميق لم يخيفني فقط، بل أزعجني.

أي تصريح؟

قال "ترامب": نحن سنغادر سوريا. ماذا يعني ب "سنغادر"؟ إذن من سيكون هناك؟ ها هو الأسد قد استخدم سلاحا كيميائيا

والولايات المتحدة ألقت بالمسؤولية على روسيا، لكن ماذا يعني هذا من الناحية العملية؟ الروس يتنكرون لذلك ولن يحدث شيء. فعندما قالت الولايات المتحدة إنها لن تسمح للأسد باستخدام سلاح كيميائي ضد المتمردين، ويستخدم سلاحا كيميائيا رغم ذلك والذي هو سلاح غير تقليدي يستلزم تقديمه للمحاكمة ولا يحدث له أي شيء. وعندما سمح الأسد برعاية روسية للإيرانيين أن تشتد قوتهم إذن فقد نشأت أمامنا جبهة شرقيه برعاية روسيا، وروسيا فعليا ليست معاديه لنا بصوره فعاله لكنها الشريك الاستراتيجي لإيران، لدي الروس علي عكس الأمريكان استراتيجية واضحة أنهم يسيرون مع إيران، ويسيرون مع حزب الله وهم يسيرون مع سوريا يؤيدون هنا وهناك الأكراد ويضايقون الأتراك.

عندما يقول الأمريكان إنهم لن يسمحوا لإيران بالوصول لسلاح نووي ماذا يعني ذلك في الأساس؟ هم انسحبوا من الاتفاق النووي لكن ماذا بعد؟

هذا هو الموضوع بالضبط، لأنه إذا قالت الولايات المتحدة: نحن لن نسمح لإيران بالسلاح النووي، وفي النهاية سيكون لدي الإيرانيين سلاحا نوويا، فهذا ليس بتهديد لإسرائيل وحدها، بل لدول عربيه في المنطقة وهذا من شأنه أيضا أن يؤدي لفقدان قوة

الردع الأمريكية، ولنفترض أن كوريا الشمالية تتجاهل الولايات المتحدة وتنقل أسلحه نووية لإيران أو تشاركه مع دول عربية إلى أين سنصل؟ عندما تصرح بتصريحات كهذه يجب أن يكون لها مضمون عملي.

لا يمكن الحديث عن سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، بدون التعرض للغزو الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣ وتداعياته على إسرائيل. كنت وقتها المتحدث باسم الدولة، وتم توجيه انتقادات لك أنك أقنعت الجمهور الإسرائيلي أن لدي صدام حسين سلاحا غير تقليدي، على سبيل المثال وفي بيان للصحافيين في فبراير ٢٠٠٣ قلت: أن صدام امتلك سلاحا كيميائيا بكميات مذهله، يتم توجيهها إلى نصف العالم. ويوجد لديه على ما يبدو أيضا سلاحا بيولوجيا وهو يعمل على بناء سلاح نووي. في لقاء مع إذاعة الجيش الإسرائيلي في تلك الفترة قلت: أن المخاطر المتوقعة لنا من شأنها أن تكون خطيرة أكبر من تلك التي مررنا بها في حرب الخليج لأنه هذه المرة وعلى عكس حرب الخليج صدام كافح من أجل بقاءه.

بينما في لقاء مع صحيفة "يديعوت احرونوت" في ٧ مارس ٢٠٠٣ قلت: إنني افترض أنه عندما يدخل الأمريكان للعراق

سيكتشفون أمورًا سيرتعد لها العالم[1] هذه التقديرات ثبت عدم صحتها والأمريكان لم يكتشفوا أي سلاح غير تقليدي.

فما قولك فيما سبق من مواقفك السابقة؟

في البداية لم أكن بشكل رسمي في شعبه الاستخبارات، في تلك الفترة التي أطلقت فيها هذا التقدير، بل كنت منسقا للعمليات في الأراضي الفلسطينية، وحصلت على تعيين ثانوي كمتحدث باسم الدولة، بمعني كان هناك رئيسا لشعبة الاستخبارات وكان مسؤولا، وكان هناك رئيسا لقسم الاستطلاع، والذي كان مسؤولًا أيضا. لكن لو كنت في شعبه الاستخبارات كنت سأعتقد الأمر ذاته. نحن نأخذ هذا الخطر على محمل الجد، وتصريحاتي كمتحدث باسم الدولة وكذلك بعض التصريحات المشابهة عكست التقدير الرسمي وليس الخاص بنا فقط، بل كان للأمريكان أيضا اعتقاد بأن لدي صدام حسين سلاحا نوويا، أنا أيضا اعتقدت ذلك وتم استخلاص الدروس من ذلك. لكن أريد البدء من خلفية ذلك، كان صدام حسين واحدا من الزعماء الذين ترعرعوا هنا في الشرق الأوسط ولا أريد

(١) تقديرات المخابرات الإسرائيلية ما بين الأعوام ١٩٩٨:٢٠٠٣. تصريحات للإعلام». تحديث استراتيجي. المجلد السادس العدد ٣ نوفمبر ٢٠٠٣.معهد أبحاث الأمن القومي. جامعة تل أبيب

أن اسميهم بالمجانين لأن ذلك سيعفينا ويعفيهم من المسؤولية على أفعالهم، لكنهم كانوا متطرفين ومتعصبين للغاية، وقد وضع لنفسه هدفا أن يطور سلاحا نوويا، وكان على هذا الدرب، ولولا أن رئيس الحكومة "بيجين" أصر على ألا نكون معرضين لخطر أحداث نازية ثانية، وقرر تدمير المفاعل العراقي على عكس توصيات رئيس الموساد، ورئيس شعبة الاستخبارات لكان صدام توصل للقنبلة.

وجه في ذلك الحين انتقادا ل "بيجين" بسبب أنه هاجم المفاعل العراقي، وأنا مقتنع حتى يومنا هذا أنه أحد القرارات اللامعة والمؤثرة وتخرج من زعيم مثل رئيس الحكومة الإسرائيلية، هذه بالضبط نظرية "بيجين" التي تقر بأنه محظور أن نسمح لدولة معادية بامتلاك السلاح النووي، وهي نظرية أؤيدها بشكل كبير، وهذا أيضا ما وجه رئيس الحكومة "ايهود أولمرت" عندما قرر تدمير المفاعل السوري، التعتيم النووي ونظرية "بيجين" هما أمران مهمان جدا دان بهما آباؤنا من قبل.

كل ذلك حدث في ١٩٨١ بعد ذلك طور صدام كميات هائلة من السلاح البيولوجي والكيمائي، وعندئذ في أغسطس ١٩٩٠ غزا الكويت واندلعت حرب الخليج الأولى، وكانت القدرات اللانهائية لشعبة الاستخبارات والموساد في العراق وكل أفرع المخابرات

كالعدم. حاولنا بلورة تقديرات هل سيطلق علينا الصواريخ أم لا. كانت هناك مناقشات جدلية رهيبة وشديدة حول الموضوع، وكان هناك من قالوا من الشخصيات الكبرى: ليست هناك احتمالية أن يطلق علينا الصواريخ لأنه يخافنا. وكمسؤول عن قسم الاستطلاع في شعبة الاستخبارات حول الشأن العراقي برتبة عقيد، قدمت تقديرات لا تنتهي. وكتب المعلق العسكري "زئيف شيف" عن ذلك في حينها أنه في ١٩٩١ التقديرات كانت ناجحة، وتجميع المعلومات فشل بينما في ١٩٧٣ كان تجميع المعلومات ناجحا والتقديرات فاشلة، وكان هذا صحيحاً.

وماذا كانت تقديراتك؟

زعمت وصممت على أنه في اللحظة التي احتل فيها صدام الكويت، والتي وصفها بأنها المحافظة رقم ١٧ في العراق، لن يخرج من هناك تحت التهديدات الأمريكية وأنه إذا هاجمت الولايات المتحدة العراق، سيطلق الصواريخ على إسرائيل وبالفعل هذا ما حدث.

عندما نتحدث عن الغزو الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣ وعن النقاش هل لديه أسلحة كيميائية أم لا، يجب أن نأخذ في الحسبان

ما حدث في ١٩٩١ توجد قاعدة نفسية معروفة أنه إذا لم يوجد لديك معلومات جديدة فلتستند على المعلومات السابقة التي كانت لديك، وعلى تجربة الماضي وهذا ما حدث استنادا على القدرة على تجميع المعلومات في العراق والتي كانت في ٢٠٠٣ ضعيفة، واستنادا على ما نذكره أو نعرفه وبما أنه لم يزعم أحد من جماعات المخابرات الأمريكية أو الألمانية، والبريطانية أن صدام تخلص من سلاحه الكيميائي، ومن خلال معرفة كيف يمكنني أن أُسمي ذلك شخصية صدام ذات الطبيعة الخاصة كانت التقديرات أن لدية سلاح كيميائي. إنني أعلم أن هذا يبدو كمبرر، لكنني لا أرغب في التبرير فأنا اعتقد أن في الأوضاع المتطرفة التي لا يوجد لديك أي معلومة وليس لديك أي قدرة على تجميع المعلومات حول الهدف ذات الصلة، وحتى لو أن المعلومات التي تؤيد الخيار الخطير مشكوك فيها، وكذلك تعتمد على كل أنواع العملاء الذين لا تثق في ولائهم، وتتبنى الدول العظمي الغربية هذه المعلومات إذن ليس لديك أي خيار، يجب عليك أن تتبني هذه التقديرات، حاليا نحن نعلم بالفعل أن الأمريكان فبركوا معلومات مخابراتية. حتى يومنا هذا اشعر بالأسف حول الأمر.

ماذا تعني بالأسف؟

إنني أفكر ماذا كان علينا فعله بشكل مختلف؟ على الرغم ومثلما قلت قبل ذلك إنني لم أكن موجودا وقتها في شعبة الاستخبارات، بل كنت المتحدث الرسمي للدولة، في نهاية الأمر يجب عليك أن تشرح للجمهور ما حدث، ولا يمكنك نفى الخطر عندما تقر المخابرات بوجود خطر كهذا، ومرة ثانية أنا لا أعتمد على المخابرات لأنني شخصيًا، لو كنت في تلك الفترة في شعبة الاستخبارات كان سيتبلور لدي -على ما يبدو- تقدير مشابه. إذا كان لدي صدام حسين سلاحا كيميائيا هل كان سيستخدمه مع علمه بأن الرد سيكون مدمرا؟ إذ أنه في حرب الخليج الأولى، لم يرسل صواريخ ذات رؤوس كيميائية، بل أرسل فقط صواريخ تقليدية.

يمكنك أن تأتي وتقول: كيف يمكن أن نتخيل أن صدام مستعد لتدمير دولته من أجل الدفاع عن صورته القوية؟ هذا في الحقيقة يثير الأفكار حول إلى أي مدى يمكن أن تتأثر تقديرات المخابرات بالحالات النفسية لبعض الحكام، الذين جزء منهم تحديدا في الشرق الأوسط شخصيات خطيرة جدا.

على أية حال الرواية السائدة حاليا أن صدام كان مستعدا أن يتصرف وكأن لديه سلاح استراتيجي فقط، من أجل هيبته التي كانت مهمة جدا له عن الاعتراف بأن ليس لديه سلاحا كيميائيا.

سمعنا ادعاءات ليست بالقليلة، أن إسرائيل دفعت الولايات المتحدة لغزو العراق ماذا يمكنك أن تقول حول ذلك؟

توجد في الولايات المتحدة مجموعة قوية جدا تقول: إن إسرائيل دفعت الرئيس "بوش" للحرب في العراق، ويمكنني القول بشكل مؤكد أن هذا ليس صحيحا وهذا لا يستند على أي أساس، ليس فقط أن إسرائيل لم تدفع الولايات المتحدة للحرب، بل أن الأمريكان رغم أن الرئيس بوش كان صديقا صدوقا لإسرائيل، منعوا عنا أي معلومات عن خططهم. إسرائيل لم تكن مشاركة، وأخبرونا في اللحظة الأخيرة أنهم على وشك الهجوم لأنهم خشوا أن يطلق صدام علينا صواريخ كان يخفيها، وبسبب كوننا حلفاء لم يستطيعوا أن يمنعوا عنا هذه المعلومات، وخشي الأمريكان أنه إذا حدث ذلك سيتهمونهم بأنهم أهملوا حليفتهم. بالمناسبة سألني المحقق الصحفي في الـ "نيويوركر" السؤال ذاته وأجبته اجابة مشابهه.

بشكل عام ما السبب في أن تدفع إسرائيل الأمريكان للهجوم على العراق، بينما التهديد الأكبر الذي يلوح ضدنا وهذا ما أقوله منذ ١٩٩٦ هو إيران؟

كتب هذا الصحفي شيئا إضافيا لم يكن أيضا منطقيا، فعندما كنت المتحدث الإعلامي باسم الدولة وأنا احكي لك هذا بكل صدق قلت: أنه إذا تم فتح مخازن السلاح لدي صدام حسين، ورأوا أي سلاح كيميائي لديه سيرتعدون وفي النهاية كانت المخازن فارغة، والكلام الذي قلته لم يكن صحيحا ووقتها كتب إذا كان هذا تقدير الجنرال "جلعاد" عن العراق فربما هذا هو أيضا تقديره عن عرفات. حيث انه هنا كان مغرضا من الناحية السياسية هذا ليس بعدل.

أولا: من الممكن ان تكون ناجحا في المخابرات ٥٠٠ مرة وتفشل مرة واحدة.

ثانيا: أنا لم أكن موجودا وقتها في شعبه الاستخبارات لكنني أعود وأقول: لو كنت في شعبه الاستخبارات كنت أيضا سأقدر الأمور بنفس الطريقة لان هذا ما كان متاحا لنا.

في الصفحة القادمة خطاب وداع تلقاه "جلعاد" مع اعتزاله العمل في وزارة الدفاع من الجنرال المتقاعد "جون الآن" الذي كان قائد

قوات التحالف في أفغانستان، ورئيس الائتلاف الدولي لمكافحة داعش وترجمته للعبرية.

"عاموس" كان من الرائع مقابلتك مؤخرًا مثلما ذكرت في وجبه الإفطار، لا يمكنني أن أتخيل وزارة الدفاع بدونك أو الخدمة العامة لدولة إسرائيل بدونك، لم يمكنني أن أكون أكثر صدقا عندما هنأتك على عقود كثيرة في خدمة دولتك، وفي خدمة شعب إسرائيل الغالي.

إنني اذكر لقائنا الأول حيث كنت نائب قائد القيادة المركزية للولايات المتحدة، وكان الدور الموكل لي هو تقديم المساعدة بالحوار الأمني مع إسرائيل، وقت مسيرة السلام التقينا في مكتب "أمير ايشيل"، وأتذكر إنني فكرت إذا هذا هو "عاموس جلعاد" المبجل الذي سمعت عنه كثيرا جدا وخلال وقت قصير للغاية، توصلت لاستنتاج أن هذا الرجل من شأنه أن يصبح صديقي العزيز، ويفوق بكثير الصيت الذي ذاع عنه. "عاموس" مرت علينا سويا فترات زمنيه مثيرة للتحدي، في حفله اعتزالك سيفصل الآخرون بين ما يخص حياتك المهنية العسكرية الجليلة، وما يخص عملك في وزاره الدفاع. لكن اسمح لي أن أضيف لكلمات الثناء والمديح شيئا ما من عندي. إنني أجد صعوبة في العثور على الكلمات، ولا أستطيع أن أبالغ حول مساهمتك التي ساهمتها من أجل أمن وسلامه

دولة إسرائيل، خاصة ومن أجل المنطقة بشكل عام، جهودك للتألف بين إسرائيل وبين الحليفة الأمريكية العنيدة أحيانا، جعلتك تجسيدا للتسامح الاستراتيجي، لقد كنت جنديا شجاعا وجسورا ودبلوماسيا خبيرا، ووافر المواهب أغلب الإسرائيليين سيذهبون للنوم اليوم، دون أي دراية بأنهم يدينون كثيرا بنومهم الهادئ للحياة الكاملة التي ضحى بها "عاموس جلعاد" دون أي أنانية، وفي النهاية مع الكثير جدًا من الانجازات فإن الانجاز الذي أشكر الرب عليه والذي سأحفظه في قلبي للأبد، هو إمكانية أن أدعوك بصديقي. نعتاد في قسم الأسطول الخاص بالولايات المتحدة، والذي ينتمي إليه سلاح المظلات ان نبارك بتهنئة احتفاليه عندما نودع صديق سلاح عزيز، وأنا أريد ان أهنئك الآن بالتهنئة ذاتها: "عاموس" إنني أتمنى لك ولأسرتك الغالية الدعم، والكثير من الهدوء واتمنى أن يصل بك الرب إلي شواطئ الأمان في المرحلة القادمة من حياتك.

مع احترامي العميق والدائم. "جون. ر. الآن" جنرال متقاعد في سلاح المظلات الأمريكي.

الجزء الرابع

اخفاقات الاستخبارات

الفصل الأول

لايزالون على قيد الحياة التوقعات حول الوضع الصحي وبقاء الزعماء على قيد الحياة

يبدو الأمر واعدًا أطلعني وزير كبير في إطار وظيفته على أسرار سرية جدا وطلب مني في أحد أيام الخريف عام ٢٠١٠ أن أحضر إلى مكتبه. وقال الوزير أن الأمر سيكون مثيراً للاهتمام، وحينما جلست في مكتب الوزير، قال: إنني اقترح عليك أن تهتم بالحالة الصحية لرئيس مصر مبارك، هكذا بدأ الحوار.

مبارك الذي كان في تلك الفترة يشغل منصبه منذ ٣٠ عاما، على خمس فترات رئاسية منذ مقتل السادات عام ١٩٨١ ووفقاً للأخبار التي انتشرت في تلك الفترة أنه ينوي نقل صلاحياته لابنه جمال. في شهر مارس من ذلك العام، تم نقل مبارك إلى مركز طبي في مدينة "هايد لبرج" في ألمانيا، ووفقا لتقارير نشرت في وسائل الأعلام في ذلك الوقت أكدت أن مبارك أجري جراحة لإزالة كيس المرارة.

اسمع... هكذا همس في أذني الوزير الكبير لدينا تقارير مفادها أن السرطان الذي مرض به الرئيس مبارك هو سرطان فتاك، والتقارير التي لدينا تأكد أنه تبقى له شهور معدودة في الحياة على أقصى تقدير أربعة أشهر، وستواجه مصر بعدها هزة يتوجب علينا

الاستعداد لها وقد أردت أن تعرف ذلك. ومثلما اتضح بعد مرور الوقت ليست المرة الأولي التي يتناقض الواقع مع التقارير التي انتشرت في الإعلام العالمي. في مطلع عام ٢٠١١ بدأت مظاهرات شعبية عارمة في ميدان التحرير في القاهرة، كجزء من الأحداث التي عرفت باسم "الربيع العربي" واستقال مبارك وتم اعتقاله وسجنه وأطلق سراحه بعد عدة سنوات.

وماذا عن مرض السرطان؟

نعم ظل على قيد الحياة مع هذا المرض الشديد، وفي شهر مايو ٢٠١٨ بعد إطلاق سراحه من السجن واحتفل مبارك بعيد ميلاده الـ ٩٠.

أحد المهام المنوطة بجهاز المخابرات وليس فقط في إسرائيل، بل في جميع دول العالم، هي إعطاء صناع القرار معلومات وتقارير حول الوضع الصحي لزعماء ورؤساء الدول الاخرى سواء الحليفة أو العدوة منها، هذه المعلومات من شأنها أن تساعد صناع القرار، للاستعداد لحالات الطوارئ واتخاذ القرارات المناسبة في الأوضاع المعقدة أو ما شبهها.

في الولايات المتحدة وقبل أي لقاء بين الرئيس الأمريكي

وزعيم دولة أجنبية، تعمل الأذرع المتعددة للإدارة الأمريكية على جمع وثائق تفصيلية، حول القضايا التي من شأنها أن تطرح أو تثار في اللقاء المزمع عقده، أحد الوثائق الشيقة والسرية جدًا مقدمة للرئيس تتعلق بالوضع النفسي للضيف ذو المكانة الرفيعة، الذي سوف يقابله مجموعة كبيرة من الأطباء والأطباء النفسيين يجندهم الـ CIA يمدون الرئيس بالمعلومات والتقارير الحساسة جدا، عن شخصية التي ستجلس أمامه في الغرفة البنفسجية في البيت الأبيض. كذلك قبيل سفر الرئيس الامريكي لزيارة أي دولة في العالم، يتم إحاطة الرئيس بمعلومات سرية أو عادية عن مضيفة، على سبيل المثال معرفة الحالة النفسية للزوجين "نتنياهو"، التي أعدها CIA لأوباما قبيل زيارته لإسرائيل عام٢٠١٥ تم اقتراحها علي الرئيس، لأنه مع دخوله لمقر رئيس الحكومة الإسرائيلية وأثناء مصافحة "سارة نتانياهو"، وجب عليه أن يثني على جمالها وأن يذكر في بداية اللقاء مع الزوجين "نتانياهو" انه كرئيس يعلم عن خبرة "سارة" في علم النفس لدي الأطفال والشباب.

من يتابع الاستقبال في المقر الرسمي في "بلفور"، يمكنه أن يشعر أنه تم إحاطة الرئيس الأمريكي بالفعل بمعلومات حول ذلك، من الأطباء النفسيين لوكالة الاستخبارات المركزية واستوعبها

جيدا، حتى لو كنا نمتلك التقارير الكامل التي جهزها الـ ـCIA، حول الحالة الصحية لـ "سارة وبنيامين نتانياهو" سيمنعنا تواضعنا الشخصي من نشر التاريخ الطبي للزوجين.

وما هو صحيح اليوم هو صحيح أيضا قبل ٤٠ عاما على سبيل المثال قبيل اجتماع رئيس الحكومة الإسرائيلية "مناحيم بيجين" مع الرئيس المصري أنور السادات في معسكر "كامب ديفيد" برعاية الرئيس "جيمي كارتر" لمدة ١٤ يوما من المباحثات، التي في نهايتها تم التوقيع على خطة اتفاق السلام بين الدولتين، جهز الـــ CIA لمحة مختصرة وشخصية لكل المشاركين في المؤتمر، وبالأخص آلية العلاقات داخل الوفود من يؤثر على من وما شابه ذلك.

من البديهي أن وظيفة أجهزة المخابرات في هذا السياق، هي أن توفر التوقعات والتقديرات ليس فقط حول الوضع الصحي والنفسي للزعماء، بل أيضا احتمالات أن يستمروا في السلطة من عدمه، من الممكن أن نقر بشكل حاسم أن جهاز المخابرات لدينا فشل المرة تلو الأخرى في تقدير فرص بقاء بعض الزعماء في المنطقة. فبشار الأسد مستمر حتى الآن في الحكم في سوريا، رغم أن وزير الدفاع الأسبق "ايهود باراك" توقع أنه لن يبقي بعد الحرب الأهلية في بلاده، وكان من البديهي حسب التقارير أن

يهرب الأسد من قصره في دمشق بعد أشهر قليلة من الحرب، ومع ذلك حتى لحظة كتابه هذه السطور بعد ثماني سنوات من اندلاع الحرب لايزال الأسد يجلس في أمان على كرسيه، بالطبع نؤكد هنا على جملة حتى هذه اللحظة.

"عاموس" أريد أن أعطيك مثالين تعرضت لهما خلال عملي الصحفي. أحدهما" عندما التقى رئيس الموساد الأسبق "افرايم هليفيِ"[1] مع كبار الإعلاميين الإسرائيليين، وصف رئيس سوريا بشار الأسد كشاب غريب الأطوار، كل يوم يلعب بلاي ستيشن وممنوع أن يزعجه أحد، وأنه غير جاد ولن يصمد، وحكي أيضا أن عمر سليمان والذي كان على اتصال به للمرة الثانية هذه أمور يمكن نشرها قال إنه في كل مرة يحاول الاتصال ببشار الأسد، في ساعات معينه يقولون له: محظور إزعاج الرئيس لأنه يرتاح الآن.

المثال الثاني: هو عن مرض السرطان الخاص بمبارك، وأنا أوجه إليك السؤال.

---

(١) افرايم هليفي (١٩٣٤): (بالعبرية: אפרים הלוי) هو رئيس جهاز الموساد التاسع، انضم إلى جهاز الموساد عام ١٩٦١، ومن ثم كُلف بإدارة جهاز الموساد في عام ١٩٩٨ وحتى عام ٢٠٠٢، اهتم هليفي بتنظيم عمليات الهجرة إلى إسرائيل، عُين سفيراً لإسرائيل في الاتحاد الأوروبي بعد انتهاء مهامه في الموساد.

كيف يحدث أن المرة تلو الأخرى المخابرات الإسرائيلية، والتي من المقرر أن تعطي صناع القرار السياسي تقارير حول بقاء زعماء المنطقة تخطئ في تقديراتها؟

في تلك الفترة التي سمعت من أحد السياسيين الكبار، أن مبارك سيموت خلال ثلاثة أشهر سمعت تقارير مماثل من أحد رجال الموساد.

فقلت له: سيموت مبارك خلال ثلاثة أشهر، منذ اليوم الذي ستبدأ فيه الثلاثة أشهر قبل مماته لكن هذا لم يحدث في الموعد الذي خمنوه.

هل يمكننا معرفه متى سيموت أحد الزعماء؟

لا. لا يمكن.

هل يمكنني الاستنتاج بعد سنوات طويلة من التمعن، ان هذه التوقعات الطبية والتقارير الاستخباراتية غير صحيحة؟

بالتأكيد... لان هذه المعلومات غير دقيقة، الألمان الذين لديهم مستوي طبي عال وعالجوا مبارك، يمكنهم فقط أن يحددوا ما يرونه مناسبا، لدي الزعماء في الشرق الأوسط شعور بالرسالة على ما يبدو، وهذا يخلق لديهم مخزون لا نهائي من الأدرينالين، هذا ما

قلته لذلك الشخص في الموساد. لكنه قال لي بصورة حازمه: هذا غير صحيح المعلومات لدينا هي مؤكده.

حسنا مبارك هو من مواليد ٤ مايو ١٩٢٨ أي أنه بالفعل تخطي الـــ ٩٠ وكان في السجن المصري وهذا ليس بأمر هين، صحيح أنه حظي بظروف أفضل مقارنة بالسجناء العاديين على أية حال هل يمكن وضع رئيس مصر وقائد سلاح الجو المصري الأسبق في السجن مثل أي شخص عادي.

وماذا عن غدا؟

لا يمكن معرفة ذلك مستقبلاً. إنني أتذكر أن أحد رؤساء شعبه الاستخبارات قال: سيعيش عرفات أو سيموت وهذا أمر ذكي. طالما أنه على قيد الحياة فكلامه صحيح، وعندما سيموت سيكون كذلك كلامه صحيح. كل هذا يظهر لك ماذا تساوي هذه التقديرات حول متوسط أعمار الزعماء، لكن هذا لا يعني أننا لم نحاول، بالتأكيد حاولنا أن نقدر متوسط أعمار زعماء مثل حافظ الأسد ومبارك أو الملك حسين ملك الأردن. وقمنا بذلك بطرق متعددة عن طريق طبيبة عبقرية برتبه نقيب كانت لدينا، وكانت هذه وظيفتها أن تحلل المعلومات الطبية الخاصة بزعماء المنطقة،

بالنسبة للملك حسين كان الأمر أكثر منطقية لأنه كان لديه سرطان أكثر حدة بالنسبة للأسد الأب، لن أنسي أبداً يوم وفاته كان ذلك يوم السبت ١٠ يونيو/ حزيران عام ٢٠٠٠.

هل كنت وقتها رئيسا لقسم الاستطلاع؟

صحيح... تحديدًا يوم السبت سافرنا أنا وزوجتي للاستجمام في منطقة الجليل، وكانت الساعة الثانية عشر ظهرا كنا عند صخره "منارة" أذكر أنه اتصل بي قائد "بنحاس بوخريس"[١] قائلًا: يبدو أن الأسد مات ولم يصدر بيان رسمي عن الدولة السورية بعد، فقلت لزوجتي: هيا بنا نعود إلى "تل أبيب" لأنه إذا مات الأسد سيكون هناك نقاشات واجتماعات خاصة بهذا الأمر، وقد يتطلب الأمر تواجدي.

هنا تحضرني قصه شخصية ففي ذلك السبت ١٠ يونيو/ حزيران عام ٢٠٠٠ كنا في منزلنا الجديد الرائع في شارع "براج" في "تل أبيب"، وذهبنا للراحة أنا وزوجتي "راحيل"، وفصلنا كل التليفونات، وفي الخامسة وحينما أعدت تشغيل التلفون بعد الظهيرة، فإذا بي أرى أنه اتصل بي مصدر كيف أقول ذلك هو المصدر المقرب جدا

(١) العميد متقاعد بنحاس بوخريس كان وقتها مدير عام وزاره الدفاع.

من رئيس الحكومة، وقال لي: أين أنت؟ إنني أبحث عنك منذ أربع ساعات الأسد مات.

فقلت له: ماذا؟ الأسد مات. أجاب ليس هناك بيان، لكن يجب عليك تجهيز رئاسة التحرير لديك في صحيفة يديعوت أحرونوت.

وقت أن أخبرني "بوخريس" أن الأسد علي ما يبدو مات، قلت لزوجتي: انتهت الرحلة لقد كانت رحله استجمام قد بدأت يوم الخميس مساء، وأنا أحب منطقه الجليل بشدة لكن ما العمل قلت: لها هيا نخرج سريعا قبل أن يعطلنا الازدحام المروري، وبالفعل سيكون هناك نقاشا وشعرت أن الخبر صحيح وأنه مات حقا.

فيما كنت تفكر في طريقك من الشمال إلى المركز؟

فكرت فيمن يمكن أن سيرثه؟ وما المشكلة؟ الابن المفضل للأسد يسمي باسل وهو الابن البكر كان مقرراً أن يرث باسل أبيه، لكنه قتل في حادث مروري في عام ١٩٩٤ ولم يول الأسد ابنه بشار الاهتمام إلا بعد مقتل باسل، كان وقتها بشار خياره الوحيد لم يبد بشار من نمط الزعماء هو غير خبير بالكلام، يبدو غريبا بعض الشيء فقد تعلم في انجلترا طب العيون ولديه لغة انجليزية جيدة نسبيا، من الصعب أن نصدق أنه قتل أعداد غفيرة من شعبه، لكن

التجربة تعلمنا أنه يجب الحكم علي الزعيم وفق أداؤه وأفعاله، منذ اللحظة التي تولي فيها المنصب سلبا وإيجابا. أحد الأمثلة الأفضل حسب رؤيتي هو السادات كنائب لعبد الناصر، حافظ السادات علي صورة بسيطة كشخص مخلص للرئيس واعتقد عبد الناصر أن السادات هو شخص شاحب، ولم ير فيه أي تهديد لذلك سمح له أن يستظل بظله، وإلا لكان عزله لكن عندما تكون أنت الزعيم والمسؤولية ملقاة على عاتقك، يتدفق الأدرينالين في دمك وعندما تنبض الرسالة في قلبك يكون الأمر مختلفا تماما. في واقع كهذا من شأنك أن تكتشف بداخلك قوة لم تعلم بوجودها، أو لم يعلم بوجودها لتقود حقبة تاريخية وقد اتخذ السادات قرارين مصيريين؛ أن يخرج للحرب ضد إسرائيل عام ١٩٧٣، وأن يوقع معنا على اتفاق سلام والذي كلفه في نهاية الأمر حياته.

أعود لبشار الأسد حكمي الأول عليه أنه شخص غامض وليس واضحًا ما الذي سيفعله من فوق كرسي الحكم، وقد اتضح لي أن هذا خطأ فاليوم يمكن أن نقول ذلك بيقين أنني أتذكر أنه بعد اندلاع الحرب الأهلية في سوريا، قال "ايهود باراك" لي: أن الأسد سيسقط خلال عدة أسابيع ولم يكن وحده من فكر في ذلك، ولقد ناشدته أن

يتراجع عن تقييمه هذا.[1] وقلت: الأسد شخص عنيد وسيبقي إلا إذا قتله قناص أو اغتالوه بواسطة عبوة ناسفة مثل زوج أخته بشرى الجنرال أصف شوكت[2] الذي كان نائب رئيس هيئة الأركان العامة، وقتل مع بعض كبار رجالات النظام في عام ٢٠١٢، أو بالطريقة السورية المبتكرة مثل حالة وزير الداخلية السوري غازي كنعان ملك لبنان، الذي انتحر بواسطة رصاصتين[3] وهو أمر لم نسمع عنه في تاريخ الانتحار لكن كل شيء وارد في سوريا.

(١) صرح ايهود باراك بذلك في عده محافل ومناسبات خلال عام ٢٠١١ على سبيل المثال في المؤتمر الدولي للسياسة في فيينا حيث قال فيه: "هذه **الأسرة (عائله الأسد) أنتهى دورها التاريخي. سوف يختفون على ما يبدو خلال عده أسابيع.**» **(عاموس هاريئيل: تقدير باراك: سيسقط الأسد في الأسابيع القريبة « صحيفة هارتس١١ ديسمبر ٢٠١١).**

(٢) **أصف شوكت (١٩٥٠ -٢٠١٢): هو من الشخصيات النافذة في سوريا، وهو كذلك زوج ابنة حافظ الاسد بشرى، عين عام ٢٠٠٥ مديراً للاستخبارات العسكرية، رفع إلى رتبة عماد في تموز/ يوليو ٢٠٠٩ وأصبح نائبًا لرئيس الأركان، وفي آب/ أغسطس ٢٠١١ تم تعيينه نائبا لوزير الدفاع، أعلن عن مقتله يوم ١٨ تموز/ يوليو ٢٠١٢ في تفجير مبنى الأمن القومي السوري في دمشق.**

(٣) **غازي كنعان: هو وزير الداخلية السوري الأسبق، تولى منذ الثمانينيات وحتى ٢٠١٣ المندوب السامي السوري في لبنان وتم تسميته «الحاكم الحقيقي للبنان» وجد ميتا في مكتبه في دمشق في أكتوبر ٢٠٠٥ قبل عدت أيام من نشر تقرير الأمم المتحدة حول مقتل رئيس حكومة لبنان الأسبق رفيق الحريري. تقر الرواية الرسمية انه انتحر رغم انه وفقا للتقديرات تم تصفيته على أيدي نظام الأسد.**

كيف تقييم شخصية بشار الأسد اليوم؟

يمكنني أن أقول لك بعد مرور هذا الوقت من هو بشار؟ وكم يجب الحذر منه؟ هو زعيم من نوع عنيف جدا، أعتقد أنه أقرب لمريض نفسي ليس بالمعني الشخصي، بل بالمعني الاستراتيجي. في مقابل وصفه بأنه يلعب "البلاي ستيشن" هل هذا وصف ينطبق على شخص كبشار الاسد ظل باقياً لمدة ثماني سنوات من الحرب كان هو وأسرته معرضين لتهديد وجودي، والطائفة التابع لها العلويين معرضة لتهديد وجودي أيضا. ولو سقط الأسد لذبحت طائفته حتى أخر رجل فيها، ولتفككت الدولة، وقد واجهت تركيا الأسد بكامل قوتها، وكذلك السعودية، والمتمردين الأكراد والسنة الذين هم أغلبية في سوريا ورغم كل ذلك إلا أنه باق في السلطة. لكن ما ترك لدي انطباعاً كبيرًا أنه أقام قاعدة عسكرية نووية بمساعدة كوريا الشمالية، والتي هي قاعدة في قلب الصحراء في المنطقة التي كانت حتى وقت متأخر تحت سيطرة داعش، وقد أخفي ذلك عن كل رجاله القريبين منه باستثناء البعض، وبعد أن دمرت إسرائيل المفاعل[1] أنكر مرارًا وتكرارًا وجود منشأة نووية وبما أنه لم يتحمل أحد المسؤولية عن الهجوم، إلا بعد مرور عشر سنوات

(١) في ٢١ مارس ٢٠٠٨.

وكأن الأمر لم يحدث، وليس لديه مشكلة أن ينظر إلى عيون الناس ويكذب، فقد كذب عندما أستخدم سلاحاً كيميائياً ضد المواطنين والتي هي جريمة حرب وفق القانون الدولي وأنكر بعد ذلك أنه فعل ذلك، بشكل عام من يرفع يده على بشار مصيره الموت بكل الطرق الممكنة سلاح كيميائي كان أو غير كيميائي لا يهمه الأمر. أنني أعتقد أيضا أنه يدعم العنف والكراهية التي تكنها إيران وحزب الله تجاه إسرائيل، لذلك هو مستعد لإعطائهم موطئ قدم في هضبة الجولان، وهو خطر فعلي من ناحية إسرائيل، هو على النقيض التام من أبيه الذي اهتم دائمًا أن يكون لحزب الله تأثير محدود، بشكل عام اعتقد أن بشار الأسد يعمل في مجالات كثيرة بشكل معاكس عما فعله أبوه من قبل.

هناك شيء أخر؛ عندما يتلقى ضربة ليست لديه مشكلة أن ينسحب مؤقتاً من هزيمته الاستراتيجية، وأن يعود لاكتساب القوة عندما يكون الأمر متاحا. يجب أن نذكر أن الأسد شخص صغير نسبيا، فقد ولد في ١١ سبتمبر ١٩٦٥ وهذا يعني أنه يحتفل بكعكة عيد ميلاده في الذكري السنوية للهجوم الإرهابي في ١١ سبتمبر، وبما أنه صغير ليست لديه نية لمغادره كرسي الحكم في المستقبل القريب. يجب أن نذكر مع الأسف أنه ناور جيداً أمام

الروس والإيرانيين، وهم أسهموا مساهمة جوهرية لإنقاذه ولبقائه في الحكم، هناك من يزعمون أن الروس مستعدون للتخلي عنه، الروس ليس لديهم عواطف تجاه أحد، لكنه الأداة التي ستعيد لهم التأثير في المنطقة، والأمر ذاته حسب رؤية الإيرانيين وهو ليس لديه أي مشكلة أن يعوض الروس عن طريق قاعدتين مستقلتين تماما، وكأنهما إقليم روسي داخل سوريا.[1] كما قلنا الأسد هو شخص ليست لديه مشكلة أن ينسحب تكتيكيا، لكنه دائما ينظر إلى الأمام من الناحية الاستراتيجية، لذلك أنا لن اندهش إذا ما شعر أنه قوي بما يكفي أن يعرض علينا السلام مقابل هضبة الجولان، بنفس القدر يمكنه أن يصل معنا لوضع المواجهة ليس الآن أنني أتحدث عن سنوات قادمة فهو قادر علي أن يكون عنيفا تجاهنا إذا ما شعر بالقوة، لكنه أيضا قادر على أن ينسحب إذا أظهرنا له موقفا صارمًا، لذلك هو يضع لنا تحدياً استراتيجيا للسنوات القادمة.

ملخص الأمر أن هذا الشخص لا يترك أثارًا خلفه لتعقبه، هو يرغب في دخول صفحات التاريخ سواء هذا أو ذاك يجب ألا تخدعنا أو تضللنا صورته كطفل ساذج، ويبدو لي أن الجميع استوعب ذلك.

(١) قاعدة حميحم اللاذقية

الفصل الثاني

الجاسوس الذي انكشفت خسته قضية يهودا جيل

ما دورك في قصة يهودا جيل؟

في عام ١٩٩٦ توليت منصب رئيس قسم الاستطلاع وهو القسم المنوط به في الأساس إعداد التقارير الاستخباراتية، كرئيس لقسم الاستطلاع يمكن أن تقدم لمجلس الوزراء ولرئيس الحكومة ووزير الدفاع، ورئيس هيئة الأركان العامة تقاريرك وتقديراتك، كعنصر مهني، حتى لو قدم رئيس شعبة الاستخبارات تقديرات معاكسة تماماً عما لديك. لقضية "يهودا" جيل جانبين:

أحدهما: الجانب الجنائي وقد قدم للمحاكمة في النهاية، ودخل السجن وهذا ليس مجال حديثنا.

الثاني: والذي هو ذات الصلة من وجهة نظري، وهو موضوع تقارير المخابرات الذي استند عليها تقارير يهودا جيل.

حينما توليت منصبي كرئيس لقسم الاستطلاع، نزلت على رأسي الأمور كلها في آن واحد التهديد الإيراني، الشأن الفلسطيني الذي تحدثت عنه بإسهاب في فصل سابق، والعمليات الانتحارية [الفدائية] وكذلك أيضا القصة مع سوريا. كان "يهودا

جيل" ضابط لجمع المعلومات من صفوة رجال الموساد، وكان في ذاك الوقت متقاعد من الجهاز، وخدم كسكرتير في حزب " موليدت" [1]لكنه استمر بالعمل مع الموساد كمجند للجواسيس، قضيتنا مع "يهودا جيل" هو أن المصدر الذي كان على تواصل معه هو بالأساس جنرال في الجيش السوري لم يكن له وجود بمعني أخر، الرجل كان موجودا وكان "يهودا جيل" على اتصال به منذ ١٩٧٤ وكانت معلومات هذا الجاسوس لا تقدر بثمن، حتى اتضح أن الجاسوس السوري لم يكن في الحقيقة جاسوساً، ولم يعلم أصلاً أنه جاسوس، وأن جيل كذب بخصوص المعلومات التي ادعى أنه استقاها من المصدر، كما زعم "جيل" أن هذا المصدر يمنحه الثقة ولذلك استمر في التواصل معه حتى بعد خروجه للمعاش، يذكرنا هذا بحادثة بكتاب "جون لي كارا" خياط "بنما" عن جاسوس للمخابرات البريطانية، في "بنما" والذي قبل أن يغيب عن الأضواء قام باختراع معلومات كانت تؤدي تقريبا لحرب وفي اللحظة الأخيرة تم تجنبها.

(١) موليدت: (العبرية: מולדת) يعني الوطن باللغة العربية، وهو حزب صهيوني يميني أقامه رحبعام زئيفي (غاندي) العام ١٩٨٨. واختار زئيفي حرف (ط) بالعبرية للدلالة على كلمة ترانسفير للعرب.

قبل أي لقاء مع مصدره، كان يلتقي "جيل" مع ضباط من المخابرات من قسم الاستطلاع، كي يعطونه التوجيهات، هذه هي الإجراءات المعروفة في جهاز الأمن، كان ضباط المخابرات يجلسون مع "جيل" قبل لقائه مع المصدر المزعوم في باريس أخبره أنه وصلت إلينا معلومات من أحد مصادرنا عن حركة مريبة من فرقة عسكرية سورية ما، بقرب الجولان ويبدو ذلك كأنه تجهيز للهجوم راجع مع مصدرك وتأكد من صحة المعلومات، إلا أن "جيل" بعد لقائه مع المصدر المزعوم أكد أن سوريا تعد لهجوم على إسرائيل. تحديدا الآن أحد العبر من حرب عيد الغفران، هي أن المعلومات الخام والمهمة تنقل مباشرة من الجهة التي تستخلصها كالموساد، أو شعبة المخابرات أو جهاز الأمن العام إلي رئيس الحكومة أو وزير الدفاع، أو رئيس هيئة الأركان العامة وما شابه ذلك.

لذلك ففي عام ١٩٩٦ أخذت الأخبار في الازدياد والتي حسبت وقتها أن سوريا ستبادر بخطوة عسكرية تجاهنا، وفي وضع كهذا يطرح السؤالان؛ هل المعلومات الواردة صحيحة وإن كان الأمر كذلك، ماذا يمكننا أن نفعل حيال هذا الأمر؟ هل سنحشد قوات الاحتياط؟

هذا بالطبع قرار المستوى السياسي وهل ستأخذ المعلومات أو التقارير على محمل الجد؟ وماذا يمكننا أن نفعل بشأنها؟ وفي هذه الحالة كان أمام أجهزة استخباراتنا مهمتين؛

أولهما: التحذير من الحرب والتي فشلت فيها فشلا ذريعا في حرب يوم الغفران.

ثانيهما: منع أي تحذيرات وهمية والتي لا تقل سوء، بمعني ربما أن هذا أقل، لكن هذا حتى الآن سيء جدا لأسباب:

الأول: أنت تنهك منظومتك.

الثاني: إذا ما حشدت قوات الاحتياط، فان هذا عبء اقتصادي واجتماعي هائل.

الثاني: وهو الأهم إذا حشدت الاحتياط يمكنك أن تؤدي إلى حرب.

عندما يظهر تهديد استراتيجي يجب دائما أن يستند على محورين وأحيانا ثلاثة:

أحدهم: الأيديولوجية المعادية، كما هو الحال مع إيران وهذا ليس موضوعنا الآن. والاثنان الآخران: هما قدرات العدو ونياته.

ينطبق هذا بشكل صحيح على فرقة مخربين كما ينطبق ذلك على جيش دولة معادية. فإذا تعاظمت النيات السيئة في الأساس عن طريق أيديولوجية معادية، على سبيل المثال أيديولوجية دينية، ولا ينطبق هذا على هذه الحالة. إلى جانب القدرات يتحول الأمر إلى تهديد، بمعنى إذا رفعت عصا من الأرض ونويت أن أضربك فان هذا يتحول إلى تهديد، وإذا كنت راقدًا على سرير بسبب الأنفلونزا ودرجة حرارتي ٣٩ درجة، ولا زلت إلى الآن أريد أن أضربك فإن هذا ليس بتهديد حقيقي.

الافتراض الأساسي لكل من يعمل في تلك الفترة في إعداد التقارير المهنية عن سوريا، كانت أراءهم ليس لدى الأسد قدرات أو نية. إنني أتحدث هنا عن الأسد الأب، وكانت هذه تقارير المخابرات الأجنبية التي تعمل معنا، كان الجيش السوري ضعيفا في الأساس، وكانت الصيانة والإمـدادات اللوجستية والروح المعنوية، وكل شيء في مستوى ضعيف جدًا.

وبشكل عام عندما يقرر جيش ما القيام بحرب ما، يجب تنفيذ سلسلة من الخطوات والاشارات التي من خلالها تقرر مخابرات الطرف الآخر، أنها إشارات تدل على الحرب وفي الحالة السورية لم تظهر أي إشارات من هذا القبيل من الجانب السوري.

كانت في تلك الفترة أيضا فجوة مخابراتية، لم تسمح دائما بمطابقة المعلومات وها هو "يهودا جيل" مع مصدره المزعوم الجنرال السوري الخيالي مع أخبار صاغها "جيل" بنفسه وبمهارة كبيرة، وكأنها أتت على لسان الجنرال ذاته والذي بالمناسبة لم يكن مستعدا أن يتعاون مع إسرائيل بأي شكل، وأيضا لم يتعاون كان الأمر في الحقيقة كذب وافتراء، كله كذب وافتراء.

عندما علمت بقضيته كان رئيس المحكمة الإقليمية "مناحيم ايلان" شخصا حريصا للغاية، وقال لي: سيدي كيف يمكن أن يحدث أن مخابراتنا لم تنتبه لأمر كهذا، ولم يتم التحقق من معلوماتها؟ لكن قبل أن تجيب أنا أعفيك من الإجابة، لأن أولا السؤال محرج، وثانيا ليس له أي دلالة قضائية، لكن بالنا مشغول، حتى الآن بسبب هذا الخلل هل حدث ذلك فعلا؟ قلت له: بالفعل حدث لكن لم أضف شيئا.

درس جيشنا في أعقاب المعلومات الواردة، جاهزية قواتنا في مواجهة السوريين وتم التوصل إلى وجود مجموعة من الفجوات لا يمكن تحملها، وسيتطلب الأمر مليار وربع شيكل من أجل تحسين جاهزية قواتنا، ونتيجة تحركاتنا أعتقد السوريون أن إسرائيل تدبر للهجوم عليهم. وعند هذه النقطة بدأ نقاش مهني حاد جدا، وهو

أمر شرعي في جهاز المخابرات ويرتبط الموضوع بالصورة التي سيدار بها النقاش، دار النقاش الجدلي بيني وبين ضباط كبار ولن نتعرض الآن إلى أسمائهم وقد تبنوا على النقيض مني تقارير الحرب المتوقعة مع سوريا، وأنا أتحدث هنا عن أشخاص ذوي ثقل كبير جدا في شعبة الاستخبارات يعتقدوا صحة ذلك.

هل أنت غاضب حتى يومنا هذا؟

أنا لا أظهر ذلك لأنني أريد التركيز علي النقاش.

وصفك للأمر يبدو باردا.

هو وصف بارد لكنه مخيف، إنني أتحدث معك عن ضباط لامعين من ذوي الخبرة ممن ترقي فيما بعد لمناصب أكبر، وقد رافقوا "بوجي موشيه يعالون"[1] الذي كان آنذاك رئيسا لشعبة الاستخبارات، وكنت أنا كهمزة الوصل بين رئيس شعبة الاستخبارات وبين الضباط التابعين لي وقد وافق على موقفهم

(١) موشيه (بوغي) يعلون (١٩٥٠): (بالعبرية משה (בּוּגִי) יַעֲלוֹן) هو قائد عسكري ووزير إسرائيلي سابق؛ شغل مناصب عسكرية وسياسية كبيرة، وشارك في عدة حروب وعمليات عسكرية خاصة على مدى أربعة عقود. أنهى خدمته العسكرية عام ٢٠٠٥، ودخل الحياة السياسية بدءا من ٢٠٠٨ وحتى إعلانه اعتزال معتركها ٢٠١٦.

وأصدر في نهاية الأمر تحذيرا من رئيس شعبة الاستخبارات حول حرب مرتقبة.

أريد أن أفسر ماذا يعني تحذير من رئيس شعبة الاستخبارات، هناك ترتيبات للتحذيرات، لدينا تقارير رئيس قسم الاستطلاع وتقارير رئيس شعبة الاستخبارات السنوية، والتي يعدها قسم الاستطلاع ويجب على رئيس شعبة الاستخبارات أن يصدق عليها، تحذير بخطوة عنيفة بمعني حرب أو أي عملية أخرى ضد إسرائيل، يتم التوقيع عليه من رئيس شعبة الاستخبارات بشكل شخصي، وهذه قمة التحذيرات ولا يوجد أقوى من ذلك، باستثناء قرار مجلس الوزراء لكن مجلس الوزراء لا يقرر للمخابرات بل يقرر ما العمل، عندما يصدر تحذير من رئيس شعبة الاستخبارات يجب التعامل معه بجدية. لحسن الحظ الصفوة الأمنية لدينا كانت تتشكل من رئيس هيئة الأركان العامة ذو الخبرة الكبيرة "أمنون ليبكين شاحاك"[1]،

(١) أمنون ليبكين شاحاك (١٩٤٤ -٢٠١٢): (بالعبرية: אמנון ליפקין-שחק) هو ضابط في الجيش الإسرائيلي وسياسي شغل منصب عدة منها قائد كتيبة في حرب أكتوبر العام ١٩٧٣ وقائد فرقة عسكرية في حرب لبنان العام ١٩٨٢، عين قائداً للواء المركز في الجيش ورئيساً لشعبة الاستخبارات، رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي بوصفها عضوا في الكنيست، ومنصب، وزير النقل، والسياحة.

ووزير الدفاع "اسحاق موردخاي"[1]، الذين لا يحبون الثناء عليه، وهو إنسان مخضرم، ولم يتبني كلا من رئيس هيئة الأركان العامة، ووزير الدفاع تحذير الحرب الذي وقع عليه "بوجي" لكن رئيس الحكومة انحاز لقبوله.

هل تتحدث عن نتانياهو؟

نعم. لكني سأعود لخطوة واحدة سابقة في ذروة النقاش الجدلي في شعبه الاستخبارات، هل يقبلون التحذير أم لا؟ تم استدعائي الساعة السابعة صباحا، لدى رئيس هيئة الأركان العامة "شاحاك" ليس نقاشا، بل للاستيضاح ودخلت مكتبه وفي الداخل كان يجلس ضباط كبار، من كل الأذرع ورئيس هيئة الأركان العامة، توجه إلى قائلا كالتالي: علمت أنه وصلت إلى يديك معلومات تحذيرية حول نية سوريا قيام الحرب ضدنا، وأنت ترفض ذلك أريد ردك على ذلك. هكذا كأنه اتهام، كان "أمنون" شخصا مخيفا، شخص تطل منه السلطة بشكل طبيعي هو لم يحتاج أن يفعل أي شيء، فقط يكون جاد كي يخيفك.

---

(١) اسحاق موردخاي (١٩٤٤): (بالعبرية: יצחק מרדכי) هو سياسي وجنرال إسرائيلي سابق من مواليد ٢٢ نوفمبر ١٩٤٤ في مدينة زاخو بكردستان العراق، أصبح في البداية عضواً في الكنيست ثم تولى منصبه وزيراً للدفاع والنقل في الفترة ما بين عامي ١٩٩٦-٢٠٠١.

أجبت: إنني أقر بالحقائق لكنني غير متهم وأرغب في التبرير.

تبرر...!!!! هكذا قال لي بغضب عارم.

الحقيقة إنني ارتعدت من الخوف، لكن هذا لم يمنعني من قول رأيي لرئيس هيئة الأركان العامة. ولم نعلم في تلك المرحلة أن "يهودا جيل" يخدع الجميع، وأن جاسوسه المزعوم لم يكن في الحقيقة جاسوسًا، لكن علمت أن كل المعلومات المؤيدة والتي استند عليها هذا التحذير غير موثوق فيها، حيث تم اطلاع "يهودا جيل" عليها من قبل ضباط شعبة الاستخبارات، قبل أن يلتقي مع الجنرال السوري. قلت وقتها لرئيس هيئة الأركان العامة: انظر، تستند المعلومات في هذا السياق على جنود في مواقع عسكرية جديدة، وحسب زعمهم أن هناك طائرات عمودية سورية تتدرب قبيل هجوم ليلي علي منطقه "الحرمون" في إسرائيل، من هم هؤلاء الجنود الذين في أبراج المراقبة؟ جنود عاديين نطحنهم كل يوم في التدريبات، وكل سلسلة القيادة التي فوقهم من قادة الفرق مرورا بقادة الألوية وقادة الكتائب، وقادة السرايا، وقادة الأقسام، وقادة المجموعات، يقولون لهم: إذا أضعتم تحذيرا للحرب فأرواحكم بين أيديكم وكذلك مستقبل الدولة.

والآن في الشتاء الجاف توجد في هضبة الجولان كل أنواع الظواهر المناخية، التي بسببها الأضواء البعيدة تبدو وكأنها قريبة، أحيانا من الممكن أن ترى من "الحرمون" مطار دمشق، هذا الجندي يتدرب يوميا وفي الليل يرقد في البرد في مكان حراسته، ويرى كل أنواع الأضواء ويرسل تقريرا على إنها طائرات عمودية، لو كانت هذه فرقة مراقبة محترفة من شعبة الاستخبارات، من الأشخاص الجيدين الذين مروا بتأهيل مكثف للغاية، كنت سأتعامل مع ذلك بجدية كبيرة وطالما إننا نتحدث عن جنود عاديين، فإنني أقر أنه لا معنى لهذه التقارير من ناحية عملية، وهذا لا يعني إنني أشكك في جنود جيش إسرائيل، بل لكي يكون الجندي مراقبا يجب أن يكون مهنيا. هذا الأمر **الأول**.

الثاني: توجهت قائلا لرئيس هيئة الأركان: ليس لدى السوريين القدرة على مهاجمتنا، وفقا للخطوط العريضة التي نتحدث عنها هم ببساطة غير قادرين.

الثالث: لا يوجد تأييد لذلك في وحدة تجميع المعلومات الرئيسية، ولا المراقبين من ذوي الخبرة واستخبارات الإشارات[1]

(١) استخبارات الإشارات: تعتمد على اعتراض الإشارات الالكترونية والتصنت وما شابه ذلك.

والوحدة ٨٢٠٠ والتي هي جهة ضخمة غنية بالقدرات.

إذن سأقدم أمامك المعضلة التي تواجهني هل نعتمد على تقارير من جنود محطمون من التعب في الليل، وتم تدريبهم دائما على استباق المشكلة قبل أن تقع، أم نعتمد على العناصر المهنية، إنني لا أقوم ببلورة التقديرات بمفردي، فأنا كعنصر تقدير رئيسي أعتمد على الإشارات، وفي هذه الحالة أنت لا تهتم بالنيات، بل بالقدرات، ومن ناحية القدرات لا يوجد أي شيء فعلي في الادعاءات أن السوريين يخططون لخطوة هجومية، إذن بالنسبة للسؤال هل أتعامل مع هذه التقارير بجدية أم لا؟

الإجابة هي لا، بمعني أنا أتعامل معها بجدية كتقارير غير صحيحة. هذا من جانب القدرات وعلى جانب النيات السورية، حدث على الأرض أمر درامي حقا في أغسطس ١٩٩٦ تلقينا معلومات أن السوريين ينقلون فرقة الكوماندوز ١٤ من لبنان إلى منطقة "قطنه" عند سفح "الحرمون" في "بواخا" بدمشق، تلك هي كتائب الكوماندوز التي حظيت لديهم بهالة من المديح، عقب احتلال "الحرمون" في حرب عيد الغفران. لم يكن هناك أي معلومات حقيقية، ما المقرر أن تقوم به هذه الفرقة؟ وهل نتحدث عن تدريب، أم استعداد للدفاع، أم تجهيزات لهجوم مفاجئ؟

قال بالطبع "يهودا جيل" أن هذا هو جزء من خطة للاستعداد للحرب، ويبدو هذا منطقيا، إذ أن الكوماندوز السوري دائما يرتبط لدينا ارتباطا وثيقا بالحرب، وقد كان ذلك مخيفا حقا، لكن في النهاية هذا أمر يتعلق بالتحليل المهني، فعندما تستعد قوة للهجوم لديها شكل معين من الاستعداد، وعندما تنتشر قوة للدفاع لديها شكل مختلف من الاستعداد، كانت تقديراتي بعد أن تلقيت كل المعطيات، وأيضا رأيت الصور الجوية أن السوريين يخشون من الهجوم الإسرائيلي على دمشق، من الصعب معرفة ماذا يدور في أذهان زعماء العدو، لكن يجب أن نذكر أنها كانت بداية فترة الولاية الأولى لـ "نتانياهو" كرئيس حكومة، ومن المحتمل أن الأسد خشي أن يقرر خطوة هجومية ضد سوريا، وهذا بالطبع أمر ليس له أي صلة بالواقع.

والآن يطرح حقا السؤال نفسه إذا كان السوريون لا يخططون لهجوم مفاجئ لاحتلال "الحرمون" بل يستعدون للدفاع، لماذا نقلوا القوة المنتخبة جدا لديهم، وهي فرقة الكوماندوز ١٤ ونشروها عند سفح "الحرمون"؟ والإجابة -أي تقديراتي- أن الأمر كالتالي السوريون قدروا أن إسرائيل ستهاجم دمشق، ولن تفعل ذلك بشكل مباشر من على حدود هضبة الجولان، لأنه بين

حدودنا وبين دمشق كان هناك الكثير من القوات السورية، وهجوم كهذا سيكلف إسرائيل دماء كثيرة، وخسائر بشرية ومادية، ومشكوك جدا في نجاحه. لذلك افترض السوريون أن جيش إسرائيل سيطوق "الحرمون" ويدخل عن طريق لبنان إلى محيط دمشق. بالمناسبة هذا تفكير عسكري رائع، لذلك نقلوا إلى هناك فرقة الكوماندوز ليس كتجهيز للهجوم، بل كاستعداد للدفاع. ويجب أن نشير هنا إلي شيء آخر الرئيس حافظ الأسد كان رجلا قاسيا لا مثيل له فقد يتفوق عليه ابنه بشار، لكنه أيضا كان رجلا حكيماً فقد كان جنرالاً سابقاً في الجيش السوري، كان قائد سلاح الجو، وكان القائد الأعلى من منطلق كونه الرئيس، وحارب مرتين ضد إسرائيل، كرئيس لسوريا في حرب عيد الغفران، وحرب لبنان الأول وكان يعلم أنه ليس لدي الجيش السوري القدرة على مهاجمة إسرائيل وحده، وأدرك أيضا ولم نعلم ذلك في الوقت المناسب أنه عندما تهاجم هضبة الجولان، أو تحاول احتلال "الحرمون" خاصة مع كل الرواسب التاريخية، من حرب عيد الغفران لا يمكنك أن تتوقع أن إسرائيل ستسكت على ذلك، كان يجب عليه أن يتوقع أن إسرائيل سترد بكامل قوتها، وجيش إسرائيل على خلاف ما حدث في عيد الغفران هذه المرة لم يكن لديها حلفاء، فمصر في حالة سلام مع إسرائيل،

وصدام حسين مشغول في العراق بشؤونه، وموسكو لم تتعافي بعد من انهيار الاتحاد السوفيتي، إذن من سيساعد السوريين؟

إذن لماذا في الأساس تم استدعاؤك للاستيضاح عند رئيس هيئة الأركان العامة؟

انحاز "آمنون شاحاك" للتقديرات التي قدمتها له لكنه كان دائما متشكك فهذا طبعه وعلى ما يبدو قال لنفسه لحظة ربما "عاموس جلعاد" هذا يتلاعب بعقولنا، هيا نضعه في اختبار ونضعه تحت ضغط شديد، ونرى هل هو من يقف وراء هذا الأمر، وكان يعلم كيف يضغط على الناس ولا يعني ذلك أنني كنت هشا، لكنه كان حقا مخيفا.

وكيف انتهى هذا الاستيضاح؟

قال لي في النهاية: حسنا، وانتهي الأمر، شعرت وكأنه أزيح عن كاهلي عبء ثقيل، وكأنه قال لي دون أن يقول ذلك صراحة: اقتنعت. لأنه لم يكن بعد ذلك نقاش أخر، لم يقل لي في نهاية النقاش شكرا جزيلًا، بل لم يقل لي لقد تصرفت بشكل صحيح، بل قال لي: حسنا، وبعدها ذهبت من ناحيتي كان هذا كافيا.

أنظر، توجد هنا مشكلة نفسية؛ إذا فوت تحذيرًا فعليًا وانتهي الأمر

بسفك لدماء الإسرائيليين، مثلما حدث في حرب عيد الغفران، فأنك ستفقد منصبك، واحترامك، ومكانتك التاريخية، وكل شيء، هذا ببساطة كالانهيار وإذا أطلقت تحذيرا خاطئا يمكنك أن تتلقى صفعة، لكن لن يحدث شيء ومن الناحية النفسية الإنسان العاقل سيفضل إطلاق تحذير خاطئ عن تفويت تحذير حقيقي.

إنني أرغب أن أفسر أمرًا ما هنا، يوجد في المخابرات تسلسلا قياديا في كل ما يتعلق بالنظام والانضباط، وربما أيضا الاحترام ولا يوجد تسلسلا للعقول، ولا يوجد تسلسلا لذكاء الملازم الأصغر يمكنه أن يكون أكثر ذكاء مني كعميد لماذا؟ لأنه ولد أكثر ذكاء وقد أشرت سابقًا أن رئيس لواء الاستطلاع يمكنه أن يقدم تقارير مستقلة، حتى لو تناقضت مع تقديرات رئيس شعبة الاستخبارات رغم تبعيته له من ناحية القيادة، لكن في اللحظة التي يري فيها رئيس هيئة الأركان تحذيرًا من رئيس شعبة الاستخبارات، والذي هو قمة التدرج في تحذيرات المخابرات هذا حقا يستوجب منه الالتزام به لأن رئيس شعبة الاستخبارات هو صاحب التقديرات على مستوى الدولة، حتى لو أن ذلك غير معترف به في القانون "مائير داغان" على سبيل المثال كرئيس للموساد استنكر هذا الأمر.

إذا قال رئيس شعبة الاستخبارات لرئيس هيئة الأركان العامة هناك حرب وشيكة، عندئذ حتى رئيس هيئة الأركان العامة، الذي كان سابقًا رئيسًا لشعبة الاستخبارات مثل "آمنون شاحاك" لا يمكنه أن يضع نفسه مكان رئيس شعبة الاستخبارات، الذي يخدم في هذا التوقيت وكانت هذه إشكالية كبيرة.

وعلى أية حال وافق كلا من رئيس الأركان العامة، ووزير الدفاع على موقفك ولم يوافقوا على موقف رئيس شعبة الاستخبارات يعالون؟

صحيح... رغم أن كل المنظومة باستثنائي، قالت بشكل صريح أن هناك حربا وشيكة لأن المعلومات موثوق فيها، وتم تجميعها بواسطة مصدر ممتاز، وعلى أرض الواقع كانت هناك فرقة الكوماندوز عند سفح "الحرمون". وبالمناسبة في وقت المناقشات حول التحذير، كان لدي موقف محرج جدًا، شاركت قبل عدة سنوات من ذلك في محادثات السلام مع الأردن، وقال لي رئيس الأركان العامة الأردني الذي كان الممثل الأكبر للملك حسين في المحادثات: اسمع منى يا "عاموس" سيكون هناك سلام بيننا أي بين الأردن وإسرائيل، وعندما يكون هناك سلام أقدم لك الدعوة إلى مكتبي أنت وزوجتك. مكتب رئيس هيئة الأركان العامة في الأردن. وبالفعل دعانا.

ومتى كان ذلك؟

بالتحديد اليوم الذي حدد فيه رئيس شعبة الاستخبارات، "بوجي يعالون" أحد النقاشات المهمة مع كل العناصر، والذي فيه بلور موقفه بخصوص هذا التحذير. وقررت أن أحضر النقاش للقاء رئيس هيئة الأركان الأردني، لان العلاقات الشخصية بيننا وبين العرب كانت من وجهة نظري، مفاتيح ذهبية لواقع أمنى مريح، بدا لي أن دعوتي أنا وزوجتي لمكتبه مع زوج من كبار جهاز الأمن العام، هو تحقيق لكل آمالي بالطبع عندما نتحدث عن الأردن.

هيا نتحدث عن تعارفك على يهودا جيل.

نشر "يهودا جيل" بالفعل في مطلع الثمانينيات، تقارير مضللة عن سوريا ولبنان، وسنتحدث عن ذلك لاحقا لأكثر من عشر سنوات يضلل هذا الشخص المنظومة الأمنية ولا يحدث له أي شيء. وفي عام ١٩٨١ بدا لي أن أشتكيه أمام قائدي، رئيس جبهة سوريا في شعبة الاستخبارات وكانوا يسمونه "إلي هالحمي" وكنت في حينها برتبة رائد، فقلت له ليس من المحتمل أن تكون تقارير المخابرات مماثلة لما تنشره المخابرات سأشرح ذلك ما تنشره المخابرات هو تقديرات، تستند على حقائق يقومون بربط المعلومات ذات الصلة،

ويستخرجون منها المعلومات غير الوثيقة، ويقدمون تقديرا حول دلالة ذلك يسمون تقارير المخابرات في الموساد "ربورتاج" أي هي المادة الخام، سواء كانت حوار مع مصدر مثل حالة "جيل"، أو استماع للشبكات أو أي شيء آخر.[1] تقارير المخابرات التي وصلت من "يهودا جيل" والتي اتضح فيما بعد أنه فبركها تم كتابتها مثل منشورات المخابرات، بمعنى تقديرات، قلت لدي شعور أن شيء هنا غير صحيح، لأنه عندما تكتب تقرير أنت تكتب بالضبط ما قاله الجاسوس أو من لم يكن جاسوسا كلمة بكلمة بدون تعليق، وعندما تكتب تقريرا يمكنك أن تلغي التقارير التي كتبتها بنفسك. بكلمات أخرى تقارير "يهودا جيل" لم تبد كتقارير، بمعنى كنص لحواره مع العميل الجنرال السوري ذاته، بل مثل تقديرات المخابرات. نعم وهذا ما أثار لدي اسئلة في بداية الثمانينيات، وبعد أن تحدثت عن ذلك مع "إلي هالحمي" اصدر تقريرا ولم يفعل أي أحد شيئا حيال ذلك.[2]

(١) يتلقى رئيس الحكومة ليس فقط التقديرات المخابراتية، بل أيضا المواد الخام. الملحق العسكري ومساعده في شؤون المخابرات هما من يقرران هل يتم نقل تقارير المخابرات لرئيس الحكومة.

(٢) حدث هذا الأمر في أعقاب تحذير الحرب مع سوريا الذي نقله يهودا جيل عام ١٩٨١.

والأمر ذاته حدث مرة ثانية في ١٩٩٦ حين أرسل "يهودا جيل" تقريرا رائعا، مكتوب بعبرية سلسة لكن التقرير احتوى ليس فقط على تحذير بالحرب، بل أيضا على تحليل سياسي ستهاجم سوريا هضبة الجولان أو "الحرمون" فعليا، قبل الانتخابات في الولايات المتحدة وسيؤدي الهجوم إلى صدمة في إسرائيل، مثلما حدث في عيد الغفران، وسيؤدي ذلك بها إلى طاولة المفاوضات حول هضبة الجولان، ظاهرياً كان هناك منطق استراتيجي في المعلومات التي نقلها، وفي نوفمبر من العام ذاته، كانت هناك انتخابات رئاسية ونافس كلينتون على فترة ولاية ثانية، أمام "بوب دول"... نحن نتذكر دائما فقط الفائز وليس الخاسر.

نعم والمعقولية من وراء هذه المعلومات، أنه إذا خسر كلينتون في الانتخابات، سيكون كما نقول: إوزة عرجاء، ولن يستطيع التدخل لصالح إسرائيل، بالإضافة إلى ذلك السيناريو الذي أتي به كان مشابها جداً لما خطط لفعله المصريون والسوريون في حرب عيد الغفران، إذ لم ينو المصريون احتلال كل سيناء، بل فقط قطاع يبلغ عشرة كيلومترات بطول القناة من أجل تحريك المسار السياسي، والذي في نهايته يتم التوقيع على اتفاق يعيد لهم سيناء، والنموذج ذاته كان موجودا هنا على أي حال هذا أثار لدي الريبة، لأن كل

من عرف حافظ الأسد كان يعلم أنه لن يخرج وحده للحرب، من أجل تحريك مسيرة سياسية خاصة، عندما يرتبط ذلك بالتطورات السياسية في الولايات المتحدة لم تكن هذه طريقة تفكيره.

على أية حال بعد أن شككت في مصداقية التحذير، الذي نقله المصدر ل "يهودا جيل" اقترح على الموساد السفر إلى أوروبا والتحقيق مع العميل، أي الجنرال السوري الذي لم أعلم في ذلك الوقت أنه حقا عميلا، ووافقت قائلا: بالتأكيد سأكون مسرورا أن التقي به مباشرة وأن أتحدث معه، لأنه على أية حال كنت قد تعلمت العربية، ولدى خبرة كبيرة في هذه قالوا لي: "لا. لا، لم تفهمنا جيدا، أنت ستسافر إلى هناك وستلتقي "يهودا جيل" قبل أن يلتقي هو مع العميل وتطلعه على الأمر، وهو سيجلس معه طوال اليوم أو لعدة ساعات، وفي المساء سيقابلك ويقدم لك ما قاله العميل وهذا ما سيحدث فسالت: وماذا من المقرر أن أفعل في يوم العمل الثمين كهذا؟ فقالوا لي: هل تحتاج أن تفعل شيئا؟ كن على حريتك أخرج لنزهة في المدينة، ولتفعل ما يحلو لك، وقالوا لي أيضا: نحن سنتخذ كل الخطوات....

إنني لا أفصل هنا، لأنها أمور تخص الموساد لن يغير ذلك شيئا. باختصار عدت إلى المكتب وبدأت أتحدث مع نفسي، وكان حوارا

صعبًا في الحقيقة قلت لنفسي: ماذا حدث لك يا "عاموس"؟ هل أصاب عقلك شيء؟ إذا كانت ميزتك النسبية هي في الاتصال المباشر مع العميل، لماذا ستوافق على القيام بذلك عن طريق "يهودا جيل" وأنت بالفعل شككت في الثمانينيات في كونه كاذبا؟ خجلت من نفسي وأخبرت الموساد إنني مستعد للسفر، بشرط أن التقي مع الجنرال السوري فقالوا لي: هذا ليس في الامكان، إما أن تسافر وفقا لشروطنا أو لن تسافر في الأساس. فقلت: إذا كان الأمر كذلك لن أسافر. وأرسلت بدلا مني رئيس الجبهة السورية، وضباط آخرين وقد سافروا لأوروبا للتحقيق مع "يهودا جيل" ونشروا تقريرا يقر أن هذا كان بالفعل تحذيرًا جادا.

وقد وصل ذلك مباشرة لرئيس الحكومة، ووزير الدفاع إنني أذكر إنني تملكني غضب رهيب، وطلبت على الفور عقد نقاش وقلت: هذا اختلاق مشترك نتاج عمل مخابراتي غير صحيح، هذا مفند ولا يبدو صحيحا هذا لا يتناسب مع أي شيء في مجال الاستعدادات أو مجال القدرات أو مجال النيات. وطلبت من السكرتير العسكري لرئيس الحكومة "شمعون شابيرا" أن يرسل نائبه للشؤون المخابراتية لهذا النقاش، وبالفعل أرسله رغم أن هذا غير مقبول، وقررت إنني سأصدر وثيقة تقديرات خاصة مكتوبة،

لأنه لم يكن ممكنا فقط القول شفهية، ويجب أن نكتب ذلك. في تلك الأثناء أخذت الأمور في التعقيد، لأنه إذا استثمرت مليار وربع من الشيكل لرفع الكفاءة الأساسية لجيش إسرائيل في هضبة الجولان ورغم ذلك كان الجيش السوري في وقتها يهددنا بشكل كاف لن يمكنك إخفاء ذلك.

وبدأ السوريون من جانبهم في التفكير أن الإسرائيليين سيجن جنونهم، ويستعدون فعليا لمهاجمتهم وكانت هناك نشرات في الصحف الأجنبية، أن "نتانياهو" ينوي أن يبادر بخطوة عسكرية ضد سوريا، من أجل أن يعظم من قوته، وسألتني عناصر استخباراتية أمريكية وغيرهم ممن كانوا على اتصال معنا إذا ما كان الأمر صحيحا، فقلت لهم إن هذا مجرد هراء كلام فارغ لا أساس له من الصحة لا يرغب أحد لدينا في الحرب، لكننا نخشى أن تبادر سوريا بخطوة عسكرية، المشكلة هي أن مسؤولا كبيراً في سوريا في تلك الفترة وكان مخضرما جدا ويعد سلطة مهنية وكان مقربًا من حافظ الأسد، كان قد أوصى بالاستعداد لهجوم وقائي سوري واسع، من أجل توجيه إشارة لإسرائيل: نحن نعلم كل نواياكم بالهجوم، فلا تتجرؤوا على مواجهتنا. وقد خطط السوريون فعليا لهجوم وقائي رغم أنه لم تكن لديهم القدرات.

ومتى كان من المفترض أن يحدث التحول؟

لو كنا حشدنا قوات الاحتياط.

لماذا كان هذا على طاولة مجلس الوزراء؟

لأن حشد الاحتياط ليس شيئا يمكنك إخفاؤه، وفي اللحظة التي تبدأ فيها رفع القوات الاحتياطية إلى محاور هضبة الجولان، سيفكر السوريون أنك على وشك مهاجمتهم، وسيبدؤون في الهجوم الوقائي. يمكنني أن أقول لك إننا كنا قريبين على مسافة خطوة من الحرب، إنني أحاول طوال الوقت أن أتخيل ماذا كان سيحدث وقتها للدولة؟ لأن هذا هو أهم شيء وأيضا ماذا كان سيحدث لأشخاص مثلي؟ تخيل يوجد تحذير بالحرب ويقول رئيس قسم الاستطلاع بجلالة قدره أنه تحذير خاطئ، وتندلع في النهاية الحرب كانوا سيشوهون سمعتي، ويلصقون بي العار وإلى أن يستوضحوا الحقيقة ويدركوا أن الحرب اشتعلت بسبب تحذير، وليس بسبب أن السوريين رغبوا في الحرب كنت سأموت داخليا. وكل أولئك الذين صدقوا هذا التحذير، وتصرفوا وفقا له كانوا سيحظون بالمديح. بالتأكيد كان سيتم تعيين "يهودا جيل" رئيسا للموساد، وكان سيحظى "بوجي" بهالة عالمية وكان سيترقى رئيس الجبهة، الذي تحت قيادتي ليكون رئيسا لقسم الاستطلاع.

حسنا مثلما ذكرت كان هناك نقاشا في مجلس الوزراء، حول السؤال هل يتم حشد الاحتياط أم لا؟

تحدثنا عن قوات كثيرة ولم أكن في هذا النقاش الحاسم، وكان رئيس الحكومة "نتانياهو" مؤيدا لحشد الاحتياط، لكنه كان يقف أمامه جدار من رئيس هيئة الأركان العامة "شاحاك" ووزير الدفاع "موردخاي" وآخرين ممن قالوا إن التحذير غير مقنع، لا من ناحية القدرات ولا من ناحية النيات، ولذلك لا يجب حشد الاحتياط.

أولا: لأنه لا داع لذلك.

ثانيا: لأن هذا عبء هائل.

ثالثا: لان هذا سيؤدي إلى الحرب.

المناقشات الجدلية كانت شديدة واستمرت الأخبار من "يهودا جيل" في التدفق.

كانت كلها مزيفة أليس كذلك؟

أخبار ملفقة في الحقيقة، ولحسن الحظ نجحت المنظومة في النهاية ألا تحشد الاحتياط، وهذه المرة انتهي الأمر على خير، لكنه كان من المقرر أن ينتهي بالأسواء.

هل شكت المنظومة في هذه المرحلة في يهودا جيل؟

حسب رأيي ارتاب كبار رجال الموساد، كان رئيس الموساد في تلك الفترة، هو "داني ياتوم"[1] فيه منذ زمن لكن كل هذا الفشل الذريع، أعطاهم الشرعية أن يطلبوا منه أن يسجل صوت المصدر، بمعنى صوت الجنرال السوري. وهو لم يرغب في أن ينضم إليه في اللقاءات رجال الاستطلاع، سواء من الموساد أو من شعبة الاستخبارات، إذن من فضلك سجل صوت الرجل. وأعطوه جهاز تسجيل وبعد اللقاء مع المصدر جاء وقال: الجهاز لم يعمل وأن هناك تشويش في التسجيل، وكل أنواع القصص الواهية. كانت هناك أيضا تفصيلات مثيرة لقد تحدثنا حول أن رجال شعبة الاستخبارات كانوا يطلعون "جيل" على المستجدات قبل لقائه مع المصدر المزعوم. وكانوا يعطونه المعلومات التي وصلت من مصادر أخرى، ويطالبونه أن يتحقق منها من الجنرال السوري وأن يطابقوا المعلومات، حينئذ عندما بدأوا في الشك في أنه يفبرك المعلومات، زرعوا في المعلومات المستجدة تفصيلة من المعلومات غير الصحيحة.

---

(١) داني ياتوم (١٩٤٥): (بالعبرية: דני יתום): هو رئيس جهاز الموساد الثامن، تطوع بجيش الدفاع الإسرائيلي عام ١٩٦٣، كلفه شمعون بيريز بإدارة جهاز الموساد عام ١٩٩٦، واستقال من منصبه عام ١٩٩٨ بسبب فضيحة فساد.

وماذا كانت هذه التفصيلة؟

قالوا له: أنه وصلت معلومات على أن المجلس العسكري الأعلى في سوريا صادق على الحرب ضد إسرائيل، وطلبوا منه أن يتحقق من ذلك مع مصدره، يجب أن نفهم شيئا المجلس العسكري الأعلى على النقيض من اسمه الرنان، كان جهة بلا مضمون كل هدفها أن تسمح للأسد أن يوظف فيه جنرالات مقربين، يرغب في تعيينهم وأن كان لا يقدر إسهامهم من أجل سوريا، وهذا هو الأمر بمعنى تم تعيينهم بكادر وظيفي وسائق وسيارة وشروط خدمة جنرالات، لكنهم لم يناقشوا أي حرب أو أي شيء، وسقط "يهودا جيل" في الفخ وأكد أمام العميل المفبرك المعلومات التي زرعوها له، والتي لم تكن صحيحة بشكل عملي، اثبت هذا الخبر أن كل شيء هو كلام فارغ واختراعات.

رويدا رويدا أدركوا في الموساد أنه يخدعهم، وأن هذه مخالفة أمنية وكذلك مخالفة جنائية خطيرة، وقاموا بنقل الأمر لجهاز الأمن العام ولشرطة إسرائيل للتعامل معه. وخلال أسبوع استخلصوا منه اعترافا كاملا، ووجدوا عنده في منزله في منطقة "جديرا" الأموال التي منحها الموساد له كي يدفعها للعميل، وهو بالطبع لم ينقلها للعميل لان العميل "الجنرال السوري" لم يكن عميلا، ولم يوافق

على التعاون مع إسرائيل. بالفعل هو لم يعلم بشكل عام أن "يهودا جيل" إسرائيلي، وهو أمر متبع في تجنيد العملاء أحيانا العميل الذي تجنده لا يعلم أنك إسرائيلي، ويعتقد أنك رجل أعمال أوروبي، وبهذه الطريقة يمكنك أن تستمد منه المعلومات، لأنه لا يوافق كل شخص أن يعمل مع إسرائيل، هذا جيد لكن في حالة "يهودا جيل" الجنرال السوري لم ينقل له أيه معلومات، وفبرك "جيل" كل شيء وتقريبا قادنا إلى الحرب ولذلك تم سجنه لخمس سنوات.

كنت في باريس مع "شمعون شابيرا" وجعلني أري مقهى "دميجوا" الذي حدث فيه اللقاء بين يهودا جيل والجنرال السوري، وجلس رجال جهاز الأمن العام في المقهى المقابل وحدث ذلك في مرحلة متأخرة. نعم حدث ذلك قبيل النهاية. في اللحظة التي دخل جهاز الأمن العام في الصورة انتهي أمره. وهكذا اتضح أن الجنرال السوري ربما شرب هناك معه القهوة لكنه لم يكن عميلا. صحيح هو لم يعلم أنه يعمل مع الموساد في أية مرحلة، بل كان واثقا أن "يهودا جيل" هو رجل أعمال دولي، شخص مثير للإعجاب يتحدث سبع لغات، رجل من عالم الصفوة، واعتقد الجنرال السوري أن هناك فرصة لإدارة الأعمال، وليس أي شيء يتعلق بالتجسس، وفي نهاية الأمر الجميع يحبون صنع المال وكذلك العرب

هل تفاجأت عندما اتضح أن «يهودا جيل» اخترع كل شيء؟

في الثمانينيات لم أصدق تقاريره وسميتها بخيال البحر المتوسط، لكن لم يتبادر إلى ذهني أن شخصا كبيرا في الموساد يخترع معلومات مخابراتية يمكنها أن تؤدي إلى حرب، وبالتحديد شخص مثل "يهودا جيل" الذي كان أسطورة في الموساد وعلم أجيالا من مجندي العملاء، قلت لنفسي ربما هو ليس كذلك وليس مجندا ناجحا كما يعتقدونه، ربما العميل يضلله ويبيع له معلومات كاذبة، كل شيء وارد لكن أن يخترع بنفسه المعلومات، هذا ما لم يخطر ببالي.

يجب أن نشير أيضا إلى شيء آخر، وهذا جزء من التعليم الذي كنت القيه على ضباطي من المهم أن تعلم من هو العميل، وأن تتحقق منه لكل جوانب التجنيد، وهل يتلقى هذا العميل المال أم لا وما هو راتبه وما هي ظروفه، هذا ليس دور شعبة الاستخبارات كعنصر يهتم بالتقديرات وإذا تخطى الفضول حدوده فلتحتفظ بهذه المعلومات لنفسك.

الفصل الثالث

الحرب التي لم تكن كذلك التنبيه الزائف لعام ١٩٨٣

هيا بنا لنتحدث عما حدث في عام ١٩٨٣، وكيف كانت علاقته ب "يهودا جيل"؟

تعتبر التنبيهات الزائفة ظاهرة تعيد نفسها، خاصة في أعقاب الصدمات الاستخباراتية، هكذا وعلى سبيل المثال بعد أربع سنوات من حرب يوم الغفران عندما هبط السادات في إسرائيل، كان البعض يعتقد أنه في الواقع عملية تمويه لشن هجوم على إسرائيل، كان هذا بالطبع محض هراء. تكرر ذلك في عام ١٩٨٣ في أعقاب صدمة حرب لبنان الأولي، ومذبحة صابرا وشاتيلا وكل هذه الفكرة المجنونة للسيطرة على لبنان، وتحويلها بالقوة إلي دولة توقع معنا على اتفاقية سلام لذلك في عام ١٩٨٣ وبعد انهيار كل شيء ظهر نوع من الهوس العقلي ليس لدي كلمة أخري بأن سوريا سوف تهاجم إسرائيل في هضبة الجولان. تكمن المشكلة في أنه في مثل هذا الجو يمكن للعملاء الذين يتم اطلاعهم وفقًا لذلك، إذا لم يتوقف بحذر لإنتاج معلومات تدعم بما سوف تعتقد أنه قد يحدث، هذا يعني إذا كنت تعتقد أن حربًا سوف تندلع، وكان ضباط الاستطلاع

يطلعون ضابط الاستطلاع والذي لم يكن واعً في استجواب وكيله، فربما أنه حصل على معلومات تحذيرية، كمثل نبوءة تحقق ذاتها ولا يوجد شيء أخطر من ذلك، لأنه لا سمح الله إذا كنت ستقع في شبكة الإنذار الكاذب فربما تجد نفسك في حالة حرب، وتكون للحرب دائمًا ضحايا وقتلي وجرحي وأضرار، وليس في كل حرب من الممكن أن تتوقع الانتصار من نوع حرب الأيام الستة.

على أي حال سأعود إلى عام ١٩٨٣ بدأت الأخبار تصل إلى المؤسسة، وفي هذه الحالة ولسوء الحظ صدق كبار ضباط شعبة الاستخبارات المعلومات.

بشكل شخصي يبدو من غير المعقول أن تخوض سوريا حربًا، وحدها مع إسرائيل بعد كل شيء كان حافظ الأسد يدعو دائمًا بالتوازن الاستراتيجي، والتوازن الاستراتيجي يمكنك أن تحققه سوريا إما عن طريق تحالف واسع، لنقل مع العراق صدام حيث أن مصر كانت بالفعل في حالة سلام مع إسرائيل، أو محاولة ابنه بشار لمفاجئتنا بعد ٢٥ عاما ألا وهي الأسلحة النووية كان الأسد الأب الشرير والقاسي، ولكن حسب رأيي فقد كان حكيما وواعًيا، بعد أن أسقطنا ٨٠ طائرة في انتصارات جوية ودمرنا٢٠ طائرة مضادة للطائرات بقيادة قائد السلاح الجوي "ديفيد إيفري" وبعد أن أبدت

إسرائيل تفوقها الجوي المطلق أمامهم، فهل سيهاجمون إسرائيل بطريقة ستجرها إلي حرب شاملة؟ هذا غير منطقي، إنه غير مناسب وأيضًا لم يتم الكشف عن الاستعدادات للحرب. كان هذا تحليلي الاستراتيجي كما قلت في محادثة أخرى، واقتبست من "رابين" أن دور المخابرات هو أن تكون في مكان العدو، وأن تحكم وفق أفضل حكم مهني كمثل قاضي يحكم بالدليل وليس علي حسب أي شيء آخر. بشكل مختصر كان هناك خلافا حادا بين العديد من رؤساء أقسام شعبة الاستخبارات العسكرية، الذين تعاملوا مع سوريا وكبار مسئولي المخابرات وهم رئيس الكتيبة، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، وغيرهم ممن زعموا ذلك.

من كان رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية؟

"يهوشوا ساجي" على أية حال كانت الحجج مريرة، ثم خطرت لي فكرة للتحقق عما ورد في التقارير بلغة المصدر، ألا وهي العربية إنه درس هائل بالنسبة لي، فحصنا واكتشفنا أن تقارير المصادر القيادية كتبت "شن وقت الحرب" وهذا يعن أننا متواجدون عشية الحرب، كمثل ما ورد في العهد القديم[1] وكانت تسمي الحرب وهي مقولة

(١) ليكن حكيمًا حتى يتكاثر، لأنه سيدعو للحرب، وسيحارب أيضًا من أجلنا الذين كرهونا وحاربونا وصعدوا من أرض إسرائيل (سفر الخروج ١:١٠)

رائعة للغاية، وهذا يعني أن المعلومات في لغة المصدر، خلافًا لما تم تداوله بالعبرية لم تتحدث عن مبادرة سورية لمهاجمة إسرائيل، بل عن مخاوف سورية من الحرب، وفي الحقيقة كان السوريون خائفين من مهاجمتهم هذا **أولا**، لأن مواقعنا في لبنان كانت قريبة للغاية من مواقعهم، وكانوا غاضبين ومتوترين للغاية

وثانيًا: لقد فاجأناهم بالفعل قبل عام في عام ١٩٨٢ ويمكننا أن نفاجئهم مرة أخرى، كل هذا مرتبط بمنطقي ومنطق زملائي رؤساء الأقسام في شعبة الاستخبارات العسكرية. وبالمناسبة كان خوفهم هذا بلا أساس، على حد علمي لم يتم أحداث في أي جلسة لمجلس الوزراء المصغر أو الحكومة في تلك الفترة، عن شن هجوم ضد الجيش السوري، ولكن فقط عن الاستعداد للدفاع لكن هذا لا يهم، المهم هو أن السوريين خشوا من شن هجوم إسرائيلي، لكنهم لم يخططوا لشن هجوم هذا يعني إذا عدنا إلى المبادئ الأساسية للتنبيه الاستخباراتي في مجال القدرات، فلم يتم الكشف عن أي تحذيرات للحرب بينما في مجال النيات، فكانت المعلومات التي استند إليها التحذير عكس ما هو مذكور في الترجمة العبرية.

تذكرني هذه القصة بالدعابة التي قالها الجندي المقدام شفيق: سأذهب لأقتل الأعداء. قالوا له: وإذا قتلوك؟ أجاب: لا أعتقد ذلك.

لكن هذا بالطبع موضوع خطير للغاية، لأن الإنذار الخاطئ يمكن أن يحقق ذاته.

كيف انتهي الأمر؟

أنا على الفور وصلت إليه كانت هناك مبررات مروعة، وعندها عليك أن تدرك أن حرية رأي الاستخبارات مقدسة، ومقدسة في دماء جنودنا منذ حرب يوم الغفران لكنك ما زالت في نظام التدرج، ثم بعد ذلك في مناقشات الترقيات والمبادئ الذي ليست ذات، يمكنك أن تبقي رائدًا مدى الحياة لمجرد أنك واجهت رأيك المهني، هذا يفسر بالمناسبة أنه لماذا قبل حرب يوم الغفران، وفي المناقشات الحاسمة اصطف الجميع تقريبًا وقالوا إن العرب لم يخرجوا للحرب. هذه المبررات كالعادة لا تبقي فقط في شعبة الاستخبارات، لأن المخابرات تنشر الأوراق وتدور في المناقشات تحذير من الحرب؟ علينا الاستعداد لقد وصلت إلى المستوي السياسي الذي يناقش بحزم، توجيه ضربة استباقية ضد السوريين وهذا من الممكن أن يوصلنا بسهولة إلى ارتطام مع السوريين. انتهت المبررات بذلك في أعقاب اعتراضنا على الترجمة الركيكة، ووافقت المؤسسة على إصدار تعديل للتنبيه، من المهم التأكيد أنه على عكس الحرب في لبنان، حيث كان هناك سلوك مشين من قبل

الموساد أو على الأقل غير مقبول أمام الكتائب، كان الأمر هنا هو موضوع مهني مناسب، كيف تترجم من العربية بالطبع بمجرد تقديم معلومات تحذيرية، لكن المؤسسة وافقت على إصدار اجراء تعديلات للمعلومات، وببطء فيما يتعلق بالصورة الاستخباراتية الشاملة تلاشت بشكل تدريجي. لكن لا تنتهي عند هذا الحد وهنا أصل إلي درس آخر لا يوجد إنسان أو منظومة لا تتهاون بعد أن يتلاشى التوتر، هذه طبيعة بشرية وهذا هو أخطر شيء، وبعد أن اتضح أن هذا إنذار كاذب دخلنا في غيبوبة لفترة، ونظم السوريون فجأة تمرينًا ضخمًا لم يسبق له مثيل، حتى ذلك الحين والذي شمل افتتاح جميع بؤرهم الاستيطانية في الجولان السوري، بؤر الطوارئ لقد كانت في الواقع تمرينُا عمليًا لمحاكاة حالة الحرب مع إسرائيل، كان الأمر مقلقًا للغاية ويتناقض شخصيًا أيضًا مع تقييمي، وهو بأنه لن تكون هناك حرب.

كل شخص يقع في حب أطروحاته، ثم يقع في حب أحد العقبات التي تواجه رجل المخابرات إذا كنت محقًا في التقييم مرة ومرتين وثلاث مرات تبدأ في الشعور بالرضى، وتعتقد أنك على صواب طوال الوقت لذلك أنت مخطئ. في هذه المهنة يمكنك أن تكون محقا مئة مرة ثم ترتكب خطأ للمرة ال ١٠١، وبطريقة

باهرة. انظر الي "يونا باندمان"[1]، الذي كان رئيس الفرع المصري لقسم البحوث عام ١٩٧٣ كانت هناك بعض التحذيرات للحرب، وفي كل مرة كان يقول إنه لن تكون هناك حرب، وصدق كانت له هيبة النبي، في الخامس من أكتوبر من عام ١٩٧٣ قال أيضًا أنه لن تكون هناك حرب على الرغم من كل الإشارات التي تقول عكس ذلك، وفي اليوم التالي في الساعة الواحدة والخمسون دقيقة دقت صفارات الإنذار. لذلك فهي قاعدة استخباراتية مهمة، ونحن نتعامل مع الدروس هنا طوال الوقت فمجرد ظهور بيانات جديدة تدحض أطروحتك، يجب عليك إظهار العظمة المهنية وليست الشخصية فقط.

وتقول: عفوًا كنت مخطئًا وهذا ليس أمرًا سهلًا، لأن الاعتراف بالخطأ يعني فقدان الهيبة.

---

(١) كان المقدم يونا باندمان أحد مفكري مفهوم عشية حرب يوم الغفران، وقدّر أن مصر لن تخوض حربًا. هذا الرأي أيده أيضًا قادته، رئيس قسم البحوث، والعميد أرييه شاليف، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية العميد ايلي زيرا. في الخامس من أكتوبر عام ١٩٧٣، أي قبل يوم من اندلاع الأعمال العدائية، أصدرت شعبة الاستخبارات مجموعة معلومات استخباراتية تضمنت ٣٩ قسمًا منها مرشحات دالة على الحرب. اختار باندمان أن يضيف إليها المادة ال ٤٠ والتي كرر فيها تقييمه بأن احتمالية حدوث الحرب منخفضة

يجب أن نتذكر أننا نتحدث عن عام ١٩٧٣، عشر سنوات فقط بعد حرب يوم الغفران، وفجأة نشهد الاستعداد الكامل للطوارئ في جميع البؤر الاستيطانية، وألغاز عمليات الجيش السوري على الرغم من تعريفه بأنه تدريب، إلا أننا جميعنا نعتقد كلمة تدريب تدل على أنها تمويه لحرب، يوم الغفران صحيح أن السياق الاستراتيجي ليس مشابهًا لأنه كانت هناك مصر، وسوريا والكثير من الدول، ولو كانت سوريا هنا فقط لكن لا أحد يعرف ما يدور في ذهن الأسد. وفوق كل هذا، كانت هناك أيضًا مشاركة روسية في هذا التدريب أعني السوفييت. والذي كان لا يزال الاتحاد السوفيتي هذا كان غريب للغاية، مبهم تمامًا لم يكن منطقيًا أن يقوم السوفييت بأي شيء معادي ضد إسرائيل، لكن الاعتماد فقط على المنطق لا يكفي، فماذا فعل السوفييت بمثل هذه الأشياء في الماضي. كان التدريب مخيفًا من الواضح أنهم يتآمرون لشيء ما، وكان من المستحيل فهم ما هو.

عند النظر للوراء من الممكن أن يكونوا قد مارسوا الاستعداد الكامل للطوارئ في حالة مهاجمة إسرائيل، ولكن ذلك شمل أيضًا جميع أنواع العناصر الهجومية لم يكن الاستعداد ليلًا ونهارًا في مكاتب الطوارئ.

ثم جري حدث درامي آخر جلس طيار من القوات الجوية السورية على ذيل طائرتنا الجوية، كان يضغط على الزناد بكل قوته لكنهم لم يعملوا، ربما كان هناك خلل. كان قائد سلاح الجو مغوارً بما يكفي ليقول إنه على الرغم من عدم إصابة طائرتنا، إلا أنه لم يكن ذلك بسببنا كنا محظوظين فحسب من جانبنا، وعلى أية حال فهذا نوع من الإنجاز السوري، ومن الممكن تفسيره على أنه استفزاز سوري استعدادًا للحرب إذا كانوا أسقطوا طائرتنا، وهو أمر قد فشلوا في فعله ولو مرة واحدة خلال حرب لبنان الأولى، لكان من الممكن أن ينتهي بشكل مختلف تمامًا.

بالنسبة لي وبالمناسبة فقد حدث شيء مدهش بعد ذلك، كنت بالفعل رئيس الموظفين لرئيس شعبة الاستخبارات العسكرية "أيهود باراك" وذات يوم، قبل وقت قصير من بدء التدريب السوري أمرني أن أنتظره عند أي مفترق طرق لا أتذكر أين بالضبط، وكان سيأخذني في سيارته هذا يبدو، غريبا يوجد لديه وزارة ويوجد لديه مكتب. حسنًا إذا كان هذا ما يريده فماذا سيكون؟ حتى إنه ظهر في الوقت المحدد بالدقيقة. دخلت، وقال "باراك" لي: أنا سألقي عليك مهمة توجه إلى لبنان تجول على طول حدود شمال بيروت طريق بيروت طرابلس استدر شرقًا ثم شرقًا مرة أخرى، هاجم المنطقة بأكملها وتحقق مما إذا كان السوريون يريدون مهاجمة الكتائب.

سألته: أخبرني ماذا؟ أليس لدينا ٨٢٠٠؟ أليس لدينا وكالات تحصيل؟ ما الذي يمكنني معرفته بمفردي؟ قال لي: أنا أثق بك.

قلت له: هل أنت متأكد من أن هذه المهمة لشخص واحد؟

لكن "باراك" أصر وقال: لا تجادل هذا أمر. افعله.

حسنًا إذا كانت هذه هي الأوامر اذًا أنا أؤدي.

وصلت لبيروت ورحبت بي الفصائل، وركبت الجيب وعلى كلا الجانبين توجد كتائب تحمل رشاشات ضخمة، سافرنا على طريق بيروت–طرابلس من الجهة العكسية عكس اتجاه السير كمثل السفر من حيفا لتل أبيب، في المسار العكسي شيء مجنون. كنت واثق من أننا لن نخرج من هنا على قيد الحياة، لكن لا يمكنني قول أي شيء لأن لدي أمر من رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، وأقوم بتنفيذ الأوامر بشكل دقيق. هذا ما قاله لي وأنا أفعله، وهذا هو ما أفعله. وصلت في نقط معينة مع هؤلاء الكتائب القريبين جدًا من السوريين، ولكن بأعجوبة تم الانتهاء من المهمة.

خلال الدورية التقيت بالمساعد الخسيس "ايلي حبيقة" من مجزرة صابرا وشاتيلا كان يلقب ب "آشور" المساعد، ولم يكن حتى "مارونيًا" بل كان "يونانيا" أرثوذكسيا.

هو شخص فطن بشكل استثنائي قال لي "آشور": "عاموس" أنا أريد أن اريك مكاتبي الجديدة هل انت مهتم لتري؟

قلت: مهتم؟ بالطبع.

ما الذي أستطيع قوله؟

لذلك أوصلني إلى مكاتبه الجديدة والفاخرة في "كاريتينا" الموجودة في ميناء بيروت. وكان هناك مقر الكتائب أظهر لي هاتفًا ذهبيًا، وهاتفًا أحمرا وقال لي: يجب على أن أخبرك بشيء، كصديق. أنتم تعيشون في وهم بأنه سيكون هناك سلام بين إسرائيل ولبنان.[1] لدينا صحيفة رسمية "غازيت"، كما يسمونها بالفرنسية يفترض أن جريدتنا غازيت تكتب عن اتفاق سلام بين لبنان وإسرائيل، وفي كل مرة أنتم تتسألون متي سيكون ونقول: انظروا لدينا مشكلة في نشرها لكن لا تقلقوا.

هكذا نهدئ السوريين أيضًا الذين يضغطون علينا ويهددونا، وهكذا أنتم ايضًا، ولكن أنا أقول لك في خلاصة القول، لن يكون هناك سلام أي أن الاتفاقية لم تزيف الورقة التي وقعها. لقد كنت مشوشًا، وعلى الرغم من أن هذا كان تقييمي من البداية، إلا أن هناك

(١) في ١٧ مايو من ذلك العام ١٩٨٣، تم توقيع اتفاقية سلام بين إسرائيل ولبنان، ولكن بعد أقل من عام تم الغاؤها من قبل الحكومة اللبنانية.

فرق بين ما أقوله، أو ما أعتقده، وبين ما يقوله هذا الرجل والذي يعد واحدًا من كبار الكتائب. كان لدي خيارات الاتصال بإسرائيل، لذلك أصدرت على الفور تقريرًا هاتفيًا ثم سمعت في تلك المداخلة، عن التدريب السوري الغامض وعدت على الفور إلى إسرائيل الي قاعدة المخابرات في الشمال، للتعامل معها من حيث التقييم لأنني كما قلت شغلت مناصب سابقة في شعبة الاستخبارات العسكرية، في كل من لبنان وسوريا. وكنت منهكا للغاية في هذه الفترة، لدرجة أنني دخلت مستشفى "زيف" وهربت بعد يومين لأنه بالنسبة لي يبدو أن التواجد في وسط التدريب أهم شيء.

لنتحدث عن دروسك من هذا الحدث.

الدرس الأساسي هو أن تبني تحذيرا خاطئا يمكن أن يكون بنفس خطورة عدم وجود تنبيه حقيقي، على الأقل إذا فاتك تحذير حقيقي، ستجد نفسك في حالة حرب عندما لا تكون مستعدًا لذلك، وإذا فاتك تحذير كاذب يمكنك الدخول لحرب لا تريدها، خاصة عندما تكون بعد صدمة كبيرة كمثل يوم الغفران أو خلال فترة متوترة مثل عام ١٩٨٣ لذلك فإن القدرات والمهارات والادراك، ونهج الاستخبارات متطابقة في حالة التحذير الخاطئ والتحذير الحقيقي.

الفصل الرابع

بين سويسرا وموزمبيق
الاجتماعات السرية «أبراشيا تايمر»

سيختار مؤلف الروايات المثيرة ايضًا من مدينة "مونفوتو" عاصمة موزمبيق، كمكان مناسب الاجتماعات السرية بين الأعداء، في فندق "مابوتو" وعلى شواطئ المحيط الهندي، جلس أحد ممثلو الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية، بجانب دبلوماسيين من ألمانيا النازية. موزمبيق التي كانت آنذاك تحت السيطرة البرتغالية جلست على الحياد وسمحت للجانبين بفعل ما يحلو لهما. كانت موزمبيق التي يهيمن عليها الماركسيون، على استعداد لتقديم خدماتها الجيدة لرؤساء المنظمات، التي تمثل الحركات الوطنية، أو إذا صح التعبير المنظمات الإرهابية لذلك حاولت موزمبيق في السنوات الأخيرة أن تتقرب للغرب، وبالأخص للولايات المتحدة.

على هذه الخلفية، في أحد أيام الصيف لعام ١٩٨٧، قام المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية بزيارة سرية لموزمبيق. استقبلت نسمة عليلة في وجه جنرال الاحتياط، "ابراهام تايمر" عندما هبط في مطار "مابوتو" الدولي، باقتراح أمريكي للترويج في موزمبيق لعدة مشاريع زراعية، بتمويل أمريكي وبتنفيذ إسرائيلي كخطوة أولي

نحو إقامة علاقات دبلوماسية بين الدول المعنية وسرعان ما رتب مضيفو "تايمر" رحيله من الميدان، ونقلوه إلى الفندق الذي كان من المفترض أن يقيم فيه أثناء إقامته هناك، ولم تتحدث وسائل الإعلام في إسرائيل عن تلك الزيارة السرية في تلك الأيام. لكن الزيارة كان لها غرض آخر، تم دمجه فيما أصبحت عملية شبه بالية في المنطقة المجاورة، مباشرة لنائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية "شمعون بيريز"، وهي عملية السلام. شجع "بيريز" مستشاريه بمن فيهم المدير العام لمكتبه "تايمر" على عدم ترك أي حجر دون تحويل، لمحاولة أحداث تحول في العلاقات مع الأردن والفلسطينيين. جرت في موزمبيق محاولة بعيدة كل البعد عن كل التحركات التي سبقتها. كان السفير الاسرائيلي في " سوازيلاند" "شلومو ديان"، ينتظر بتمني في فندق "بولانا" القديم والفاخر الواقع على شاطئ البحر، طلب من "ديان" السفر الي موزمبيق لحضور محادثات "تايمر" باستثناء اجتماع واحد. في نهاية اليوم وفي الوقت المحدد وقفت سيارة سوداء أمام الفندق المقوس، واستقرت بين الأعمدة الضخمة التي كان لونها أبيض، تسلل "تايمر" من غرفته وركب السيارة التي نقلته إلى دار الضيافة الحكومية الرسمية، استمرت الرحلة حوالي نصف ساعة. كان الظلام قد حل بالفعل بالخارج، حضر حراس

كثيرون كانوا يحيطون بالمبني إن المتحدث لـ "تايمر" قد وصل بالفعل إلى مكان الاجتماع، كما امتلأت الممرات المؤدية إلى غرفة الضيوف الرئيسية في المبني بحراس مسلحين. دخل "تايمر" إلى غرفة المعيشة الواسعة وسلم على الرجل الذي ينتظره، ابتسم ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، بابتسامة واسعة وهو يصافح "تايمر" وبعد تبادل التحيات قدم عرفات لـ "تايمر" اثنين من مساعديه المقربين، الذين شاركوا في المحادثة.

الخاطب لم يكن سوي الدكتور أسامة الباز، المستشار والأقرب من الرئيس المصري آنذاك حسني مبارك، تعرف الباز و"تايمر" على بعضهما خلال فترة المفاوضات، حول اتفاقية السلام بين إسرائيل ومصر، وهما معروفان بعلاقتهما الوثيقة الخاصة بينهما، بمعني آخر الاثنان سرقوا سويًا الكثير من الخيول، ويجب الإشارة أن الرئيس مبارك سبق أن رفض الأفكار التي طرحها السفير المصري في إسرائيل محمد بسيوني، للاجتماع سرًا بين "بيريز" وعرفات، وزعم مبارك أن عرفات سيسرب أمر الاجتماع. بعد سنوات من السعي الدؤوب للأفكار، من أجل دفع عجلة السلام بين إسرائيل والفلسطينيين، توصل "تايمر" على ما يبدو إلى استنتاج مفاده أنه لن يكون من الممكن احراز تقدم في العملية دون مشاركة منظمة

التحرير الفلسطينية. كان الدور الذي كلفه المصريون والأمريكيون والأردنيون، لمنظمة التحرير الفلسطينية في صيف عام ١٩٨٧ هو اعطاء الضوء الاخضر لممثلين فلسطينيين من الأراضي، للانضمام إلى وفد أردني فلسطيني لإجراء محادثات مع إسرائيل، في مؤتمر دولي محادثات كان من المفترض أن تؤدي إلى إنشاء كونفدرالية أردنية فلسطينية.

قال "تايمر" لعرفات في بداية الحديث: في إسرائيل والولايات المتحدة هناك، معارضة لإقامة دولة فلسطينية، في الضفة الغربية وقطاع غزة، لأن مثل هذه الدولة من شأنها أن تعرض وجود وأمن إسرائيل للخطر، واضاف "تايمر" أنا أمثل أولئك الذين يعتقدون أن أفضل طريقة لحل الصراع هو في إطار كونفدرالية أردنية فلسطينية، سيتم تحديد الحدود بين إسرائيل والكونفدرالية على أساس تسوية إقليمية.

أجاب عرفات: من الممكن أن تشرح لي المعروف بالاستراتيجية العسكرية، كيف يمكن لدولة فلسطينية منزوعة السلاح، أن تهدد أمن دولة اسرائيل صاحبة أقوي قوة عسكرية في المنطقة.

ورد "تايمر" إن الخطر الذي تشكله الدولة الفلسطينية لا ينبع من

وجود جيش، بل من أعمال إرهابية تتطلب من إسرائيل التحرك من أجل القضاء على مصادرها، وأوضح أن هذا سيناريو واحد لتدهور الحرب، خطر أخر يمكن أن يكون تشكيل نموذج لبناني في الدولة الفلسطينية، سوف تقام في الأراضي أي المتطرفون الفلسطينيون الذين سيساعدون إيران أو سوريا أو الدولة الفلسطينية، ويغيرون هويتها يمكنني أن أضيف سيناريوهات أخري لأوضاع التدهور والقاسم المشترك بينها هو عدم سيطرة الحكومة الفلسطينية، التي تريد السلام لكنها لن تكون قادرة على السيطرة على الفصائل المختلفة، التي ستجد مكانها في الأراضي، تساءل "تايمر" وهو يفحص وجه عرفات الذي كان يجلس أمامه بالزي الكاكي، ويستمع إليه باهتمام شديد: إذن فلماذا الانطلاق في هذه المغامرة الخطيرة المعروفة بالدولة الفلسطينية؟

جلبوا للغرفة قهوة وماء لم يتوقف أحد مساعدي عرفات، عن تسجيل الأقوال التي قالها المشاركون في المحادثة

تحدث عرفات بصوت هادئ ورزين: هل تعتقد حقًا أن الدولة الفلسطينية يمكن أن تعرض وجود إسرائيل أو أمنها للخطر؟ لماذا تفعل ذلك؟ هل تفقد نفسها لتعرف؟ لماذا لا نفكر في علاقات السلام بين البلدين؟ نحن الفلسطينيون مستعدون للانضمام

الي الكونفدرالية مع الأردن، مع الأردن وإسرائيل، ولكن كدولة فلسطينية مستقلة وليس كحكم ذاتي تحت سيطرة حكم أجنبي أو أردني أو إسرائيلي وأنا أعني دولة ذات حدود معترف بها.

وأضاف عرفات: أن الدولة الفلسطينية ستحدد رؤيتها وستكون حرة وعاصمتها القدس الموحدة، والتي ستكون عاصمة لدولتين ستعود إسرائيل مرة أخري داخل حدود ما قبل ١٩٦٧ مع اصلاحات تلبي احتياجاتها الأمنية وترتيبات أمنية إضافية، هل تم بناء كل شيء للتدمير؟ كلنا كنا مخطئون في الماضي لكن اليوم لا يوجد بديل آخر وعلينا تقديم تنازلات لا يستطيع أحد أن يتقبل كل شيء ولا شك في أننا سوف نتنازل. كما جازف عرفات بالموافقة على لقاء المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية. سأله "تايمر" إذا كان لا يخاف على حياته نتيجة استعداده للتوصل إلى مساومة مع إسرائيل رفع عرفات يديه وانفجر في الضحك بصوت عالي: لذلك ينتظر "شارون" هو يريد أن يقتلني، أنا أتحكم في منظمة التحرير الفلسطينية، والأغلبية في المنظمة تمنحني الدعم وتدعم سياسة السلام الخاصة بنا، لدينا متطرفون مثلكم أولئك الذين يريدون إحباط جهود السلام، سوف نعزلهم.

في وقت لاحق سيكشف "أبراهام تايمر" لصديقه أمر الحديث

مع عرفات، جلست هناك وفكرت في نفسي كيف اختلف عرفات عن غيره من زعماء الحركات الوطنية، الذين حققوا أهدافهم من خلال الأعمال الإرهابية، والاختلاف السياسي هو أنه مع زعماء الحركات الوطنية كان هناك حوارا سياسيا عاجلًا أم أجلًا، بينما عرفات محظور ويطالب بحياته.

"شلومو ديان" السفير لـ "سوازيلاندا" الذي وصل لمساعدة الرئيس التنفيذي "تايمر" والذي اختار في نفس الوقت التجول في شوارعها المرصوفة بالحصي ببلاط كبير من عاصمة "مابوتو" تميزت المباني التي تركها البرتغاليون ورائهم بجمال رغم أنها لم تتلق أي عناية من شاغليها الجدد في السنوات الأخيرة وقد تقشر الطلاء وسقط منها.

بعد الزيارة إلى موزمبيق كتب "تايمر" سـردًا للمحادثات والمشاريع المقترحة للتنفيذ كجزء من برنامج مساعدات الدولة والذي استضاف الممثلين الذين يزعمون أنهم يمتلكون جزءًا كبيرًا من البلاد بعيدًا عن موزمبيق. وهكذا يتأرجح البندول بين زعيمين قد رأوا أنفسهما مرشحون لإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية وهم عرفات والملك حسين.

الطلب الذي قدمه رئيس الوزراء "إسحاق شامير" بشأن الحاجة إلى مفاوضات مباشرة مع الأردن كان مرات لا تحصي والذي أثار ابتسامة السخرية على شفاه كثيرين اعتاد "أبا إيان" القول بأنه على مر السنين أجري ممثلو إسرائيل محادثات مباشرة مع الملك حسين الذين انضموا لنحو ٨٠٠ ساعة حتى قبل محادثات السلام، التي أدت إلى اتفاق بين البلدين كل شيء معروف كانت المشكلة في التفسيرات الذي قدموها من الجانب الإسرائيلي للأمور والتفاهمات المقدمة في المحادثات مع حسين.

هل وافق حسين علي مفهوم التسوية الإقليمية كأساس لاتفاق بين إسرائيل والأردن؟

الجواب كان قاطعًا ب لا.

تحدث "إسحاق رابين" مع الملك حسين مرتين في السنوات الأخيرة عندما كان وزيرًا للدفاع في حكومة الوحدة الوطنية وروى عن لقاء واحد مع حسين الذي عقد في باريس عام ١٩٨٥ كان "رابين" في طريق عودته إلى إسرائيل بعد عدة أيام في الولايات المتحدة وبعد تنسيق مسبق توقف في باريس وعقد في الفندق الذي كان يقيم فيه حسين وانضم إليه رئيس الأركان العامة للجيش بعد

المحادثة مع حسين روي "رابين" أن الملك كرر نفس الافتراضية مرارًا وتكرارًا إذا كنتم تريدون أن آتي إليكم علنًا للتفاوض كما فعل الرئيس المصري الراحل أنور السادات عليكم بالتعهد بإعادة جميع الأراضي التي احتلوها في عام ١٩٦٧ كما وعدتم السادات وإذا كان ليس لديكم النية لإعادة كل الأراضي ولا تتركوا في يديكم أقل من بوصة واحدة فسأحضر فقط وياسر عرفات بجانبي وفي هذه الحالة سيتوجب علينا توقيع الاتفاقية معكم. لم يغير حسين من هذا الموقف السياسي حتى وقت الانتفاضة الأولى اقنعت صور الحجارة والزجاجات الحارقة التي ألقيت على جنود جيش الاحتلال الإسرائيلي بضرورة المغادرة من مطالبه ضد الضفة الغربية قبل أن يخسر كل شيء.

في فبراير عام ١٩٨٨ جري اللقاء السري الأخير بين الملك حسين وشخصيات إسرائيلية أرسل وزير الخارجية "بيريز" المدير العام "تايمر" لمكتبه لمحاولة إقناع الملك بالموافقة على خطوة دراماتيكية من شأنها أن تعجل النظام الدولي للعملية السياسية. وإذا أمكن ذلك فإن التأثير على الرأي العام الإسرائيلي لصالح "بيريز" في الانتخابات الذي كان من المقرر أن تعقد في ذلك العام. تم تنسيق اللقاءات مع حسين وفق ممارسة منتظمة تضمنت التنسيق

من خلال السفارة الأمريكية في تل أبيب أو من خلال الخدمات الجيدة للمصريين. إذا كانت المحادثة ستجري في مقر إقامة الملك فسيمر الإسرائيليون المحطة الحدودية في إيلات ويسافرون من وإلى نويبع بواسطة زورق آلي إلى مرسى جانبي في العقبة. كان هناك ضابط بالجيش الأردني من البيت الملكي ينتظرهم ليصطحب الضيوف إلى منزل الملك.

كان مكان الاجتماع الآخر في عيادة طبيب يهودي مشهور في لندن أو في مكان إجازة الملك في جبال الألب السويسرية كما تضمنت الممارسة التفادي من ممثلي اسرائيل العاديين في الدولة التي عقدت فيها الاجتماعات.

نظمت السفارة الأردنية في "جينيف" لـ"تايمر" رحلة مكوكية إلى مكان إجازة الملك حسين على بعد ساعتين بالسيارة من "جينيف" انتظر الملك حسين وصول "تايمر" برفقة وزراء من حكومته ووزير عراقي رفيع المستوي في كوخ خشبي مسؤول عن رجال الأمن السويسري والجدير بالذكر أن هذا الأمر كان قبل حرب الخليج بثلاث سنوات فقط.

حسين الذي كان يرتدي سروالًا من الصوف الرمادي وسترة

حمراء رحب بالضيف وهو يقبله على خده وبعد المصافحة حان دور مطالب السلام.

وسأل "تايمر" عن مصلحة جلالة الملك نيابة عن وزير الخارجية "بيريز" ووزير الدفاع، "رابين" وبعد استقراراه في غرفة الجلوس في الكابينت، فتح حديث كان به مشاعر تفاؤلية من جانب الضيف الإسرائيلي حول فرص المضي قدمًا بروح التفاهمات بين حسين و"بيريز" في لندن، على الرغم من العقبات من جانب "شامير" الذي لم يخف سر اللقاء، ومن جانب الفلسطينيين في الأرض. لم يكن حسين مشتركًا في تفاؤل "تايمر" ومبعوثيه. كره الملك مصطلح اتفاقية لندن الذي انتشر على نطاق واسع في إسرائيل وفضل مصطلح الفتيات، بشكل عام كانت المنشورات والتسريبات حول التفاهمات بينه وبين "بيريز" قد دفعته بالفعل إلى الدخول في صفقة مع الذين اعتبروا هذه الاتصالات محاولة أخري لإخراجهم من وسط المسرح السياسي. نبأ استعداد حسين لتحمل المسئولية عن قطاع غزة في البداية لم يساعد على أقل تقدير في التوصل إلى اتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية. كانت نفسية الملك متشائمة، لكن بالنسبة لـ "تايمر" كانت مهمة كان عليه اقناعه بالموافقة على خطوة دراماتيكية لقاء علني في القاهرة بين وزراء خارجية الأردن

وإسرائيل ومصر، كان من المفترض أن يساعد الاجتماع "شمعون بيريز" على توجيه الضربة القاضية لأعدائه السياسيين في الداخل، وفي الليكود وإثبات أن جهوده في السنوات الأخيرة، لم تكن سحب من الدخان.

في وقت لاحق دعا جلالة الملك الضيوف للذهاب إلى غرفة الطعام المجاورة لغرفة المعيشة، وتذوق من الفوندو المغلي المجهز في أواني فضية فاخرة، واستمرت المحادثة أثناء غمس مكعبات اللحم في الجبن المذاب. قال الملك حسين: جنرال "تايمر" أنت مفرط للغاية في التفاؤل، والتفاؤل فضيلة عظيمة لكن يجب ألا تقودها السذاجة.

وأضاف الملك بتمعن: وأنا ايضًا كنت انجذبت لتفاؤلك، كنت أثق "بشمعون بيريز" الذي قال لي: أنه إذا رفض "إسحاق شامير" التفاهمات التي توصلنا إليها في لندن فسيستقيل "بيريز" من الحكومة وسيجري انتخابات مبكرة في إسرائيل، كانت الحقائق مختلفة رفض مجلس الوزراء، التفاهمات التي تم التوصل إليها وبقي "بيريز" في حكومة يترأسها "شامير".

وصرح الملك حسين: إن ما يحدث في المناطق اليوم، يخلق

وضعًا جديدًا يسيطر عليه عرفات، في الواقع يتم قيادة العملية من خلال المناطق عن طريق الفلسطينيين هناك. لا يوجد شك في أنه لن يكون من الممكن التوصل إلى ترتيبات دائمة بدون الأردن. من ناحية أخري كل محاولتنا للاستثمار في المناطق، لتعزيز مكانتنا فيها كل ذلك سيتآكل وقد ساعد رفض الحكومة الاسرائيلية لتفاهماتنا، على خلق الوضع الجديد في الأراضي.

أصبح الملك يشعر بالمرارة أكثر وأكثر، عندما تعمق في التحليلات الجارية في الضفة، لم يفهم هو ومستشاروه سبب عدم قيام جيش الاحتلال الإسرائيلي بوضع حد لأعمال الشغب بالضفة، وأوضح أنه لن يتمكن من الموافقة على تحرك علني لاجتماع وزراء الخارجية الذي اقترحه "بيريز"

بشكل عام قال الملك حسين: إن صديقه شقيقه كما كان يطلق على الجائزة في مناسبات عديدة، وحميمة أنه يجب أن يبدي تفهمًا للمشاكل التي كان عليه التعامل معها في مملكته.

قال الملك لـ "تايمر": سأعطيك مملكته، يقول "بيريز" في محاولاته لإقناع الرأي العام الإسرائيلي، بتأييد رأيه السياسي أن لدي الإسرائيليين بديلين أحدهما حسين والآخر عرفات كشركاء في التسوية المستقبلية.

حسين: لماذا يقول إنني البديل لعرفات؟

أو مثال آخر: لماذا تقولون إن تفضيل إعادة الأراضي إلي حسين أفضل من أن تبقي في أيدي إسرائيل، وذلك لأن حسين عرف كيف يتعامل مع الفلسطينيين؟

وزادت الاحـداث في المناطق، لانعدام الثقة بين الملك والمنظمات الفلسطينية، وزادت مخاوفه من أن تتجلي انكشافات الانتفاضة في نهر الأردن باتجاه الشرق.

اصبحت فرصة أن ينضم في فبراير ١٩٨٨ إلى حركة سياسية عامة، من شأنها مساعدة "شمعون بيريز" في الحملة الانتخابية للكنيست غير معقولة.

كان الجو مظلمًا بالخارج، وكان الهواء في الكوخ لطيفًا، تحدث المشاركون بصدق أن المعارف المقربين فقط، أو الشركاء في ورطة، هم من يتمكنوا في ذلك كان الملك مستاءً من الاتجاهات المحتملة، لتطور الانتفاضة الفلسطينية هو ايضًا مثل عرفات، ويخشى من "أرئيل شارون" تصريحات "شارون" عن الأردن كوطن للفلسطينيين أغفت النوم عن عيون الملك، الذي عبر عن مخاوفه لأصدقائه الأمريكيين، ولكل زائر تقريبًا من دولة عربية لها علاقات مع إسرائيل.

وحذر حسين من أنك لن تتمكن من قمع أعمال الشغب في المناطق، بل ستضيف شرارات إلى نار القومية الفلسطينية التي انتشرت في المنطقة.

سوف تمر عدة أشهر قبل قرار الملك حسين بالتنفيس عن إحباطه، من الوضع الذي خلق في المناطق واعلان انسحابه من مطلبه بالضفة الغربية، ولكن في وقت مبكر من فبراير عام ١٩٨٨ في نفس الاجتماع في جينيف أثبت حسين لأصدقائه الإسرائيليين أن لديهم نصيبًا في مسئولية ما حدث.

استمر حسين: لن تتمكن من إيجاد قيادة فلسطينية تتفاوض معك، بدون موافقة منظمة التحرير الفلسطينية، بل على العكس لقد ساعدت في تعزيز منظمة التحرير الفلسطينية، وتحويلها إلى منظمة تمثل الفلسطينيين في المجتمع الدولي خاصًة.

بالطبع تحطمت توقعاتي، لا أعتقد أننا سنمضي قدمًا في أي ترتيب طالما لم يكن هناك تغيير حقيقي في القيادة الإسرائيلية، في غضون ذلك ستستمر عملية التفاهم بين الدول العربية وماذا ستفعلون؟ هل ستلقون قنابل ذرية علينا؟

وكانت رسالة الملك واضحة ذات مغزى واحد بأن الأردن سيتعاون مع "شمعون بيريز" والولايات المتحدة فقط في إطار مؤتمر دولي ينعقد برعاية الأمم المتحدة لحل الصراع العربي الإسرائيلي على أساس التفاهمات التي تم التوصل إليها في لندن في إبريل عام ١٩٨٧.

لم تنقطع العلاقة بين الملك حسين و"شمعون بيريز" البطلين المأسويين لدراما الشرق الأوسط حتى بعد فبراير ١٩٨٨ استمر الاثنان في التواصل عبر العقود والرسائل. حسين و"بيريز" زعيمان يرغبان بشدة في التوصل إلى اتفاق، بين بلديهما يريدون، ولكن لن يستطيعوا.

إليك الأشياء الكاملة التي يقولها هنا كما وثقها "تايمر" في أوائل التسعينات.

حملوا أجنحة السلام إلى اجتماعات غامضة، مع شخصيات رئيسة في تحديد السياسة. كانت هذه الاجتماعات كثيرة ومليئة بتجارب حياتية، لا تنسي ومخاطر كثيرة، والتي توجت بإطلالة ساحرة ومشروطة بترتيبات سرية للحضور والذهاب.

التقيت بعرفات وحسين الزعيمان اللذان يتأرجح البندول بينهما، لحل المشكلة الفلسطينية في السابق كانت تتجه نحو حل في إطار فيدرالية أردنية، واليوم نحو حل في إطار قومي فلسطيني بينما الحل مشروط الوسط وهو كونفدرالية لدولتين هما الأردن وفلسطين. كانت أفريقيا في دار ضيافة حكومية، والتي كانت تطل علي ساحل المحيط الهندي.١٢٩ لقد خيم ظلام دامس على الشاطئ، وحاصر الحراس المنزل وطوقوا ممراته، جلسنا في غرفة الضيوف هو وأنا واثنان من الموالين لنا، وتبادلنا وجهات النظر والآراء، في جو لطيف وسأذكر بالتفصيل بعضا منهم.

بعد المجاملات وتبادل التحيات قلت: هناك معارضة في إسرائيل، والولايات المتحدة لإقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، هذا لأن مثل هذه الدولة من شأنها أن تعرض للخطر وجود إسرائيل، وأمنها ومن ناحية أخري أنا أمثل أولئك الذين يعتقدون أن كونفدرالية أردنية فلسطينية، هي صيغة جيدة وواعدة لحل المشكلة الفلسطينية، وأن الحدود بين إسرائيل والاتحاد سيتم تحديدها، على أساس تسوية إقليمية. رد عرفات بابتسامة تعتري وجهه: ربما ستشرح لي المعروف، بالاستراتيجية

العسكرية كيف يمكن لدولة فلسطينية منزوعة السلاح، أن تعرض للخطر دولة إسرائيل التي تمتلك أقوي قوة عسكرية في المنطقة؟

قلت: إن أخطار قيام دولة فلسطينية، لا تنبع من احتمالية وجود جيش، ومن الممكن منع ذلك، تنبع المخاطر من الأنشطة الإرهابية، التي ستلزم إسرائيل بالعمل على تصفية مصادرها، وهذا من أحد سيناريو تدهور الحرب، مع اولئك الذين سيسعون إلى إنقاذ الدولة الفلسطينية من نفسها. خطر آخر قد يكون متواجدا وهو النموذج اللبناني. وهذا يعني أن المتطرفين في الدولة الفلسطينية، سيحصلون على مساعدة من الخارج إيران وسوريا، أو دولة أخرى للعمل ضد إسرائيل، أو الاستيلاء على السلطة. يمكنني أن أضيف عدة سيناريوهات أخرى، للأوضاع المتدهورة والذي يكون القاسم المشترك لهم هو عدم سيطرة الحكومة الفلسطينية، التي تريد السلام أو تغيير السياسة من قبل حكومة فلسطينية من السلام إلى الإرهاب. ونتيجة لذلك سيكون هناك تدهورا يمكن أن يؤدي للحرب فلماذا تخوض في هذه المغامرة الخطيرة المعروفة بالدولة الفلسطينية؟

تفحصت ملامح وجهه المغطى باللحية، التي تبرز حتى بعد الحلاقة، انتظرت إجابته على الرغم من أنني كنت أقدر ما سيقوله بالضبط، وبعد كل شيء لقد قمت بالفعل بتحليل أخطار الدولة

الفلسطينية عدة مرات، في منصبي كرئيس لقسم التخطيط في هيئة الأركان العامة، وفي عمل شامل للموظفين في وزارت حكومية أخرى خاصَّة مكاتب رئيس الوزراء، والداخلية والعدل، بالإضافة إلى ذلك في معاهد البحوث الاستراتيجية في إسرائيل، وحول العالم وفي المحادثات مع ممثلي مستعمرات إسرائيل.

لقد درسنا الخيارات الأربعة، التي يبدو أنها موجودة لحل المشكلة الفلسطينية، اثنان منهم على أساس الحكم الذاتي، تحت حكم دول قائمة وهما إسرائيل أو الأردن

واثنان منهم على أساس دولة فلسطينية، دولة مستقلة تمامًا أو دولة في إطار كونفدرالية. كانت استنتاجاتنا أن الحل الخاضع لحكم دولة قائمة غير عملي. لن يوافق الشعب الفلسطيني أن يكون تحت حكم إسرائيل، أو الأردن، وسيكون من المستحيل تحقيق السلام مع الدول العربية، على أساس فرض مثل هذا الحل.

لن تدعمه الولايات المتحدة ولا أي من دول العالم الحر مثل هذا الحل، علاوة على ذلك فإن مثل هذا الحل تحت الحكم الإسرائيلي، سيعرض للخطر جوهر إسرائيل كدولة يهودية.

وهكذا يبقي الخياران للحل على أساس الدولة الفلسطينية، مع كون الحل الكونفدرالي هو الأفضل لكل من إسرائيل والشعب الفلسطيني، لأسباب ديموغرافية واقتصادية وأمنية. بالنسبة لإسرائيل فإن العامل الديموغرافي هو الأكثر أهمية، مرة واحدة للحفاظ على شخصية إسرائيل كدولة يهودية، وليس كدولة يهودية عربية، ومرة ثانية حتى لا يتزعزع استقرار السلام نتيجة لانقسام الشعب الفلسطيني، بين دولتين مستقلتين تمامًا هما الأردن وفلسطين، من الأهمية القصوى أن تكون الترتيبات الأمنية المنصوص عليها في اتفاقية السلام، أن تكون في إطار كونفدرالية تضم دولة منزوعة السلاح غرب الأردن، ودولة ملتزمة بضمان عدم انتشار القوات العسكرية ومنظمات الإرهاب في الأردن وعدم عبور الأردن، لخرق نزع السلاح.

وبالإضافة للإطار الكونفدرالي، الترتيبات الأمنية الإضافية المطلوبة لإسرائيل تكون كالتالي:

الأول: حدود التسوية الإقليمية في الضفة الغربية، وفي قطاع غزة والتي ستترك الأراضي الإسرائيلية مناطق حيوية لحماية الدولة، ومنع خرق الترتيبات الأمنية المنصوص عليها في اتفاقية السلام.

الثاني: دولة فلسطينية منزوعة السلاح تمامًا، من القوات العسكرية ومنظمات الإرهاب والبنية التحتية الإرهابية.

الثالث: منظمات مراقبة محسنة للترتيبات الأمنية.

الرابع: ترتيبات أخري لمراقبة القوات على جانبي نهر الأردن.

الخامس: علاقات حسن الجوار مع الـدول الكونفدرالية وستتركز علي التعاون الاقتصادي والأمني.

فأولئك الذين أحدثوا ضجيجًا في عالم التصريحات المتكررة، بأن الدولة الفلسطينية كارثة على إسرائيل، إنهم يقودون دولة إسرائيل لـجبهة ثنائية القومية لليهود والفلسطينيين والتي تشكل أغلبية بها على مر السنين وهذا هو بالضبط نمط للقضاء على إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية.

أثناء الغرق في التفكير تم تقديم القهوة والماء، يبدو أن عرفات قد قرأ أفكاري، واستمر في الحديث بصوت هادئ: هل تتخيل أن دولة فلسطينية يمكن أن تعرض وجود إسرائيل أو أمنها للخطر؟ لماذا تريد أن تفعل ذلك؟ حتى تفقد نفسها لتعرف؟ لماذا لا نفكر في علاقات السلام؟ نحن الفلسطينيون مستعدون للانضمام إلي الكونفدرالية مع الأردن وحتي مع الأردن وإسرائيل، لكن كدولة

فلسطينية وليس كحكم ذاتي تحت الحكم الأردني أو الإسرائيلي، وعندما أقول الكونفدرالية فأنا أعني نظامًا به مؤسسات مثل السوق المشترك أو مثل المشاريع الاقتصادية المشتركة أو مثل العلوم والتكنولوجيا وأيضًا الأمن، ستكون الدولة الفلسطينية منزوعة السلاح من قبل القوات العسكرية، يمكن أن تكون القدس مدينة متصلة بها، عاصمتان ستكون الحدود حدود ٦٧ مع تعديلات، تؤخذ في الاعتبار وهي الاحتياجات الأمنية لإسرائيل، بالإضافة إلى المزيد من الترتيبات الأمنية لإسرائيل، هل كلنا سنبني لكي ندمر؟ كلنا كنا مخطئون بالماضي تم ارتكاب أخطاء في جميع أنحاء العالم، وتم سفك الكثير من الدماء بسببهم لا يوجد بديل عليهم التنازل لا توجد أمة تستطيع أن تفعل كل شيء، ليس لدي شك في أننا سنقدم تسوية.

قلت له: ألا يتسبب السلام مع إسرائيل في انقسامكم وتعريض حياتك للخطر؟

انفجر عرفات في الضحك وأجاب: لذلك ينتظر "شارون" هو دائمًا يريد قتلي لا تقلقوا.

أنا أتحكم في منظمة التحرير الفلسطينية يمنحني معظم أعضاء

المنظمة الدعم ويدعم سياسة السلام الخاصة بنا. في الواقع لدينا متطرفون يريدون إفشال جهودنا ومعكم سنتغلب عليهم ونتقدم، لن يوقفونا وليس لدينا مشكلة في التغلب عليهم لكنها ستكون كارثة لنا جميعًا إذا لم نحقق السلام لشعبنا.

فكرت كيف تختلف عن غيرهم من قادة الحركات الوطنية، الذين يعملون من خلال الإرهاب لتحقيق أهدافهم الوطنية؟ الفارق الملحوظ هو أنه سيكون هناك حوارا سياسيا مع الآخرين، عاجلًا أم آجلًا بينما سيمنعهم عرفات ويطلب المزيد من أجل حياته.

حتى لو إذا أمكن قطع السلام مع الشعب الفلسطيني، عن السلام مع جميع الدول العربية بما في ذلك القضية المركزية هل ستكون خالية من المخاطر؟ يجب الأخذ في الاعتبار أنه بعد فترة طويلة من الحرب والإرهاب لن يكون السلام خاليًا من المخاطر، طالما أنه لا يرتكز على نظام إقليمي للأمن والاقتصاد، وسيكون من الضروري السعي لتحقيق هذا الهدف.

ومن الأمثلة على ذلك مجتمع أوروبا الغربية، الذي يضم دول قاتلت في الماضي القريب، حتى الرمق الأخير وها هي اليوم متحدة في نظام إقليمي مشترك للأمن والاقتصاد، وتتقدم نحو الولايات

المتحدة في أوروبا الغربية حيث ستستمر كل دولة في الحفاظ على سيادتها وطابعها الوطني.

من الممكن أيضًا الوصول إلى حالة سلام كهذه في منطقتنا، بالطبع هذا سيستغرق وقتًا، وعلينا أن نبدأ أولًا بسلام راسخ في الصمامات الأمنية والإسرائيلية، والقدرة على ردع خرق السلام، وكبح العدوان عن السيطرة، إذا لم يكن الردع يتضمن تلك الأنظمة التي تفكر في الحرب في إسرائيل، ستؤخذ في الاعتبار أن نتائج الحرب ستكون غير محتملة بالنسبة لها، ولن يكون لديها أي فرصة لتحقيق أهداف الحرب التي حددتها، ولهذا يجب أن نستمر في الحفاظ على مكونات القوة العسكرية التي يمكن من خلالها حماية الوجود والأمن. الأكثر أهمية هو الصراع العربي الإسرائيلي، إذا كان الصراع بين القوي في المنطقة حتى الآن مصدرًا رئيسًا لعدم الاستقرار، فإننا نشهد اليوم تطورا تاريخيا للعلاقة بين القوي والمصممة لضمان السلام، والتعاون لهذا الغرض وتقليل القوات العسكرية، وحل النزاعات الإقليمية التي تشكل أرضًا خصبة للتدهور الكتلي. يمكن لمثل هذا التطور أن يساهم بشكل كبير في حل النزاع العربي الإسرائيلي، وفي إحلال السلام بين إسرائيل وجيرانها.

من الساحل الحار لشرق إفريقيا، صعدت شمالًا إلى جبال الألب المغطاة بالثلوج. التقيت هناك بجلالة الملك، تناولنا العشاء في كوخ في جبال الألب، وتحدثنا لساعات طويلة عما كان وما يمكن أن يكون، وكان معنا وزراء من الأردن والعراق.

وقال الملك من بين أمور أخرى: أنت تدرك الآن أن التطورات كانت كما توقعت. أنتم من أحدثتم المآزق الذي أدى إلى الانتفاضة في المناطق، ولا يوجد لديكم فرصة لقمعها، لا بالوسائل العسكرية ولا بالوسائل الاقتصادية. إن الإجراءات التي تتخذها إسرائيل لا تؤدي فقط إلا إلى تصعيد نار القومية الفلسطينية، كما أن الإجراءات التي اتخذتها ضدك سلطات الانتداب البريطاني، لم تقض أو تغير تطلعاتك القومية في إقامة دولة يهودية.

لم تتمكن من إيجاد قيادة فلسطينية تتفاوض معك، دون موافقة من منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى النقيض من ذلك لقد قمتم فقط بتحسين مكانة منظمة التحرير الفلسطينية، في جميع أنحاء العالم بصفتك الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني، كما تتفاوض الولايات المتحدة حاليًا مع منظمة التحرير الفلسطينية، بعد أن وافق عرفات علي قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ كأساس للمفاوضات. لقد دفعتموني إلى سحب وصايتي من المفاوضات المباشرة معكم،

عبر وفد مشترك إلى الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية، لإيجاد حل للمشكلة الوطنية الفلسطينية في إطار كونفدرالية بين الشعبين الأردني والفلسطيني، يمكننا بعد ذلك التأثير على منظمة التحرير الفلسطينية، والاتفاق علي المفاوضات علي أساس المبادئ التي اتفقت عليها مع "شمعون بيريز".

أخبرني مبارك أنه قال لك من الأفضل لمنظمة التحرير الفلسطينية، بقيادة عرفات الانضمام إلى مفاوضات السلام، بعد انشقاق صفوفها بدلًا من منظمة التحرير الفلسطينية، المستمرة في الإرهاب نتيجة لرفض إسرائيل التفاوض مع ممثليها، هذه هي المرة الأولي في التاريخ التي لا تكون فيها قيادة بلد ما على استعداد للتحدث مع القادة الشرعيين للعدو والتوصل إلي سلام معهم.

قال لي "بيريز": لا تقلق. كل شيء سيتغير بعد الانتخابات، سأقوم بتشكيل حكومة تقوم بتنفيذ ما اتفقنا عليه.

حتى أنه قال: لذلك أنا مستعد لإجراء انتخابات مبكرة، وقال إن حزبه لن يكون على استعداد للوقوف مربوط الأيدي، نتيجة عدم رغبة الليكود في الموافقة على المبادئ التي اتفقنا عليها.

وهنا، جرت الانتخابات في موعدها في نوفمبر عام ١٩٨٨

انضم الليكود في السلطة، وحزب العمل إلى سلطة يترأسها "بيريز" إلى حكومة "شامير" وتم دعمها بشكل غير مباشر بسياسة شل عملية السلام.

وتابع الملك: بالطبع، لقد تحطمت توقعاتي، لا أعتقد أننا سنقترب طالما لا يوجد تغيير حقيقي في القيادة الإسرائيلية، وفي غضون ذلك ستوحد الدول العربية صفوفها من خلال التعاون السياسي والاقتصادي. كلنا سنتحد بما في ذلك سوريا وليبيا، وستجدون أنفسكم في مواجهة جدار عربي غير ملموس، أو انفصالي لا يوجد بديل آخر أمام إسرائيل، ولن تكون قادرة على متابعة سياسات من شأنها عزلها في العالم، وعن الدول التي تعتمد عليها في احتياجاتها الأمنية والتطويرية، ماذا ستفعلون بعد ذلك؟ هل ستلقون قنابل ذرية علينا؟ هل ستغزون الدول العربية؟ هل ستستمرون في قمع الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة؟ هل ستستمرون بالعيش في وهم أنه يمكنكم فرض شروط علينا؟ ماذا بقي لكم لتفعلوا؟

من الممكن التوصل إلي سلام سريع بين إسرائيل والدول العربية، إذا فهمتم أن السلام هو الأمن والمستقبل لنا جميعًا، وإذا توصلتم إلي نتيجة مفادها أنه من أجل السلام سيكون للشعب

الفلسطيني دولة في الضفة الغربية، وقطاع غزة وسيكون لهذه الدولة والأردن كونفدرالية، وسنعمل علي تحرير الأراضي في مرتفعات الجولان، من أجل السلام مع سوريا، وهو الأمر الذي سيمكن من توثيق العلاقات السلمية، علي أساس المصالح الاقتصادية والأمنية المعززة، وأن تكون القدس كمدينة موحدة تتكون من عاصمتين، وأن الحدود الدائمة ستحدد علي أساس وقف إطلاق النار من عام ١٩٤٩ (حدود ٦٧).

استدرك معنا وزير عراقي مركزي، قال من بين أمور أخرى: لقد دفع العراق ثمنًا باهظًا للحرب فرضها عليه خميني. لا يريد العراق المزيد من الحروب. لا أستطيع أن أفهم التقدير الإسرائيلي، بأن العراق سيرسل قواته العسكرية، التي خرجت من الحرب مع إيران لكي تقاتل مع اسرائيل، وأن العراق سيطلق صواريخ برأس كيماوي علي، ألا نعلم أن لديكم أيضًا صواريخ بعيدة المدي بأسلحة نووية؟

يريد العراق السلام مع إسرائيل، لكن ليس وفق شروط أراضي إسرائيل، وعلى أساس دولة فلسطينية، كما يريد العراق ايضًا السلام في الخليج الفارسي، لكن ليس بشروط إيران، العراق يريد عالم الحياة في سلام، عندما كان هناك خطر على وجودنا كان علينا استخدام الأسلحة الكيماوية لإيقافه، تمامًا كما تستخدم الأسلحة

الكيماوية أو النووية لإنقاذ إسرائيل من فقدان وجودها، سنقوم اليوم بتقليص الجيش واستثمار الجهد الوطني المركزي، في إعادة تأهيل الاقتصاد وبناء البنية التحتية للنمو الاقتصادي.

قلت للوزير العراقي: لقد استغرق الأمر ٣٠ عامًا لبعض الدول العربية، لكي تفهم أن السبيل الوحيد لحل الصراع مع إسرائيل، هو سبيل السلام يبدو أن هناك حاجة إلى المزيد، وهذا مشروط باستعداد للتفاوض مباشرة دون شروط مسبقة، لاحتياجات الافتتاح.

على إسرائيل أن تؤمن أولًا بأن السلام على البوابة، لا يمكن الوصول إلى هذا الانتقاد في ظل السلام مع مصر، حتى بعد انسحاب إسرائيل من سيناء، الارهاب القاتل مستمر والزعماء العرب يريدون التحدث إلينا بشكل مباشر وعلني. آمل أن يتغير هذا الوضع، وهذا التغيير مشروط بمستقبلنا جميعًا، خذ المثال من الروس يفضلون اليوم تطبيع العلاقات مع اسرائيل، مع قطع العلاقات من كان يصدق أنه قبل عامين، إن هذا هو سلوك الاتحاد السوفيتي؟ من اعتقد أنها ستنسحب من أفغانستان، ومن كان يعتقد أن استراتيجية الانتشار واستغلال، عوامل التطرف ستصبح استراتيجية للتعايش السلمي، بالوسائل السياسية والاقتصادية. إذا كنتم أيها القادة العرب تطمحون إلى حل النزاع بسرعة، في العامين المقبلين فأقترح

لكم أن نلتقي بالقادة الإسرائيليين، لمناقشته تمامًا كما فعل السادات في نوفمبر عام ١٩٧٧ جاء السادات إلي القدس رغم حالة الحرب، وقد عبر في خطابه عن شروط لا أعتقد أن إسرائيل من الممكن أن تقبلها، ومع ذلك فقد بعث مجيئه بأمل كبير، كان شعب إسرائيل يتوقع أن يكون السلام قريبًا، وهذا خلق خلفية للمفاوضات التي أدت في غضون عام وأربعة أشهر، إلى توقيع اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل.

يعلم كل من "شامير" و"رابين" أحد آباء الخيار الأردني، أنه بدون حل للمشكلة الفلسطينية لن يكون هناك سلام مع العالم العربي، بل سيتدهور السلام مع مصر، لأنه من أجل تحقيق السلام مع الشعب الفلسطيني، يجب التفاوض على قيادته الشرعية، وهي قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، وأن حل المشكلة الفلسطينية يجب أن يكون حلًا وطنيًا، والتي تعني دولة فلسطينية.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة ١١

الجزء الأول
حرب لبنان الأولى

الفصل الأول: الاعتماد على من لا يُعَول عليه ٢٣
الفصل الثاني: كارثة مُدبرة مسبقًا، مذبحة في مخيم اللاجئين ٥٢
الفصل الثالث: شهود في لجنة التحقيق ٦٩
الفصل الرابع: التعليم بالطريقة الصعبة الدروس المستفادة من الحرب ٨٤

الجزء الثاني
بين غزة ورام الله

الفصل الأول: بين غزة ورام الله ٩٣
الفصل الثاني: هكذا وقعنا في الفخ..... ٩٩
الفصل السادس: عرض المعلومات السرية الاستخباراتية ١٢٦
الفصل السابع: بعيون مغلقة الطريق الى الانتفاضة الثانية..... ١٥٩
الفصل الثامن: خليفة ياسر عرفات أبو مازن وإسرائيل ١٧٩
الفصل التاسع: إسرائيل بين نارين حماس وغزة ١٩٩

الجزء الثالث
أصدقاء وأعداء إسرائيل في الشرق الأوسط

الفصل الاول: السيسي وأنا العلاقات مع مصر ٢١٩
الفصل الثاني: شراكة المصير العلاقات مع المملكة الأردنية ٢٤٧
الفصل الثالث: إيران أكبر التهديدات على إسرائيل ٢٦٤
الفصل الرابع: مأساة الأخطاء الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ٣٢٢
اخفاقات الاستخبارات..... ٣٥٩

الجزء الرابع
اخفاقات الاستخبارات

الفصل الأول: لايزالون على قيد الحياة التوقعات حول الوضع الصحي وبقاء الزعماء على قيد الحياة ٣٦١
الفصل الثاني : الجاسوس الذي انكشفت خسته قضية يهودا جيل..... ٣٧٥
الفصل الثالث: الحرب التي لم تكن كذلك التنبيه الزائف لعام ١٩٨٣..... ٤٠٤
الفصل الرابع: بين سويسرا وموزمبيق الاجتماعات السرية «أبراشا تايمر» . ٤١٦
فهرس الموضوعات..... ٤٤٧

مذكرات
عاموس جلعاد

جلعاد (يقف ثانيا في اليسار) مع بشير جميل، ووزير الأمن آرييل شارون ورئيس الأركان رفائيل إيتان في بيروت ١٩٨٢.

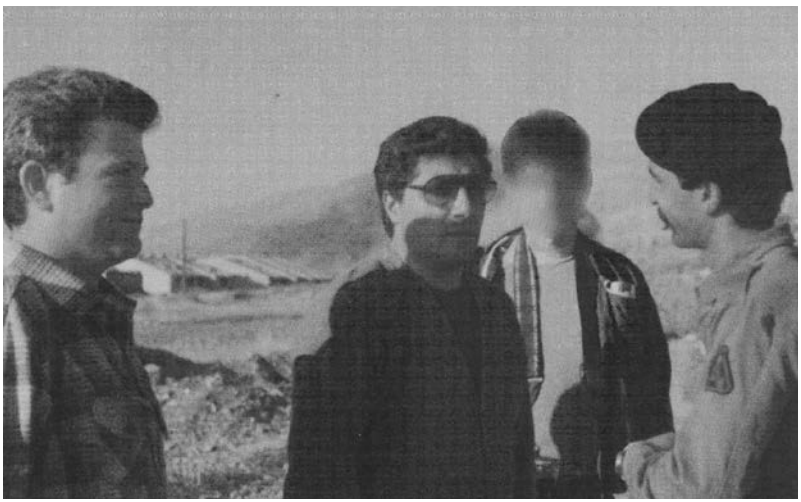

لقاء في ليلة حرب لبنان الأولى، مع الحليف بشير الجميل (في الوسط) على أرض لبنان.

جلعاد (على اليمين) مع إيلي حبيقة ضابط الاتصال في جيش الكتائب عقب مذبحة صابرا وشاتيلا ١٩٨٢.

جلعاد في مطار بيروت أثناء حرب لبنان الأولى سبتمبر ١٩٨٢.

جلعاد يلتقي ياسر عرفات في تونس كمبعوث لرئيس الـوزراء الإسرئيلي اسحاق رابي ١٩٩٣م.

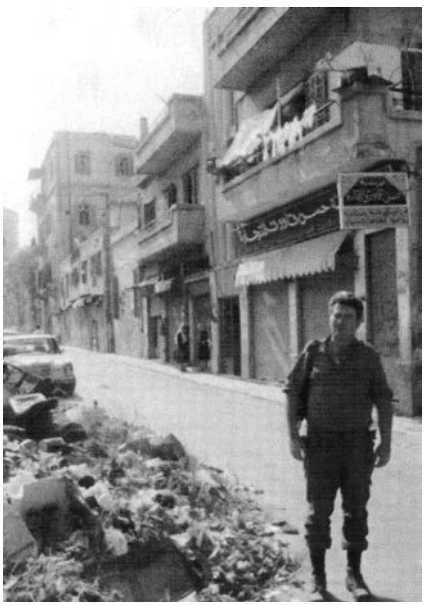

جلعاد كضابط استخبارات في جولة بشوارع بيروت أثناء حرب لبنان الأولة ١٩٨٢م.

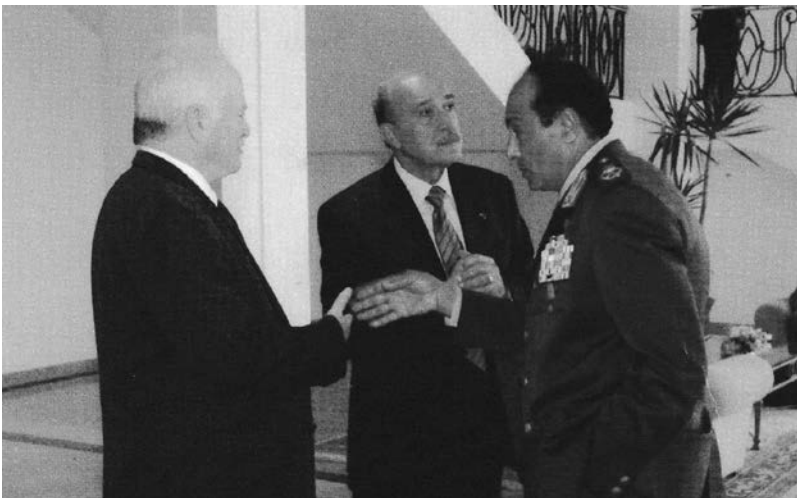

جلعاد مع المشير طنطاوي وزير الدفاع المصري واللواء عمر سليمان مدير جهاز المخابرات المصرية، اثناء زيارة جلعاد للقاهرة ٢٠٠٦ م.

جلعاد بصحبة وزير الامن موشيه يعلون (بوجي) بمؤتمر الأمن في ميونخ في اجتماع مع مستشار الأمن الأمريكي شاك هيجل فبراير ٢٠١٤.

جلعاد مع رئيس الأركان الأردني عبد الحافظ كبانه مرعي ونظيره الإسرائيلي ايهود باراك اخلال مباحثات اتفاق السلام مع الأردن.

في الطريق للمباحثات مع الوفد الاردني الفلسطيني بواشنطن مع الكيم روبنشتين ١٩٩٣م.

أبوبكر خلاف

صحفي ومترجم متخصص بالشأن الإسرائيلي، ولد في ٦ من أكتوبر ١٩٧٧ بمصر، تخرج من كلية الآداب جامعة القاهرة، قسم اللغات الشرقية وآدابها، بفرع اللغة العبرية في عام ١٩٩٩، ومنذ تخرجه وهو يعمل بمجال الصحافة والترجمة بالعلاقات الدولية والشؤون الإسرائيلية، وهو صاحب خبرة طويلة بالصحافة التلفزيونية، وخاصة الوثائقية. ساهم في تأسيس أول جمعية للمترجمين واللغويين المصريين ويرأس حاليا شبكة محرري الشرق الأوسط وشمال أفريقيا MENA Editors Network

مذكرات

عاموس جلعاد

في هذا الكتاب يكشف الجنرال الإسرائيلي المتقاعد "عاموس جلعاد" أسرار رحلاته إلى القصور العربية وعلاقات تل أبيب المتداخلة مع حكامها، وحاولنا عبر ترجمته نقل ما ورد على لسانه بتصرف لا يخل بمحتوى الكتاب، لنكشف للقارئ العربي جانباً من حياة أحد أهم الشخصيات الأمنية الإسرائيلية دراية بكواليس وأسرار وصفقات الحرب والسلام، يحوي الكتاب ترجمة لمذكراته التي جمعها الكاتب الإسرائيلي "شمعون شيفر"، في كتاب بعنوان "المُنذر" המתריע، وهو خلاصة ١٧ جلسة حوارية جمعته بعاموس جلعاد استمرت لعدة أشهر، ليصدرها بكتابه الذي بلغ ٢٤٥ صفحة باللغة العبرية والصادر عن "مؤسسة يديعوت" للكتب.

زاد للدراسات الإسرائيلية
Zad for Israeli Studies